أدبيات اللغة العربية

تأليف

محمد عاطف بك، والشيخين محمد نصاروأحمد إبراهيم، وعبد الجواد
أفندي عبد المتعال

الكتاب: أدبيات اللغة العربية

تأليف: محمد عاطف بك، الشيخان محمد نصار وأحمد إبراهيم، عبد الجواد افندي عبد المتعال

الطبعة: 2017

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575
فاكس : 35878373

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

عاطف / محمد بك
أدبيات اللغة العربية / محمد عاطف بك – الشيخان محمد نصار واحمد ابراهيم – عبد الجواد افندي عبد المتعال
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
340 ص، **18** سم.
الترقيم الدولى: **6 – 295 – 446– 977– 978**
أ – العنوان رقم الإيداع : **4772**

أدبيات اللغة العربية





تقسيم الكلام العربي إلى منثور ومنظوم

كلام العرب نوعان منثور ومنظوم. فالمنظوم هو الكلام الموزون المُقَفَّى أي الذي تكون أوزانه كلها على رَوِيّ واحد وهو القافية. والمنثور هو الكلام غير الموزون وينقسم إلى سَجْع ومُرْسَل فالسجع هو الذي يؤتى به قِطَعا ويُلْتَزَم في كل كلمتين منه قافية واحدة والمرسل هو الذي يُطْلَق إطلاقا ولا يُقَطَّع أجْزَاء بل يُرْسَل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها. والقرآن الكريم وان كان من المنثور خارج عن نوعية السابقين فلا يُسَمَّى مُرْسَلا مطلقا ولا مُسَجَّعا بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية.

قال ابن رَشِيق في العُمْدة وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغِناء بمكارم أخلاقها وطِيب أعراقها وذكْر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأنْجاد وسُمَحَائها الاجْواد لتَهُزّ أنْفُسَها.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستعينك ونصلي ونسلم على صفوتك من خليقتك سيدنا ومولانا محمد الذي آتيته جوامع الكلم وأنزلت عليه كتابك المبين معجزا لجميع العالمين وعلى آله وصحبه الذين قاموا بهديه خير قيام فأشرقت بهم أنوار المدينة القويمة على جميع الأنام.

أما بعد فهذا كتاب قد جمعناه لتلاميذ المدارس الثانوية وصدّرناه بمقدّمة طويلة بيننا فيها حالة اللغة العربية قبل الاسلام وبعده وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها وفضلها على المدينة التي عمت جميع الممالك الاسلامية إبان عظمتها واتساعها ثم أتبعنا ذلك بتراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء ثم أثبتنا بعض المختارات من النثر والنظم في كل عصر لتكون معتمد التلاميذ في معرفة كثير من مفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها الشريفة وتراكيبها المتينة فصار هذا الكتاب بذلك كتاب أدب ومطالعة ومختارات للحفظ يجد فيه التلميذ ضالته التي ينشدها وبغيته التي يطلبها.

ولما كانت كل أعمال الانسان في ابتدائها ناقصة لم تصل إلى درجة كمالها كان لنا الأمل في أن يكون هذا الكتاب في المستقبل اكما مما هو عليه الآن بعد اعادة طبعه والله الموفق.

إلى الكرم وتَدُلّ أبناءَها على حسن الشِيَم فتوهَّموا أعارِيض جعلوها موازين الكلام فلما تمّ لهم وزنُهُ سَمَّوه شِعرا لأنهم شَعَروا به أي فَطَنوا وزعم الرواة أن الشعر كله كان رَجَزا أو قِطَعا وأنه انما قُصّد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهِل وأمرؤ القيس وبينهما وبين مجيء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة.

وأوّل من طوّل الرَّجز وجعله كالقصيد الأغْلَب العِجْلي شيأ يسيرا وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى العَجَّاج في الدولة الاموية فافتنّ فيه فالاغلب والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد وسئل أبو عمرو بن العلاء الحضرمي هل كانت العرب تُطِيل قال نعم لِيُسْمَع منها قيل هل كانت توجز قال نعم لِيُحْفَظ عنها. ويستحب عندهم الاطالة عند الإعذار والإنذار والترغيب والارهاب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حِلِزّةَ ومن شابههما والا فالقِطَع أطْيَر في بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورة

الكلام على النظم والنثر في عصر الجاهلية

(النظـــم)

كان الشاعر العربي يقول الشعر بالبديهة لحِدّة خاطره فيرتجل القول ارتجالا وقد يتعمد القول في بعض الاحيان ويُجهد خاطره فيه فقد كان لزهير بن أبي سُلْمَى قصائد لُقِّبَت بالحَوْليّات كان ينظم الواحدة منها ثم يُهَذّبها بنفسه ثم يَعْرِضها على اصحابه فلا يُشْهرها حتى يأتي عليها حَوْل وقد وَلَجَ الشعراء في عصر الجاهلية أبوابا كثيرة من الشعر فوصَفوا ومَدَحوا وهَجَوا وفَخَروا ودوّنوا الاخبار وضربوا الامثال ورغّبوا وأرهبوا ولم يتركوا شيئا وقع تحت حِسّهم حتى تناولوه بمقالهم فأجادوا وأبدعوا مع سهولة في اللفظ ومتانة في التركيب وتَوَخّ للحقيقة وبُعْد عن الغُلُوّ، ولقد تركوا فيما تركوه من أشعارِهم ما يمكن أن يستخرج منه بيان لعاداتهم وسائر أحوالهم ومع أن منهم من سكن البادية على خشونة في العيش قد أتوا في كلامهم بالعجب العجاب من السهولة والانسجام وروائع الحكم ودقيق الشعور والوِجْدَان كما ترى ذلك فيما آوردناه في هذا الكتاب من كلامهم وجَيّد أشعارهم وكان الشعر ديوان علمهم ومستودع حكمتهم والضابط لايامهم وقيد كلامهم والحاكم لهم والشاهد عليهم وله من نفوسهم أسمى مكانة وأرفع قدر ومما يدلّك على علوّ قدر الشعر أن القبيلة من العرب كانت اذا نبغ فيها شاعر أتتها القبائل فَهَنّأتْها بذلك وصعنت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن كما يصنعن بالافراح وتباشروا به لأنه يحمي أعراضهم ويدفع عن

أحسابهم ويُخَلّد مآثرهم ويُشَيّد بذكرهم وكان للشعر تأثير في النفوس وسلطة عليها حتى كانت تخشى بأسه الأُمراء وتتحاماه الكبراء وطالما وضع قوما ورفع آخرين. قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد بني مازن مُخارِق بن شهاب حين أتاه محمد بن المُكَعْبَر العنبري الشاعر فقال له ان بني يربوعٍ قد أغاروا على إبلي فاسْعَ لي فيها فقال كيف وأنت جار بني ودّان فلما ولّى عنه محمد حزِن مُخَارِق وبكى حتى بلّ لِحْيته فقالت له ابنته ما يبكيك فقال وكيف لا أبكي وقد استغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أُغِثْه والله لئن هجاني لَيَفْضَحَنِّي قَوْلُه ولئن كف عني ليقتُلَنِّي شُكْره، ثم نهض فصاح في بني مازن فردّت عليه إبله ومما رواه صاحب الأغاني وغيره أن أعشى قيس كان يأتي سُوقَ عُكَاظ كل عام فيتجاذبه الناس في الطريق للضيافة طمعا في مدحه اياهم والتنويه بهم في عكاظ فمرّ يوما ببني كلاب وكان فيهم رجل يقال له المحلّق وكان مِئْنائا مُمْلِقا له ثَمانِي بَنَات لا يَخْطُبهنّ أحد لمكان أبيهنّ من الفقر وخمول الذكر فقالت له امرأته ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر واكرامه فما رأيت أحدا أكرمه الا وأكسبه خيرا فقال ويْحَك ما عندي الا ناقتي فقالت يُخْلِفها اللهُ عليك. فتلقّاه قبل أن يسبقه أحد من الناس وكان الأعشى كفيفا يقوده ابنه فأخذ المُحَلَّقُ بخِطام الناقة فقال الأعشى من هذا الذي غلبنا على خِطام ناقتنا فقيل المحلق قال شريف كريم ثم قال لابنه خَلّه يقتادها فاقتادها إلى منزله وأكرمه ونحرله الناقة وجعلت البنات يدرن حوله ويبالغن في خدمته فقال ما هذه الجواري حولي فقال المحلّق بنات أخيك وهُنّ ثَمَان نصيبهنّ قليل فقال الأعشى هل لك حاجة فقال تُشَيّد بذِكْرى فلعلى

أُشْهَر فتُخْطَب بَنَاتي فنهض الاعشى من عنده ولم يقل شيأ فلما وافى عكاظ أنشد قصيدته التي أنشأها في مَدْحه وهى نَيْف وأربعون بيتا وفيها يقول:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تُحَرَّقُ
تُشَبّ لَمقْرورَيْن يصطليانها وبات على النار الندى والمُحَلَّق

فسارت القصيدَة وشاعت في العرب ولم تمض سنة على المحلق حتى زَوّج بناته ويسرت حاله اهـ

وكانت لِشُعراء العرب أَنَفة من التكَسُّب بالشِعر حتى نشأ النابغة الذُّبْياني قُبَيل الاسلام فمدح الملوك وقبِل الصِلَة على الشعر وجاء بعده الأعشى وقد أدرك الاسلام ولم يُسْلِم فجعل الشعر مَتْجَرا وانتجع به أقاصي البلاد وقصد ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته. وكان زُهير ابن أبي سُلْمَى ممن أفاد بشعره بمدائحه لهَرِم بن سنان. على أن شيئا من ذلك لم يضَعْ مِن قدر الشعر ولم يَحُطّ من قيمته لِقّلة مَن كانوا يتكسبون بشعرهم في ذلك العصر .

ومدة العصر الجاهلي نحو مائة وخمسين سنة ومن أشهر ما قيل فيه من الشعر المعلّقات السبع وهى سبع قصائد من أجود الشعر العربي واحسنه أسلوبا ويقال انها كتبت بالذهب على الحرير وعلقت على الكعبة تنويها لها وتعظيما لشأنها وكان العرب يتناشدونها في مجتمعاتهم مترنّمين بما فيها من محاسن الشِيَم مُعْجَبين بما اشتملت عليه من المعاني الشريفة والتشبيه

الحسن البديع وحسن الوصف ودقة المعنى وغير ذلك من المحاسن وأصحابها هم امرؤ القيس وطَرَفَة بن العبد وزهير وعمرو بن كُلْثوم ولبيد وعنترة والحارث بن حِلِّزَة وكلهم من فحول شعراء الجاهلية وممن اشتهر في العصر الجاهلي من الشعراء غير أصحاب المعلقات وكان من فحول الشعراء النابغة الذُّبْيَاني والأعشى والمُهَلْهِل وعَبِيد بن الأبْرص والسَمَوْءل والشَنْفَرَي ودُرَيد بن الصِمّة وأوْس بن حَجَر وحاتم الطائي.

النـــــثر

قد أثِر عن العرب من منثورهم في العصر الجاهلي بعضُ الامثال والحِكَم والخُطَب والوصايا مما عَلِق بالضمير لحسنه وحَرَصت عليه النفس لنفاسه (الامثال) جمع مَثَل وهو جملة وهو جملة من القول مقتطعة من أصلها أو مرسلة بذاتها فَتُنْقَل عما وردت فيه إلى ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها والعرب من أكثر الامم أمثالا للحكمة المُودَعة في نفوسهم ولفصاحة ألسنتهم وميلهم إلى الايجاز في القول. وقد أُلِّفت مجموعات للامثال وطُبِع بعضها ومن ذلك مجموعة للميداني جَمَع فيها أكثر من ستة آلاف مَثل (الحِكَم) جمع حِكْمة وهى الكلام المعقول الموافق للحق المصون عن الحشو والعرب من أكثر الامم ايرادا للحكمة في عبارات حسنة الاسلوب متينة التركيب كلها من جوامع الكلم صادرة عن خبرة ودراية وصفاء نفس.

(الخُطَب والوصايا) الخطب جمع خطبة والوصايا جمع وصيّة وكلٌّ من الخطبة والوصية يُرَادُ به جملة من القول يقصد إلى الترغيب فيما ينفع الناس من أمور معاشهم ومعادهم والتنفير مما يضرهم وقد تشتمل على الفخر والمدح ونحو ذلك. والفرق بين الخطب تكون في المَشَاهد والمَجَامع والايام والمواسم والتفاخر والتشاجر ولَدَى الكُبَراء والأُمَراء ومن الوفود في أمرٍ مُهِمّ وخطب مُلِمّ. وأما الوصايا فانها تكون لقوم مخصوصين في زمن مخصوص على شئ مخصوص وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته أو سيد لقبيلته عند حلول مرض أو محاولة نُقْلة أو ما شابه ذلك وسيرد عليك في هذا الكتاب أمثلة لكل ما تقدّم تُفَصّل لك مُجْمَلَه وتُوَضّح لك مبهمَه السبب الذي دعا إلى الخَطَابة وما يتعلق بذلك (1)[1] لا يخفى ما كانت عليه العرب أيام جاهليتهم من الأنَفَة والتفاخر بالأحساب والأنساب والمحافظة على شرفهم وعلوّ مجدهم وسوددهم حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع العظيمة ولا شك أن كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم أحوج الناس إلى ما يستنهض هممهم ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدهم ويشجع جَبَانهم ويشدّ جَنَانَهم ويثير أشجانهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعزهم أن يُسْتَهان ولشوكتهم أن تُسْتَلَان وتَشَفِّيا بأخذ الثار وتَحَرُّزا من عار الغلبة وذُلّ الدَّمَار. وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا فكانوا أحوجّ إليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأييد مفاخرهم. ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر على ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان. وقد ألف في خطبهم كتب كثيرة وذكر الجاحظ في البيان والتبيين

[1] (1) بلوغ الأرب في أحوال العرب

نبذة صالحة من خطب الجاهلية والاسلام وكذا ابن عبد ربه في العقد الفريد. وكان للعرب اعتناء بالخطيب في جاهليتهم وللخطباء عناية بخطبهم فكانوا يتخيرون لها أجزل المعاني وينتخبون لها الالفاظ تحصيلا لغرضهم ونيلا لمقصدهم فان الالفاظ الرائقة والمعاني الجزلة أوقع في النفوس وأشدّ تأثيرا في القلوب ولذلك ورد انّ من البيان لِسحْرا. والأُذُن للكلام البليغ أصْغَى وأوْعَى والترغيب في العاجل والارهاب في الآجل اللذان هما من أهم مقاصد الخَطابة ومطالبها العالية ان لم يكونا بعبارات تَخْلُب القلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيهما ولا فائدة منهما ومن عاداتهم في الخطابة أن الخطيب اذا تفاخر أو تنافر أو تشاجر رفع يده ووضعها وأدّى كثيرا من مقاصده بحركات يده فذاك أعون له على غرضه وأرهب للسامعين له وأوجب لتيقظهم. ومن عاداتهم فيها أخذ المْخَصرة بأيدهم وهى ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها وكانوا يستحسنون في الخطيب أن يكون جهير الصوت ولذا مدحوا سعة الفم وذموا صغره. ومن فحول خطباء الجاهلية قُسّ بن ساعدة الايِاَدي وأكْثَم بن صَيْفي التميمي وذُو الاصْبَع العَدْواني وعمرو بن كُلْثوم التَغْلبي وقيس بن زهير.

أسواق العرب في الجاهلية

واهتداؤهم إلى تهذيب لغتهم وتوحيدها وعنايتهم بذلك

كان للعرب أسواق يقيمونها في أوقات معينة وينتقلون من بعضها إلى بعض للبيع والشراء وكان يحضرها العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر ويناشدون الاشعار ويلقون الخطب. وكانوا يتحاكمون إلى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غَثّه من سمينه وتفضيل شاعر على آخر فكانوا يُفَضِّلون من سَهُلت عِبَارتَه وكان لها النصيب الأوفر من الفصاحة وحسن البيان مع التحرز من العيب والابتعاد عن النقص ويتخيرون من لغات العرب ما حلا في الذوق وخف على السمع. فكانت هذه الاسواق أندية علمية ومجتمعات لغوية أدبية اهتدى بها العرب إلى تهذيب لغتهم لفظا وأسلوبا وجَعْل لغة الشِعر والخَطَابة لغة واحدة بين جميع القبائل باذلين في ذلك جهد المستطيع. منها مَجِنَّة وذو المَجَاز وعُكَاظ. وأشهر هذه الأسواق سُوق عُكَاظ مِنْ عَكَظَه يَعْكِظه عَكْظا عَرَكَه وهى موسم للعرب من أعظم مواسمهم وعكاظ نخل في واد بين نخلة والطائف من بلاد الحجاز وبينه وبين الطائف عشرة أميال وكانوا يتبايعون في هذه السوق ويتعاكظون ويتفاخرون ويَتَحَاجُّون وينشد الشعراء ماتجدّد لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان :

سأنُشر إنْ حَييت لهم كلاما   يُنَشّر في الَمجَنَّة مَعْ عُكاظ

وفيها كان يخطب كل خطيب مِصْقَع. وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فانهم كانوا يتواتَوْن بها من كل جهة ومن كان له أسِير سَعَى في فِدائه ومن كانت له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة وكانت تقوم هذه السوق من أول ذي القَعْدة إلى العشرين منه على المشهور واتُّخِذت عكاظ سُوقا بعد عَامِ الفيل بخمس عشرة سنة وتُركت بعد أن نهبها الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة ولعكاظ فضل على اللغة العربية في العصر الجاهلي اذ لولاها لاصبحت لغة العرب لغات لايتفاهم أصحابها وانفصلت كل منها عن الاخرى وقتاما ذلك لأن لغات القبائل العربية كان بينهما تفاوت في اللهجة والاسلوب واللفظ وكان هذا التفاوت يقل ويكثر تبعا لضعف وقوة العلاقات التي ترتبط بها قبيلتان أو عدة قبائل وتبعا لاختلاف عوامل المكان والزمان والاجتماع التي يؤثر اختلافها أعظم تأثير في اللغة فلما عَظُم شأن عكاظ وأمّها الشعراء والخطباء من كل مكان كان معظم همهم انتقاء الالفاظ الفصيحة المشهورة عند أكثر القبائل لاسيما قريش طمعا في أن تنتشر أقوالهم بين العرب كافة قال قتادة كانت قُرَيش تَجْتَبِي أي تختار أفضلَ لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن الكريم بها ولو اتبع كل شاعر أو خطيب لهجة قومه ولغة قبيلة وحدها لم يجد من يستحسنها غيرهم ووقفت عن الشهرة ولم تروها القبائل الأخرى فيفوته الافتخار بها وبذلك كان الشعراء والخطباء يبثون وحدة اللغة في أشعارهم وخطبهم فيما بين القبائل المختلفة متبعين في ذلك لغة قريش غالبا. وانما اختاروا هذه اللغة على غيرها لما كان لها من السيادة

على لغات قبائل الحجاز ونجد ولما كان لقريش من رفيع القدر وعلو المنزلة بين جميع العرب.

تاريخ الكتابة والخط عند العرب

كان الغالب على العرب في بعض عصر الجاهلية الأمِّية والذين يعرفون الكتابة والقراءة منهم نفر قليل جدًا. والزمن الذي ابتدئ فيه باستعمال الخط العربي قديم غير معين. وأوّل من كتب بالعربية على أشهر الاقوال أهل اليمن قوم هود عليه السلام وكانوا يسمون خَطّهم بالمُسْنَد وهو الخَطّ الحمْيَري وكانوا يكتبونه حروفا منفصلة ويمنعون العامّة من تعلمه حتى تعلمه ثلاثة نفر من طيئ فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لانه اقتطع من خط حمير ثم علّموه أهل الآنْبار ومن الانبار انتشرت الكتابة العربية فأخذها عنهم أهل الحِيرة وتداولوها ولما قدم الحيرة حَرْب بن أمَيَّة القُرَشِي جدّ معاوية بن أبي سفيان نقل هذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز بعد أن عاد إلى مكة والصحيح أن أهل الحجاز انما لُقّنُوا الكتابة من الحيرة ولُقّنها أهل الحيرة من التباعية وحِمْيَر كما ذكره ابن خلدون قال وقد كان الخط العربي بالغا مَبَالغة من الاتقان والاحكام والجودة في دولة التبابعة لِماَ بلغت من الحضارة والتَرَف وانتقل منها إلى الحِيرة لِماَ كان بها من دولة آل المنذر نُسَبَاء التبابعة والمجدّدين لملك العرب بأرض العراق.

العلوم والمعارف عند العرب في عصر الجاهلية

العرب غير البائدة يرجعون إلى أصلين وهما قحطان وعدنان. أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة والغالب منهم سكن البلاد المعمورة وبنوا القصور وشيدوا الحصون وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها أهل الخبار شرحا وافيا. وكان لهم ملوك وأقيال دوّخوا البلاد وأوغلوا في الارض واستولوا على كثير من أقطارها شرقا وغربا. كل ذلك يدل على وقوفهم على العلوم التي لابد منها في حفظ النظام وعليها مدار المعاش وسياسة المدن وتدبير المنازل والجيوش وتأسيس الامصار واجراء المياه مما لا يمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة. وأما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد أن فرقتهم حادثة سيل العرم فقد كانوا على شريعة موروثة وعلم منزل وهو ما جاء به ابراهيم واسماعيل عليهما السلام إلى أن اختل أمرهم وتغير حالهم فاشتغلوا بما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنْوَاء والنجوم أو من الحروب ونحو ذلك. وكان لهم حظ وافر من معرفة الطب المبني في غالب الامر عى التجربة وكذلك التاريخ فقد تضمن شعرهم شيئا كثيرا منه. غير أن تدوين شئ من ذلك في عصر الجاهلين لم يكن لغلبة الأمّية والاعتماد على الذاكرة وقد نقل ما نقل منه بالرواية والسماع. وكان يقال لهم الأمّة الامّية قال تعالى (هو الذي بعث في الأمّيين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم

ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) اه بتصرف من كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب وقال ابن خلدون وياقوت ما كان في القديم لأحد من الأُمَم في الخلفية ما كان للعرب من المُلْك ودُوَل عادٍ وثمود والعَمَالِقة وحِمْيَرَ والتَّبَابعة شاهدة بذلك وقد ملكوا مصر والروم واستعملوا عليها أحد القياصرة وتوغلوا في الهند والصين وبلاد الفرس والترك والتُّبَّت وأخذوا الأَتَاوَى من القسطنطينية وذكروا ذلك في أشعارهم وغير ذلك مما لا نطيل به ثم دولة في الاسلام بني أمية وبني العباس.

حالة اللغة العربية وآدابها
من بداية ظهور الاسلام إلى الدولة العباسية

جاء الاسلام ولغات العرب ولهجاتهم متشبعة غير أن لغتين منها كانت لهما السيادة على سائرها. الاولى لغة قريش وكانت في مكة وما جاورها. والثانية لغة حِمْيَرَ وكانت في بلاد اليمن. وقد تقدّم في الكلام على عكاظ أن الشعراء والخطباء كانوا يُؤْثِرون لغةَ قريش على سائر لغات العرب ويَبُثُّونها بين القبائل كافة في خطبهم وأشعارهم وكان ذلك قبل ابتداء نزول القرآن الكريم بنحو خمس وعشرين سنة. ولما كان القرآن الحكيم منزلا بلغة قريش أصبحت السيادة لها على لغة حمير وغلبت عليها وعلى جميع لغات العرب ودانَ لها الخطباء والشعراء وسائر المتكلمين بالعربية وصارت بعد ذلك هى اللغة المُتَداولة في المكاتبات والمؤلفات في جميع العلوم إلى يومنا هذا والفضل في بقائها وحفظها انما يرجع إلى الكتاب المجيد وحده ولما فتح المسلمون بلاد الشام والعراق والفرس ومصر وافريقية والمغرب وغير ذلك من البلاد انتشرت اللغة العربية بانتشار العرب وتغلبت على لغاتها الاصلية ولكنها لم تَعُمّ جميعَ الناس دفعة واحدة شأن كل لغة جديدة في مبدأ انتشارها ولقد كان هذا الانتشار سببا لظهور اللحن على لسان من تكلم بالعربية من غير أهلها وكذا على لسان بعض أهلها من المخالطين لهؤلاء. وهذا أمر كان مُتَوَقَّع الحصول لأن اللغة مَلَكة صناعية تؤخذ مفرداتها وأساليبها بالتلقين. فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم

عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيُلَقّنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم يتجدّد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم. فلما خالط العرب غيرهم صار الناشئ منهم يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه. ولقد وفّى ابن خلدون في مقدّمته هذا المقام حقه من البيان. وانك لترى اليوم من المتكلمين بلغتنا من الافرنج ما يوضح لك ذلك من لهجتهم وأساليب عباراتهم التي هى في الحقيقة أساليب لغتهم الاصلية صبغوها صبغة عربية. ولقد ظهر شئ من اللحن في كلام الموالي والمتعرّبين من أوّل عهد الاسلام. من ذلك ما روى أن رجلا لحن بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرْشِدوا أخاكم فقد ضَلّ. وكتب كاتب لأبي موسى الاشعري إلى عمر رضى الله عنه فلحن فكتب عمر إلى أبي موسى أن اضرب كاتبك سوطا واحدا. غير أن اللغة في العصر الاوّل كانت ملكتها مستحكمة وما ظهر من اللحن كان يسيرا. وفي أوائل الدولة الأموية أخذ اللحن يفشو وينتشر وانتقل من الاعاجم إلى العرب أنفسهم من أبناء الخلفاء والامراء والخاصة والعامّة. ومن شواهد ذلك أن زِيَاد لما أوْفَد ابنَه عُبَيد الله إلى معاوية كتب إليه معاوية أن ابنك كما وَصَفْتَ ولكن قَوّمْ لِسانَه. وجاء رجل إلى زياد وهو أمير البصرة فقال أصلح الله الامير تُوُفِّي أبانا وترك بَنُونا فقال زياد متعجّبا مُنْكِرا توفى أبانا وترك بنونا. وقالت ابنة أبي الاسود الدُّؤَلي له يوما ما أحسنُ السماءِ فقال نُجُومُها فقالت اني لم

أرد هذا أو انما تعجبت من حسنها فقال لها اذاً فقولي ما أحسنَ السماءَ وافتحي فاك. وسمع ابو الاسود قارئا يقرأ قوله تعالى (ان الله بريء من المشركين ورسوله) بجرّ رسوله فأكبر ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله. وكان هذا سببا في وضع علامات الاعراب للمصحف بأمر زياد. وقال الحجاج يوما للشَّعْبي كم عطاءَك فقال ألْفَين قال ويحك كم عطاؤك فقال ألفان قال كيف لحنت أوّلا قال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت. وقيل لعبد الملك بن مَرْوان لقد عجل إليك الشَّيْب يا أمير المؤمنين فقال شَيَّبَني ارتقاء المَنَابر وتَوَقُّع اللَّحْن. وكان الوليد بن عبد الملك كثير اللحن وله في ذلك نوادر كثيرة.

الكتابة والخط

كان انتشار الكتابة قبل الاسلام قليلا بين العرب كما تقدّم ومنذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم انتشرت الكتابة للحاجة اليها في كتابة الوحي والرسائل التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والامراء وقد أمر بعد غزوة بدر من لم يكن له فداء من الأسْرَى أن يُعَلِّم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة. ولما كثرت الفتوح في مدّة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وضَعَ دِيوانَ الخَرَاج وديوان الجيش لضبط الاعمال وكان ذلك في المحرم سنة عشرين. وقد كان ديوان الخراج والجِبَايات في بلاد العراق والشام ومصر يُكتب فيه بغير العربية إلى زمن عبد الملك بن مروان

وابنه الوليد حين ظهر في العرب ومواليهم مَهَرة في الكتابة والحساب فنقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية والذي نقله هو صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان يكتب بالعربية والفارسية. ونقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية والذي نقله هو سليمان بن سعد وإلى الأُرْدُن وأكمله لسنة من ابتدائه ووقف عليه كاتب عبد الملك فقال لِكُتاب الرُّوم اطلبوا العيش من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم. ونقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية والذي نقله هو عبد الله بن عبد الملك ابن مروان في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين وأصبحت الدواوين الاسلامية بعد ذلك تكتب كلها بالعربية. وأوّل كتاب كتب باللغة العربية هو القرآن الكريم وقد كتبت المصاحف العثمانية بخط الجزم (وسمى بالخط الكوفي بعد انشاء الكوفة) واستعمل في عهد بني أمية مع ترقيه في درجات الحس تبعا لحضارة الأمّة. وقد كان المصحف خياليا من الشكل والنقط غير أنه لكثرة المسلمين بسرعة انتشار الدين وظهور اللحن والتحريف خُشىَ على القرآن الكريم من ذلك فقام أبو الاَسْوَد الدُّؤلي ووَضَع له علامات الاعراب في أواخر الكلمات بصِبْغ يُخالِف لَون المِداد الذي كُتب به المصحف. وجعل علامة الفتح نُقْطة فوق الحرف والضم نقطة إلى جانبه والكسر نقطة في أسفله والتنوين مع الحركة نقطتين وذلك في خلافة معاوية. ثم ان الحجاج في مدّة عبد الملك بن مروان أمر نصر بن عاصم أن يضع له النقط والشكل لأوائل الكلمات وأواسطها وخالف في ذلك طريقة أبي الاسود لئلا يلتبس النقط بالشكل. وبعد ذلك جاء الخليل بن أحمد فتمم بقية علامات الاعجام (الشكل) كالشَّدّة والصِلَة والقطعة وهذب

جميع العلامات فجعل الضمة واوا صغيرة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة تحته والفتحة ألفا مسطوحة فوقه والشدّة رأس سين والصلة رأس صاد وسمى كل هذه العلامات بالشكل أخْذًا مِن شِكَال الدابة الذي تقيّد به فكأن شكل الكلمة يقيدها عن الاختلاف فيها وكان المعروف من الخط في ذلك العصر نوعان. أحدهما يستعمل في كتابة المصاحف ونحوها والمسكوكات مما يُحْتاج فيه إلى التّأنّق والاجادة وحُسْن النَسَق. وثانيهما يستعمل في كتابة الرسائل ونحوها مما يُطلَب فيه الاسراع ولا يُحتاج فيه إلى التأنق وزيادة التحسين. والنوع الاوّل هو المعروف بالخط الكوفي وأما النوع الثاني فانه أصل خط النَسْخ ارتقى في الحُسْن والجَوْدة شيأ فشيأ حتى تحوّل إلى ما هو عليه اليوم. ثم ان الخط بنوعيه انتقل إلى الامصار التي انتشر فيها الاسلام وتنوّعت أشكاله ورسومه فانتقل في عصر الامويين إلى أفريقية وتولد منه الخط المغربي المستعمل الآن في المغرب الاقصى والجزائر وتونس وطَرَابُلُس.

النثر والنظم وفضل القرآن الكريم

على اللغة العربية في تهذيبها وترقيتها

قد أخذت اللغة العربية عند ظهور الاسلام وِجْهَةً دينِيّة من القيام بالدعوة إلى الدِّين والوعظ وتبيين العقائد الصحيحة وقواعد الاسلام وأصوله وأحكامه وحِكَمه وآدابه. وانك لترى في كلام الصدر الاول من أهل الاسلام الحَثّ على اتّباع الدين والتمسك به واعلاء كلمة الحق والعمل للآخرة والأخذ من الدنيا بنصيب والتحذير من الاسترسال مع الشهوات والأهواء والنظر إلى خيرات الأقاليم التي فتحها المسلمون والتطلع إليها خوف الوقوع في الزَّلَل. فترى رسائل هذا العصر المنير وخُطَبه تُرَدِّد صدى الكتاب العزيز حاثّة على الفضيلة مُنَفِّرة من الرزيلة. وكُلُّها جاء فيه اللفظ تابعا للمعنى لم يُتَعَمَّد فيه ضَرْب من ضروب الصنعة الكلامية صادرة عن شعورٍ حَيّ ووجْدان صادق ولذا نَفَذت إلى سُوَيداء القلوب وأصابت مواقع الوجدان. واذا كان الكلام خارجا من القلب فانه يقع في القلب واذا لم يكن صادرا الا عن اللسان فانه لا يتجاوز الآذان. وقد قضت هذه الحكم والمواعظ والخطب والنصائح على الرذائل والأوهام بالزوال وفَسّحت للفضائل والحقائق فرأت أهلا ومكانا سهلا فتحلّت بها النفوس والعقول وقويت العزائم وعَلتْ الهِمَم فساد المسلمون جميع الأمم. ويرى الناظر إلى حالة اللغة في عصر الدولة الاموية انها انتقلت إلى حالة أجمل مما كانت عليه لانتقال القوم من البداوة إلى الحضارة ومن سكنى الخِيام إلى سكنى القصور فاتسعت مداركهم وزادت تَجَارِبُهم وقوِى فيه الخيال وكثرت

التصورات وانتقلوا من حال إلى حال فأشعر ذلك نفوسّهم معانىَ جديدة ووِجدانا وعلما لم يكونا من قبل. فاحتاجوا إلى العبارة عن ذلك بما يلائمه من الالفاظ والتراكيب وساعدهم على صوغ العبارات في القالب اللائق بها قوة اللغة واتساعها وأخذهم بزمامها. وقد ظهر ذلك في خطبهم ورسائلهم ظهورا بَيِّنًا وكانت موضوعاتها في الغالب الوَعْظ والارشاد والذَّود عن الحقوق وايقاف الاطماع عند حَدّها وكَبْت الخارجين وتأليف الاحزاب وتوحيد الكلمة وكانت العبارات لا تزال آخذة اسلوبا حَيًّا مؤثِّرا مع إحكام صنعةٍ وحسن عبارة وجودة مقاطع.

الخَطابة

كانت خُطَب الصدر الاول من الاسلام في اسمى طبقات الفصاحة والبلاغة كما ترى ذلك في خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين كمعاوية وزِيِاَد وعبد الملك والحجَّاج وقَطَرِىّ بن الفُجَاءة وأبي حمزة وواصل بن عطاء. والفضل في ارتقاء الخَطابة يرجع إلى الكتاب المبين من وجوه كما بَيّن ذلك صاحب كتاب أشهر مشاهير الاسلام قال في بيان هذه الوجوه

(1) ان القرآن الكريم وان نزل بلغة القوم التي بها يتخاطبون وبفصاحتها يتفاخرون إلا أن أساليبه العالية التي أعجزت خطباءهم وفصحاءهم وأخذت بمجامع قلوبهم ألْبَسَتْهم مَلَكة من البلاغة في تَخَيُّرَ

الاساليب غَيّرت مَلَكَتهم الاولى وأطْلَقَت ألسنَتَهم من الوحشية والتعمق الذي كان دَيْدَان كثير من خطبائهم حتى انهم كانوا يعيبون الخطيب المِصْقَع اذا لم يكن في كلامه شئ من آي القرآن. روى الجاحظ أن العرب كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار وحسن الموقع.

(2) ما جاء في القرآن من الترغيب والارهاب على الاسلوب البالغ حد الايجاز وما كان له من التأثير في الضمائر والاخذ بشكائم النفوس أعانهم على التفنن في أساليب الوعظ الخطابي عند حلول الازمات أو الحاجة إلى تأليف قلوب الجماعات حتى لقد كان الخطيب البليغ يدفع بالخطبة الواحدة من المُلِمّات ما لا يُدْفَع بالبيض المُرْهَفات ويملك من قلوب الرجال ما لا يُمْلك بالبِدَر والاموال.

(3) ان الاسلام بما هَذَّب مِن أخلاقهم وألَانَ من طباعهم وعَدّل من شِميهم أدخل من الرقة على عواطفهم ما رق به كلامهم وكَثُر للمعاني المؤثرة في النفوس اختيارهم في مخاطبتهم وخطبهم .

(4) ان الاسلام بما مهد لهم من سبيل الفتح ومخالطة الامم وبما منحهم من سعة السلطان والسيادة على الشعوب وفّرَ لهم الاسباب الداعية إلى التوسع في الخطابة بما تتطلبه حاجة التوسع من الملك وتقتضيه عادات الأمم المحكومة وأخلاقها ا هـ بتصرف يسير في العبارة وكان الخطباء في هذا

العصر يمسكون بيدهم العصا أو المِخْصرة كما كان عليه خطباء الجاهلية قال عبد الملك بن مروان لو أَلْقَيْت الخَيْزُرانة من يدي لذَهَب شَطْر كلامي.

الرســـائل

في صدر الاسلام كانوا يكتبون من فلان إلى فلان وجرى على ذلك الصحابة والتابعون حتى وِلِّي الوَليد بن عبد الملكف فأمر أن لا يكاتِبه الناس بمثل ما يكاتِب بعضهم بعضا وبقى الحال كذلك الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد حيث اتبعا السنة الاولى وبعد ذلك رجع الامر إلى ما كان عليه الوليد. وفي أواخر الدولة الأموية أخذت الرسائل أسلوبا غير الذي كانت عليه ودخلتها الصنعة والقصد إلى تنميق اللفظ وابتدأ ذلك الانقلاب بعبد الحميد بن يحيى الكاتب وهو أوّل الطبقة الثانية من الكتاب. وكانت الرسائل قبل عبد الحميد موجزة غالبا ثم طُوِّلت لاقتضاء المقام تطويلها.

النظـــــم

قد انصرف العرب عن الشعر والمنافسة فيه في أوّل عصر الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبؤة والوحي وما أدهشتهم من أسلوب القرآن ونظمه فَأُخْرِسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك وأُونسَ الرُشْد من المِلّة ولم ينزل الوَحْي في تحريم الشعر وحَظْره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه فرجعوا حينئذ إلى دَيْدَنهم منه. وكان لعُمَر بن أبي ربيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية

وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يَعْرِض شِعْره على ابن عباس فيقف لاستماعه مُعْجَبا به ثم جاء من بعد ذلك المُلْك والدولة العزيزة وتَقَرَّب اليهم العرب بأشعارهم يمتدحونهم بها ويجيزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نسبة الجودة في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويَحْرِصون على استهداء أشعارهم يَطَّلِعون منها على الآثار والاخبار واللغة وشرف اللسان. والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم يزل هذَا الشأن أيام بني أمية وصدرا من بني العباس ا هـ من المقدّمة لابن خلدون من الفصل الخمسين من الكلام على العموم. وقال حَمّاد الراوية أمَرَ النُعمانُ فنُسِخت له أشعار العرب في الطُنُوج أي الكراريس فكُتِبت له ثم دَفَنها في قَصْره الاَبْيض فلمّا كان كان المختار بن عُبَيد قيل ان تحت القصر كنْزا فاحتَفَره فأخرج تلك الاشعار فِمن ثَمّ كان أهل الكُوفة أعلم بالاشعار من أهل البَصْرة. وقال ابن خلدون أيضا ان كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فانّا نجد شعْر حَسّان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحُطَيْة وجَرير والفَرَزْدق ونُصَيْب وغَيْلان ذي الرُمّة والأحْوص وبَشَّار ثم كلام السَّلَف من العرب في الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية في تَرَسُّلهم وخُطَبهم ومُحَاوَرتهم للُملُوك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابِغة وعنترة وابن كُلْثوم وزُهَير وعَلْقمة بن عَبَدَة وطَرَفة بن العَبْد ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاورتهم والطبع اسليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة. والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما لكونها وَلَجَت في قلوبهم

ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طِبَاعهم وارتقَت مَلَكاتهم في البلاغة على مَلَكات مَن قَبْلَهم من أهل الجاهلية مِمّن لم يَسْمَع هذه الطَبَقة ولا نشأ عليها فكان كلامُهم في نَظْمهم ونَثْرهم أحسنَ دِيباجةً وأصفَى رَوْنقاً مِن أولئك وأرْصَفَ مَبْنِىً وأعْدَل تثقِيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة ا هـ. والشعراء الذين أدركوا الجاهلية والاسلام يُسَمَّون المُخَضْرَمين (من الخَضْرمة وهى الخَلْط لانهم جَمَعوا بين العَصْرَين الجاهلي والاسلامي) ومِن أشهرهم حسّان بن ثابت والنابغة الجَعْدِي وكَعْب بن زُهَير والعَبّاس بن مِرْداس والحُطَيْئَة. وأما الذين لم يُدْرِكوا عصر الجاهلية بل نَشَؤا في الاسلام بعد هؤلاء المخضرمين فانهم يسمون بالاسلاميين ومِن أشهرهم جَرِير والفَرَزْدق والأخطل وذو الرُّمّة والكُمَيت وبَشَار ابن بُرْد آخرهم وهو ممن أدرك العصرين الآموي والعباسي. وكلا الفريقين يُسْتَشْهد بكلامه في اللغة ويُحْتَجّ به. وقد امتاز الشعر في هذا العصر ببلاغة في المعنى ومتانة في التعبير وإحكام في التركيب مع رقّة وحُسْن تصرف في القول وسَعة في التصوّر فاق في كل منها الشعر الجاهلي. ولم يزل للشعر من المكانة في النفوس في العصر الأموي وصدر من العصر العباسي مثل ما كان له في العصر الجاهلي وان كان بعض المخضرمين كالحطيئة والاسلاميين كالأخطل وجرير اتّخذوه صناعة للتكسب وطَلَب الرّزْق من السادات والامراء والخلفاء فان ذلك لم يَحُطّ مِن قَدْره ولم يَخْضِد من شوكته ومن شواهد ذلك ما رواه الجاحظ في البيان عن أبي عبيدة قال كان الرجل من بني نُمَير اذا قيل له ممن الرجل يقول نُمَيري كما ترى فما هو إلاّ أنْ قال جرير :

فَغُضّ الطَرْف إنّك من نمير   فلا كعبا بَلَغْتَ ولا كلابا

حتى صار الرجل من بني نمير اذا قيل له ممن الرجل قال من بني عامر.
وروى الجاحظ أيضا عن أبي عبيدة قال كان الرجل من بني أنفْ الناقة اذا قيل له ممن الرجل قال من بني قُرَيْع فما هو الا أن قال الحطيئة قَوْمٌ هُمُ الانْفُ والاذْنَاب غَيْرُهُمُ ومَن يُسَوّي بأنف الناقة الذَنَبا حتى صار الرجل منهم اذا قيل له ممن الرجل قال من بني أنف الناقة.

العلــوم والمعـــارف

جاء القرآن المجيد بحكمه السامية وأحكامه العادلة كافلا لمن عمِل به سعادة الدنيا والآخرة فوجد فيه المسلمون غُنْيَتَهم وجَعَلوه هو والسُنّة النَبَوية عُمْدَتَهم ومَرْجعَهم مدّة الخُلَفاء الراشدين والدولة الأموية. وكان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون دقائق الكتاب ويدركون حِكمَه وأسراره ويعرفون أحكامه من غير احتياج إلى تعلم العلوم اللسانية كالنحو والصرف وعلوم البلاغة ومَتْن اللغة لانّ الكتاب كان مُتَنَزَّلا بلُغَتهم التي هم بها يتخاطبون وكانوا على علم تام بالحوادث التي نزل فيها القرآن وبأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وأنواع النَسْخ والمحكم والمتشابه والمجمل والمفصل إلى آخر علومه التي أفردها الأئمة بالتأليف وغاية الاشتغال بهذه العلوم اللسانية انما هو الوصول إلى معرفة اللغة كما كانت تعرفها العرب.
ولم يكن لديهم من بقايا قدمائهم في العلوم الدنيوية الا البعض كالطّبّ الذي ورثوه عن أسلافهم. ولا يذهبن بك الوهم إلى أن الدين الاسلامي

يصدّ عن الاشتغال بالعلوم والفنون الدنيوية اذ الكتاب العزيز جاء حاثا على النظر في ملكوت السموات والارض منبها إلى الانتفاع بكل ما يمكن الانتفاع به من هذه الخليقة بصريح العبارة في الآيات العديدة غير أن المسلمين في أوّل ظهور الاسلام كان يمنعهم عن الاشتغال بهذه العلوم انصرافهم إلى القيام بدعوته وتَصَدّيهم لتهذيب جميع العالم وترقيته وتخليص من حَوْلَهم منَ الامَم مِن شوائب الأوهام والرذائل. فكانوا خُصَمَاء للعالم كله. فلما تضمّخ الخافِقانِ بطيب عبيره وارْتَوى الافُقانِ من عُذَيب نَميره واستقرّت من الدين دعوته وعلت كَلِمته ونَفَذَت شَوْكته وُجّهَت العناية إلى تلك العلوم الدّنيوية في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية. وقد ظهرت آثار العلوم العقلية في أوائل القرن الثاني وترجمت جملة من الكتب العلمية والصناعية. وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يسنظهرون الاحاديث النبوية ولا يكتبونها وجرى التابعون على سنتهم حتى كانت خلافة عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه فكتب إلى الافاق (أنظروا حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوه) ودوّنه بأمره محمد بن شهاب الزُهْري المتوفَى سنة 125 وكان ابتداء تدوين الحديث على رأس المائة. وبعد ذلك دُوّنت كُتُب الحديث تِباعا في عصر العباسيين ووجهت إليها العناية حتى ضبطت ضبطا محكما. وأما البراعة في الآداب من العلم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وانشاء البليغ من النثر فانها قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغا لم تبلغه أمة قط في مثل مدّتها. وقد كان الخلفاء من بني أمية يُعْلُون مَنْزِلتها ويرفعون مكانات الشعراء والخطباء والعلماء وكذا الدولة العباسية وأخبار المهدي مع المفضَّل وحَمّاد وحديث الرشيد مع

الاصمعيّ حلية تلك القلادة وقال الامام أبو الحسن بن سعيد العسكري بلغ من عناية بني أمية وشغفهم بالعلم انهم ربما اختلفوا وهم بالشام في بيتٍ من الشِعر أو خَبَرٍ أو يوم من أيام العرب فيُبرِدون فيه البَرِيد إلى العِراق حتى قال أبو عبيدة ما كنا نفقِد في كل يوم راكبا من ناحية بني أميّة ينيخ على باب قَتَادة يسأله عن خَبَرٍ أو نَسَب أو شِعر فقدِم عليه رجل من عند أبناء الخلفاء من بني مروان فقال له مَن قَتَل عامرا وعمرا التغِلبيَّين يومَ قِضَّة فقال أجَلْ قَتَلهما جحدر بن ضُبَيْعَةَ بن قَيس بن ثَعْلَبة فشخَصَ بها ثم عاد إليه فقال قتلهما جَحْدَر ولكن كيف قتلهما جميعا فقال اعْتَوَرَاهُ فطعَن هذا بالسّنَان وهذا بالزُّجُ فَعَادَى بينهما بينهما ثم قال ولم يزل المأمون حين دخل العراق يراسل الاصَمعيّ في أن يجيئه ويحرص على ذلك والشيخ يعتذر بضعفٍ وكِبَرٍ ولم يُجِب فكان الخلفية يجمع المسائلَ ويُنْفِذها اليه إلى البصرة ا هـ باختصار. وقد كتب شئ من التاريخ في زمن معاوية رضى الله عنه وقال ابن خلكان أنه رأى تأليفا لوهب بن منبه المتوفي سنة 116 في أخبار ملوك حمير وَأشعارهم وكان وضع علم العربية في آخر عهد الخلفاء الراشدين بسبب انتشار اللحن وأول من وضعه وأسس قواعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه وأخَذه عنه أبو الاسْوَد الدُؤَلي وأتمّه.

قال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري في كتابه تاريخ الادباء بعد كلام مانصه وسبب وضع علي كرم الله وجهه لهذا العلم ما روى أبو الاسود قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فوجدت في يده رُقْعة فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين فقال اني تأملت كلام العرب فوجدته

قد فسَد بمخالطة هذه الحَمْراء (يعني الاعاجم) فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه. ثم ألقى إليّ الرقعة وفيها مكتوب (الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبئ به والحرف ما أفاد معنى) وقال لي انْحُ هذا النَحْو وأضِفْ إليه ما وقع إليك واعلم يا أبا الاسود أن الاسماء ثلاثة ظاهر ومضمر واسم لاظاهر ولا مضمر (وأراد بذلك الاسم المبهم). قال ثم وضعت بابي العطف والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب ان واخواها فكتبتها ما خلا "لكنّ" فلما عرضتها على أمير المؤمنين عليه السلام أمرني بضم "لكنّ" إليها. وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو وعرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال ما أحسن هذا النحو الذي نحوتَ فلذا سُمِّي "النحو" ا هـ.

وأخذ عن أبي الاسود جمع من الطُّلَّاب من أشهرهم نصر بن عاصم المتوفي سنة 89 بالبصرة وهو واضع النقط والشكل للمصحف كما تقدم. وجاء بعده جمع من آئمة العربية أحكموا ترتيب القواعد وأكثروا من الادلة والشواهد وسيرد عليك ترجمة بعضهم في هذا الكتاب.

حالة اللغة العربية وآدابها

في عصر الدولة العباسية وما بعدها

جاءت الدولة العباسية وقد انتشرت العرب في أنحاء المعمورة وامتدّ ملكهم شرقا وغربا من الهند إلى الاندلس ودانت لهم أمم كثيرة مختلفة اللغات واللهجات دخل أكثرهم في الاسلام واختلطو بالعرب وتكلموا بلغتهم فكثر المتكلمون بالعربية من غير العرب وهم كما تعلم من الاعاجم الذين لم تكن العربية ملكة فيهم كالعرب فسرى الفساد إلى اللغة وفشا الّلْحن والتحريف. وكان أوّل ما ظهر ذلك في المُدن والامصار ثم دبّ إلى البَدْو بعد زمن طويل لقلة اختلاطهم بالاعاجم. ومن لم يختلط منهم لم تفسد لغته. وكانت سرعة الفساد وبطؤه تابعين لكثرة المخالطة وقلتها ولما تغلب العجم من الديلم والسلجوقيه على الممالك الاسلامية في بلاد فارس والعراق والشام زاد فساد اللغة وكاد اللسان العربي يذهب لولا الكتاب المجيد. وبعد أن سقطت الدولة العباسية وتغلب التَّتر والمُغُول بالمشرق (ولم يكونوا وقت تغلبهم مسلمين ثم دخلوا في الاسلام بعد ذلك) أخذت اللغة العربية في البلاد الفارسية وما جاورها في الاضمحلال حتى لم يبق لها رسم في الممالك الاسلامية بالعراق العجمي وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند وبلاد الروم الاّ في كُتُب الحديث والدِّين وبعض كتب العلم حتى ان كثيرا من مؤلفاتها كتب بغير اللغة العربية كالتركية والفارسية والهندية وذهبت أساليب اللغة من النثر والنظم الا قليلا وبقيت العربية ببلاد العرب

والعراق العربي والشام ومصر وبلاد المغرب ثم تشرّف بالاسلام أولئك المتغلِّبون فعاد في بلادهم إلى العربية بعض رُوَائِها وفاضَ بعد أنْ غاض مَعِينُ رَوَائِها غير أن لغة الكلام أصبحت بعيدة عن لغة الكتابة لكثرة ما دخلها من التغيير والتبديل واتسعت مسافة الخلف بينهما. فالكتابة لا تزال باللغة العربية الصحيحة في الكتب المعتبرة وأما الكلام فقد تغلبت عليه اللغة العامية وهى خليط من اللغة العربية بعد تحريف كلماتها وتغيير أساليبها ولهجتها مع بعض كلمات وأساليب من لغات أخرى امتزجت بها. وهذه اللغة العامية كل يوم في تقلب وتغير لاختلاف المخالطين لأهلها من الاعاجم وتفاوت سلطتهم قوة وضعفا. ولذا تجد اللغات العامّية تختلف في لهجتها وبعض كلماتها باختلاف البلاد والعصور كما ترى ذلك في لغة أهل مصر والشام وبلاد المغرب اذا قارنتها بعضا ببعض وفي لغة أهل الجزائر اليوم ولغتهم قبل ذلك بخمسين سنة. ولقد أتى في مصر والشام زمن طويل على اللغة العامّية زاحمت فيه اللغة العربية الصحيحة في الكتابة وفي بعض المؤلفات كما ترى شيأ من ذلك في تواريخ ابن اياس والجبرتي والانس الجليل وربما تعمَّد مؤلفوها ذلك لإِفهام العامّة وتراه أيضا في كتابة الدواوين بمصر في القرن الماضي ولا تزال آثارها ظاهرة إلى اليوم ظهورا بينا في بعضها وقليلة أو نادرة في بعضها الآخر.

بل كانت لغة الدواوين في مصر بعضها لا يفهم لبعده عن كل من اللغة العامّية واللغة الصحيحة ولكن عناية الله تعالى تداركت هذه اللغة الشريفة وهى على آخر رمق من حياتها بعلماء أفاضل أخذوا بناصرها من زمن غير

بعيد ونهضوا بها نهضة لم تكن في الحسبان حتى أرجعوا إليها بعض ما فقدته من قوّتها.

النثر والنظم

اتسع نطاق النثر في العصر العباسي اتساعا عظيما ودوّنت به جميع العلوم من دينية وأدبية ورياضية وطبية وفلسفية وغير ذلك مما وضعه المسلمون أو ترجموه من اللغات الاجنبية إلى اللغة العربية وقد استدعى هذا استعمالَ هذا كثير من الالفاظ بحسب اصطلاحات العلوم والفنون كما ترى ذلك في اصطلاحات علوم الدين والأدب والرياضة والطب والفلسفة من الألفاظ العرفية المستحدثة وكانت عبارة التأليف من ابتداء تدوين العلوم إلى حوالي القرن الرابع خالية من التعقيد حسنة الأسلوب متينة التركيب قريبة المأخذ لاسيما علوم الأدب والشريعة أصولا وفروعا حتى كتب القواعد النحوية من اللغة. وكذا كان شأن الرسائل والتحرير في أي غرض كان في ذلك العصر الذي زهت فيه العلوم وحَيِيَت الآداب وعَمّت الحضارة والمَدَنية وبلغ كل ذلك غايته من الارتقاء بين الأمّة الاسلامية. غير أنه دخل شئ من التكلف في النثر والنظم ولكنه كان مستترا بحسن السبك وإحكام الصنعة في الغالب ولم يكن ليؤثر في جملة المنظوم والمنثور تأثيرا كبيرا لقلته ولحسن التصرف فيه وبعد ذلك أخذت هذه الحياة الادبية في الضعف تبعا لضعف الخلافة العباسية العربية وكثر التكلف في الكتابة والنظم ومال كثير

من الكتاب إلى السجع وكاد بعضهم يهمل جانب المعنى لاهياً عنه بالالفاظ وتنميقها والجناس ونحوه من المحسّنات اللفظية حتى صنفت كتب بالكلام المسجوع كتاريخ العتبي والفتح القدسي لكنّ عبارة التأليف فيهما وفي كثير من الكتب لا تزال راقية عالية الأسلوب وكذا بعض الرسائل والمحررات حتى دخلت اللغة في دور الانحطاط بسقوط الدولة العباسية شيأ فشيأ إلى عصرنا هذا حيث أخذت تستعيد بقدر الامكان ما كان لها من حسن الأسلوب ومتانة التركيب مع البعد عن تكلف السجع والجناس والقصد إلى المعنى. والفضل في ذلك يرجع للنهضة العامّة في مصر والشام كما تقدّمت الاشارة إلى ذلك في الفصل السابق.

النظم

قد فَسَحَت الحَضارة وسعة العمران لشعراء الدولة العباسية مجالا لم يَنْفَسِح للشعراء قبلهم فذهبوا فيه المذاهب وتفننوا وأبْدَعوا وتصرّفوا في المعاني وأجادوا السَّبْك وأحكموا الصنعة وفاقوا في الرِّقة والسهولة والتفنّن في القول مَن تَقَدَّمهم من شعراء الدولة الأموية. ولا عجب في ذلك فقد وصفوا ما شاهدوه مما امتلأت به أيدي الفاتحين من خيرات الاقاليم وما وقع تحت حسهم من آثار الامم التي تغلبوا عليها واللغة في عنفوان شبابها والخلفاء من أكبر أنصارها (والناس على دين ملوكهم) وانك لترى العجب في كلام شعراء العباسيين إلى نهاية القرن الثالث فقد بلغوا الغاية في كل

ماتكلموا فيه واستمر الشعر في قوّته بعد القرن الثالث غير أن الشعراء المجيدين أخَذَ عَدَدهم يقلّ شيأ فشيأ حتى انتهوا بالطُّغْرَائِي المتوفى سنة 513 وجاء بعد هؤلاء قوم اشتهروا ولكنهم لم يبلغوا شأو من تقدّمهم وكان آخرهم صَفيّ الدِين الحِلّى المتوفى سنة 740 وبعد ذلك أصبح النظم كالنثر في حكمه ضعفا وقوة حتى عصرنا هذا وشعراء الدولة العباسية يسمون بالمولدين وقد امتاز شعرهم بالرقة والسهولة وعذوبة اللفظ والتوسع في التشبيه والمجاز والكناية والتوغل في الخيال مع القرب من الحقيقة أحيانا وقد أكثر المتأخرون منهم من المحسنات البديعة حتى صار لكلامهم مَسْحَة ظاهرة من الحُسن من دونها معنىً تافه أو غلوّ غير مقبول.

وقد كان لكل شاعر طريقة امتاز بها في شعره وقد جمع بعضهم بين النثر والنظم واتفق له في كل منهما كلام جيد كالبديع والخوارزمي والميكالي والشريف الرضى. ولقد كان للشعر مكانة في النفوس وسلطان عليها إلى صدر الدولة العباسية ثم فقد تأثيره بعد ذلك لكثرة المتبذلين من الشعراء في المدح والهجو ولغُلُوّهم في ذلك وكذبهم ولانحطاطهم من أعين العظماء خصوصا غير العرب الذين لا يقع من نفوسهم الشعر الجيد موقعه من نفس العربي. وقد زاد المولدون أوزانا للنظم كالموشح والسلسلة والدو بيت وتفننوا في النظم فخمّسوا وشطّروا وتصرفوا فيه تصرفا كثيرا. وفحول شعراء المولدين والمجيدين من كتابهم كثيرون فمن الفريق الاول بعد بشار بن برد مسلم بن الوليد وأبو نُوَاس وأبو العَتَاهِية وأبو تمام والبُحْتُرِي وابن المُعْتَزّ وابن الرُّميّ والمُتُنَبِيّ والشريف الرَّضِي وأبو العلاء المعَرّي وأبو فراس والحَسَن بن هانئ الاندلسي وابن خَفَاجة والطُّغْرائي ومن الفريق الثاني بعد

الحميد بن يحيى ابراهيم الصُّولي والحسن ابن وهب والجاحظ وابن العَمِيد والصابئ وابن عَبّاد والخوارزمي والبديع والحريري والقاضي الفاضل وعبد اللطيف البغدادي.

الخط العربي

في عصر العباسيين توجهت العناية إلى تجويد الخط وتحسينه وخالفت أوضاعه في بغداد أوضاعه في الكوفة في الميل إلى اجادة الرسوم وجمال الشكل. واخترعت الأقلام المختلفة فظهر قلم الثلث والثلثين والنصف نظرا لاستقامة ثلث الحروف أو ثلثها أو نصفها وغير ذلك من الاقلام الأخرى. واستمر الخط آخذا في الارتقاء والجودة حتى ظهر ببغداد الوزير الكاتب أبو علي محمد بن علي بن مقلة المتوفى سنة 328 واخترع نوعا من الخط سمى بالخط البديع. وقد اشتهر بين الكتاب أن هذا الخط البديع هو خط النسخ الشائع اليوم نقله ابن مقلة عن الخط الكوفي. ونفى ذلك بعض الباحثين مستدلين بوجود خط النسخ قبل زمن ابن مقلة. والظاهر أن ابن مقلة لم يخترع خط النسخ اختراعا ولكنه تصرف فيه تصرفا بديعا ونقله إلى صورة امتاز بها عن أصله في الجودة والحسن. وهذا مقام لا يزال محتاجا إلى البحث والتحقيق. وكان ابن مقلة يضرب به المثل في حسن الخط. وتلاه في ذلك أبو الحسن على بن هلال الكاتب الشهير المتوفى سنة

423 وقد أقرّ له أهل زمنه بالسابقة وعدم المشاركة في حسن الخط وهو الذي هذّب الخط العربي ونقّحه بعد ابن مقلة.

ثم ان الخط الكوفي أهمل بتوالي الايام وحل محلّه خط النسخ. وقد تفنن التُّرك في تحسين الخط وتنويعه فاخترعوا خط التعليق والرقعة وأوصلوا النسخ والثلث إلى أقصى درجات الحسن والاتقان كما هو مشاهد الآن. والخط العربي منتشر في البلاد الاسلامية كلها تكتب به العربية والتركية والفارسية والافغانية ولسان أردو بالهند ولسان الملايو بجزيرة جاوة وما حولها.

العلوم والمعارف

قد اعتنى الخلفاء والعلماء في عصر الدولة العباسية بتدوين العلوم الاسلامية فوضعوا أصول الفقه وصنفوا في فروعه واستنبطوا أحكامه ودوّنوا الحاديث النبوية وتفسير القرآن الكريم وعلوم العربية واستخرجت علوم البلاغة ووضعت لها القوانين والشواهد ووُضع العَروض وحصرت أوزان الشعر العربية في دوائرها الخمس. وألفَّوا وترجموا كتبا في الطب والهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية وتقويم البلدان والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص. واعتنوا باللغة وضبطها وتصرفوا فيما ترجموه فنقحوا وهذبوا وزادوا واستنبطوا وأصلحوا كثيرا من أغلاطه. وقد وسعت اللغة العربية كل العلوم التي ألفت بها أو نقلت إليها ولم يدخل من

الالفاظ الاعجمية الا شئ يسير وأكثر ما وقع ذلك في الكتب التي عرّ بها بعض من لا يحسنون العربية. وتفصيل الكلام على هذه العلوم واشتغال المسلمين بها وعنايتهم بتهذيب ما ترجموه وجعله صالحا لان ينتفع به كل ذلك يحتاج إلى تأليف الاسفار الكبار ليوفي حقه من البحث والشرح. غير أنا ذا كرون مختصرا وجيزا مناسبا للمقام مقتطفا مما كتبه كبار مؤرخي المسلمين ومحققو المؤرخين من الافرنج المنصفين وأفاضل الكتاب المعاصرين في مآثر العرب وعلومهم ومعارفهم وما لهم من الفضل على العالم كله في ذلك كله مازجين أحيانا كلامهم بعضه ببعض أو مصرّحين بنسبة القول إلى قائله حسب اقتضاء المقام ذلك فنقول : أوّل من اعتنى بالعلوم وتدوينها من الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور وقد أخذ في انشاء المدارس للطب وللشريعة وكان براعته في الفقه وفرط شغفه به قد جعل جزأ من زمنه خالصا بتعلم العلوم الفلكية وترجم في زمنه كتاب أوقْلِيدس في الهندسة والهيئة والحساب.

وأكمل حفيده الرشيد ما شرع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم وأنواعها. وكان باذلا جهده في احياء العلوم والآداب ونشرها وكتب في أيامه مصنفات كثيرة في العلوم الاسلامية وغيرها مما ترجم عن اليونانية ومن ذلك كتاب المَجَسْطِي الذي ألفه بَطْلِيموس في الرياضة السماوية وقيل ان هذا الكتاب تُرجْم في زمن المأمون بأمره. وكان المترجمون قوما من السريان غير مسلمين وقد أحسن الخلفاء صِلَتهم وأفاضوا عليهم النِعَم وكان أكثرهم غير متمكن من العلوم التي نقلوها إلى العربية فوقع فيها الغلط الكثير فصححه بعد ذلك الراسخون في العلم من العرب في

عصر المأمون وما بعده كما صححوا كثيرا من غلط اليونانيين أنفسهم. وكان اشتغال العرب بالعلم للعمل به فتناولوا الكتب التي ترجموها من قومٍ كان حظهم منها حفظها على انها من نفائس الذخائر ومآثر الجيل الغابر وقد ظهر أثرُ العمل في عصر الرشيد ومن ذلك الساعة الدقاقة المتحركة بالماء التي أرسلها إلى شرلمان ملك فرنسا وعظيم أوربا لعهده ففزع الاوربيون منها لذلك العهد وتوهموا انها آلة سحرية قد كنت فيها الشياطين وان ملك العرب ما أرسلها إليهم الا لتغتالهم وتوقع بهم شر ايقاع. وقد اجتمع في حضرة الرشيد كثير من أكابر العلماء وكان يأتي بهم ويرفع منزلتهم وكلما سافر لحج بيت الله الحرام استصحب معه مائة من العلماء. ولما أفضت الخلافة إلى المأمون وجه عنايته إلى العلوم والآداب وشُغِف بالعلم كل حياته ولم يكن يجالس الا العلماء وقد جمع وترجم كثيرا من كتب الفرس واليونان في الهيئة والطبيعيات وتخطيط الاراضي والموسيقى. وغرس للعلم والادب جِنانا ناضرة فزكا نَبْتها وتفتّح نَوْرُها وطاب ثمرها ووصلت به دولة العلم إلى أوْج قوّتها ونالت به أكبر ثروتها. وكانت بغداد في عهده مدرسة علمية كما كانت دار خلافة. وكان من شروط صلحه مع ميشل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الآستانة وقد فعل. وقد ألف علماء العرب في زمنه أرصادا وأزياجا فلكية وحسبوا الكسوف والخسوف وذوات الأذناب وغيرها ورصدوا الاعتدال الربيعي والخريفي وقدّروا ميل منطقة فلك البروج وقاسوا الدرجة الأرضية وأصلحوا بأمره غلط بعض الكتب التي ترجمت قبل زمنه وجاء الواثق بعد المأمون وحذا حذوه في الاشتغال بالعلوم واقتدى بالخلفاء الوزراءُ والأمراء في زمنهم وبعده وأخذوا جميعا

بناصر العلماء وشدّوا أزرهم ورفعوا منزلتهم فأخذ العلماء في الاشتغال بكل علم وكل فنّ أمكن الاشتغال به في ذلك العصر وبنوا علومهم على التجربة والمشاهدة. قال أحد فلاسفة الاوربيين ان القاعدة عند العرب هى " جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفا " وعند الاوربي إلى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي " اقرأ في الكتب وكرر ما يقول الاساتذة تكن عالما " ا هـ فانظر الفرق وقارنه بما تجده الآن من فرط عنايتهم بالبحث وما ينجم عنه من اصلاحهم الخطأ فيما لا يحصى مما كانوا أثبتوه حتى انّ فطاحل منصفيهم لم يجدوا بدّا من الاعتراف بامكان أن يثبت لهم غدا ضد ما أثبتوه اليوم كما ثبت لهم اليوم ضد ما أثبتوه أمس ولا من الاقرار بعدم الوقوف على كنه الكثير من ظواهر الكون التي ينتفعون بخواصها. ومن العلوم التي كان للعرب فيها اليد البيضاء علم الهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضية فان ما زادوه عليها من مخترعاتهم وما أصلحوه من أغلاط اليونانيين قبلهم جعل لهم الحظ الاوفر في هذه العلوم. قال دِيلَامْبِرْ في تاريخ علم الهيئة اذا عددت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعدّ من العرب عددا كبيرا غير محصور. وعن العرب أخذ الافرنج الارقام الحسابية وعلم الجبر والمقابلة الذي هو من العرب أخذوه باسمه ومسماه. وقال بعض المؤرخين انّ ديوفنتوس الاسكندري من أهل القرن الرابع للميلاد هو أول من ألف في الجبر وكتبه لا تزال موجودة إلى الآن. والحق ان هذه الكتب ليس فيها الا قواعد استخراج القوي وحل بعض المسائل وليس فيها أصول الفنّ وقواعده الاساسية التي امتاز بها وصار فنا مستقلا. ونظير ذلك علوم البلاغة قالوا ان مؤسسها وواضعها هو الامام عبد القاهر

الجرجاني مع أن العلماء قد سبقوه إلى الكلام في بعض مسائلها ولكنهم لم يبلغوا بذلك أن جعلوها علما ذا أصول وقواعد كما جعلها.

وقد اكتشف العرب قوانين لثقل الاجسام مائعها وجامدها ووضعوا لها جداول في غاية الدقة والصحة. واخترعوا البندول للساعة اخترعه ابن يونس المصري. والبوصلة البحرية واخترعوا بيت الابرة أيضا. وهم أوّل من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن وأوّل من أتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض.

ومن علومهم التي وضعوها ولم يُسْبَقوا إليها علم الكيميا الحقيقية فهى من اكتشاف العرب دون سواهم وعنهم أخذها الاوربيون وانك لا تستطيع أن تعدّ مجرّبا واحدا عند اليونانيين ولكنك تعدّ من المجرّبين مئين عند العرب. وقد اشتغلوا بالطب والصيدلة ولهم في ذلك المؤلفات العديدة النافعة ومُرَكَّبات الادوية الصالحة. وهم أوّل من استحضر المياه والزيوت بالتقطير والتصعيد وأوّل من استعمل السكر في الادوية وكان غيرهم يستعمل العسل. وكان حكام الاندلس يعتنون بادارة الصيدليات فيفحصون أدويتها ازالة للغش ويُسَعّرونها رفْقا بالفقير وفَضْلُهم في الطب على أوربا وأمريكا اليوم. ولهم في هذه الفنون مؤلفون يعدّون في الطبقة الاولى من علماء العالم في العلوم التي اشتغلوا بها ولا تزال مؤلفات كثير منهم باقية إلى اليوم كقانون ابن سينا ومفردات ابن البيطار واذا رجّحت القول بأن يونان أخو قحطان غاضَبه فرحل من اليمن ونزل ما بين الافرنجة والروم فاختلط نَسَبُه بهم كانت تلك الكتب اليونانية انما هى بضاعة العرب ردّت إليهم.

ولم يكن اشتغالهم بالجغرافية والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص أقل من اشتغالهم بالعلوم السابقة فلهم السياحات العديدة حول أفريقية وآسية وجانب من أوربا وقد رسموا ما اكتشفوه رسما حسنا ولهم في تقويم البلدان مؤلفات عديدة بعضها مطبوع وبعضها غير مطبوع فمن الاوّل تقويم البلدان لأبي الفداء ومعجم ياقوت طبعا في أوربا ومن الثاني نزهة المشتاق للشريف الادريسي محمد بن الصقلي كان في القرن السادس الهجري وهو الذي صنع لرجار الفرنجي ملك صقلية سنة **1153** أوّل كرة أرضية عرفت في التاريخ زنتها من الفضة **144** أقة رسم فيها جميع أنحاء الارض في زمانة رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء وصنف له أيضا كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مرتبا على الاقاليم السبعة وصف فيه البلاد والممالك مستوفاة مع ذكر المسافات بالميل والفرسخ. ومؤلفاتهم في التاريخ تفوق الحصر. والفضل الاوّل في الاشتغال بهذه العلوم يرجع إلى مدرسة بغداد التي كانت ينبوعا أصليا استمدّت منه سائر المدارس الاسلامية. قال بعض مؤرّخي الافرنج ان العرب استقاموا عدّة قرون على الطريقة التي وضعها علماء مدرسة بغداد واتبعوا قواعدهم وهى الانتقال من النظر في المسببات إلى اجتلاء الاسباب لا يعوّلون الا على ما اتضحت صحته وعرفت حقيقته . وقد أنشئت المدارس العديدة تباعا وجمعت إليها ولم يخل منهاقطر من الاقطار الاسلامية. وازدانت بهذه المدارس بغداد والبصرة والكوفة وبُخَاري وسَمَرْقَنْد وبَلْخ وأصفهان ودمشق وحلب في قارّة آسية والاسكندرية والقاهرة ومراكش وفاس وسبتة والقيروان في قارة افريقية واشبيلية وقرطبة وغَرْناطة وغيرها من مدن الأَنْدَلُس العديدة في قارّة أوربا.

وكان بالقاهرة وحدها عشرون مدرسة في القرن الرابع وفي قرطبة وحدها من بلاد الاندلس ثمانون مدرسة في مدّة الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر المتوفي سنة **366**. وأصبحت الاندلس بعد ذلك في أواخر القرن الخامس غاضبة بالمكاتب والمدارس الجامعة ولم تَخْل مدينة من مدنها من مدارس متعدّدة. قال جيون في كلامه على حماية المسلمين للعلم في الشرق والغرب ان ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في الانفاق على اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه. وكان عن ذلك أن ذَوْق العلم ووِجْدان اللذة في تحصيله انتشرا في نفوس الناس من سَمَرْقَنْد وبُخَارَي إلى فاس وقرطبة. أنفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتي ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها خمسة عشر ألف دينار تصرف في شؤونها كل سنة. وكان الذين يُغَذَّون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العظماء في المملكة وابن أفقر الصناع فيها. غير أن الفقير يُنفَق عليه من الرَيْع المخصَّص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه والمعلمون كانوا يُنقْدَون أجورا وافرة ا هـ.

وجميع المدارس الطبية في البلاد الاسلامية أخذت نظام امتحانها عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشدّ النظامات وأدقها. ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادةٍ بأنه فاز في الامتحان على شدّته. وأوّل مدرسة طِبّية أنشئت في قارّة أوربا على هذا النظام المحكم هى التي أنشأها العرب في ساليرت من بلاد ايطاليا. وأوّل

مرصد فلكي أقيم في أوربا هو الذي أقامه العرب في أشبيلية من بلاد الاندلس.

وقد تعدّدت المراصد الفلكية في البلاد الاسلامية شرقا وغربا ومن أشهرها مرصد بغداد المنشأ على قنطرتها وقد رصدت به عدّة أرصاد وصححت جملة أزياج. ومرصد المراغة الذي أنشأه نصير الدين الطوسي يأمر ةهولاكو خان ولما أتم كوبلاي خان أخو هولا فَتْحَ الصين نقل مؤلفات علماء بغداد إليها. ومرصد سَمَرْقَنْد الذي أنشأه تيمورلنك. ومرصد دمشق الذي أنشأه الوغ بك مرزا محمد حفيد تيمورلنك. وكان من أعلم علماء الفلك وله زيج مشهور معتبر إلى هذا العصر. وكان بمصر مرصد جبل المقطم أنشأه ابن يونس الفلكي الشهير صاحب الزيج الحاكمي وأما دور الكتب فلم تكن عناية الدول الاسلامية بها أقل من عنايتهم بالمدارس فقد كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مائة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفَلَك لا غير. ومكتبة الخلفاء في الاندلس بلغ ما فيها ستمائة ألف مجلد وكان فهرسها أربعة وأربعين مجلدا. وقد حققوا أنه كان ببلاد الاندلس وحدها سبعون مكتبة عمومية وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة. وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوي عليه وأما ضخامة تآليفهم فما لا يحصره العَدّ وحسبك في المشرق كتاب قَيْد الأوابد للامام البَنْجِذيهي المتوفى سنة **559** من قرى خراسان في **400** مجلداً وفي الاندلس لاحمد بن أبان كتاب العالَمَ نحو **100** سفر بدأ فيه بالفَلَك وختم

بالذَّرّة والأعجب الأغرب كتاب فلك الأدب الذي تعاقب على تأليفه من جهابذة الاندلسيين 6 في 115 سنة آخرها سنة 645هـ.

ولقد أحرق أهل اسبانيا من الكتب الاسلامية بعد جلاء المسلمين عنها ما يدهش لبيان عدده السامع ويحار المتأمل ويتوقف قلم الكاتب جاء في المجلد الثالث من المقتطف وجه 7 مانصه. ليقل لنا أهل اسبانيا أين الثمانون ألف كتاب التي أمر كردينالهم شيمتر بحرقها في ساحات غَرْناطة بُعَيد استظهارهم عليها فأحرقوها وهم لا يعلمون ما يعلمون حتى اَفْنَوا على ما قال مؤرّخهم ربلس ألف ألف وخمسة آلاف مجلد كلها خطها أقلام العرب. وليتهم يخبرون كم من كتاب لعبت به نيرانهم بعد ذلك حتى لم يبقوا من معارف العرب ولم يذروا. وما يقولون عن السفن الثلاث التي ظفروا بها مشحونة بالمجلدات العربية الضخمة وطالبة ديار سلطان مراكش فسلبوها وألقوا كتبها في قصر الاسكوريال سنة 1671 ميلادية (الموافقة سنة 1082هجرية) حتى لعبت بها النيران فأكلت ثلاثة أرباعها ولم يستخلصوا منها الا الربع الاخير. حينئذ استفاقوا من غفلتهم وعلموا كُبْر جَهَالتهم ففوضوا إلى ميخائيل القصيري الطرابلسي الماروني ترتيبها وكتابة أسماء 1851 كتابا منها فعلى ما في هذه الكتب وما بقى في أفريقية والمشرق قَصَر أهل هذه الايام معارِفَ العَرَب وحتى هذه لم يستوعبوا جميع ما فيها ا هـ.

وأما مكاتب بغداد فانه لما فاجأها التتار بالهجوم بعد قتل الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين جعلوا دأبهم السلب والنهب وأخذوا

كتب العلم التي كانت في خزانتها وألقوها بدِجْلة فَعَبرت عليها جنودهم. فأضِف هذه النفائس إلى ما أحرقه أهلُ اسبانيا وتصَوّر مقدار ذلك كله ثم انسُبْ ما بقى من الكتب الاسلامية إلى ما أتْلِف منها وتفكّر بعد ذلك في أن هذه الملايين من الكتب انما خُطّت بالقَلَم قبل أن تُعْرَف المطبعة واحكم بعد ذلك وأنت منصف في حكمك بأن العرب لم تسبقهم أمّة اعتنت بالعلم اعتناءهم واهتمت به اهتمامهم .

وتتميما للفائدة نذكر ما ورد في مجلة المقتطف في سنتها الثالثة في صفحة 92,91 تحت عنوان فضل العرب وهو خاتمة مقال نشر في تلك السنة في بيان مآثر العرب وعلومهم وبعض علمائهم وقد اقتطفنا من هذا المقال الجامع شذرات ضمناها مقالنا السابق وها هو ما ذكر تحت هذا العنوان.

في القرون الوسطى قصد أهل أوربا مدارس الاندلسيين وكانت على غاية الاتقان وقرؤا العلم فيها ثم تزوّدوه منها إلى بلادهم. ففي سنة 873 للمسيح أمر هرتموت رئيس دير ماري غالن جماعة من رهبانه بدرس اللغة العربية لتحصيل معارفها. وكان الرهبان البندكتيون يطالبون العلوم العربية بشوق لا مزيد عليه وأشهر من تعلم العلم من العرب البابا سلفستر الثاني وأصله رجل فرنسي يسمى جربرت طاف على قسم كبير من أوربا طالبا المعارف حتى دبت قدمه في الاندلس فرتع في مدارس اشبيلية وقرطبة وصرف إلى العلوم رغبته فلما ساغها هنيئا عاد إلى دياره وما زال يسمو على أقرانه حتى تنصّب بابا فشاد للعلم مدرستين الاولى في ايطاليا والاخرى في ريمز وأدخل إلى أوربا معارف العرب والأرقام الهندية التي نقلها

عنهم. ثم ثارت الحمية في أهل ايطاليا وفرنسا وجرمانيا وانجلترا فطلبوا الاندلس من كل فج عميق وتناولوا المعارف من أهلها. قال مونتكلا في تاريخ العلوم الرياضية ولم يقم من الافرنج عالم بالرياضيات الا كان علمه من العرب مدّة قرون عديدة. فمن جملة من نقل عنهم المعارف من أهل ايطاليا دوكريمونا قرأ علم الهيئة والطب والفلسفة بطليطلة وترجم عنهم المجسطي وكتب الرازي والشيخ الرئيس إلى اللاتينية وليوندار البيزي نقل عنهم الحساب والجبر وأرنولد الفيلانوفي نقل عنهم الهيئة والطبيعيات والطب. وممن نقل عنهم من الانجليز راهب اسمه بلارد وآخر اسمه مورلي وآخر اسمه سكوت وكذلك روجر باكون الشهير فان ما حصّله من المعارف في الكيميا والفلسفة والرياضيات انما استخلصه من كتبهم وقد اقتبس من أقوال الحسن في البصريات ومثله فيتليو الذي اشتهر بالبصريات فانه أخذ كثيرا عن الحسن. ولما عرف ملوك الافرنج قيمة معارف العرب أمروا بترجمة كتبهم ومنهم نقل شارلمان فردريك الثاني الجرماني والفونس الثاني القسطلي. والخلاصة أن الافرنج نقلوا عن العرب مما نقله العرب عن غيرهم أو استنبطوه بأنفسهم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والرياضيات والبصريات والكيمياء والطب والصيدلة والجغرافية والزراعة والفراسة وأخذوا عنهم عمل الورق والبارود والسكر والخزف وتركيب الأدوية ونسج كثير من المنسوجات وأدخلوا منهم إلى بلادهم دود القز وكثيرا من الحبوب والأشجار كالأرز وقصب السكر والزعفران والقطن والسبانخ والرمان والتين ونقلوا عنهم دبغ الأديم وتجفيفة وقد استردّ الانجليز هذه الصناعة بعد فقدها من الاندلس بجلاء العرب

عنها ولا يزالون يسمون الجلود المدبوغة بها (موركو وكردوفان) نسبة إلى مراكش وقرطبة.

ولا تزال الالفاظ العربية مستعملة في أكثر مباحث الافرنج الطبيعية كالسمت والنظير والسموت والمقنطرات وأسماء النجوم والكحول والقلي والجبر والقطن والشراب والكمياء وغيرها. ولولا لغة العرب لبقيت لغة أهل اسبانيا قاصرة كما كانت فأسماء أوزانهم أقيستهم أكثرها عربي محرّف كالقنطار والربع والشبر وكذلك أسماء قطع الماء ونحوها كالبحيرة والبركة والجب والكهف وغيرها كثير فالمولدون كانوا في زمانهم حلقة من سلسلة العلوم اتصلت بها علوم الاوّلين بالمتأخرين ولولاهم لفقد أكثر المعارف ان لم نقل كلها وما أحسن قول جريدة مدرسة ادنبرج الكلية في هذا المعنى.

انا لمدينون للعرب كثيرا ولو قال غيرنا خلاف ذلك فانهم الحلقة التي وصلت مدنية أوربا قديما بمدنيتها حديثا وبنجاحهم وسموّ همتهم تحرّك أهل أوربا إلى احراز المعارف واستفاقوا من نومهم العميق في الاعصار المظلمة. ونحن لهم مدينون أيضا بترقية العلوم الطبيعية والفنون الصادقة النافعة وكثير من المصنوعات والمخترعات التي نفعت أوربا كثيرا علما ومدينة اه.

أما تاريخ العلوم والآداب العربية من ابتداء الدولة العباسية إلى الآن فانه ينقسم إلى أربع مدد كبيرة . المدة الاولى تبتدي بخلافة أبي جعفر المنصور وتنتهي بمنتصف القرن الرابع تقريبا فهى نحو 200 سنة وهى المدّة التي صعدت فيها العلوم والآداب إلى ذروة مجدها وأوج عزها وفاضت فيها ينابيع المعارف على جميع البلاد الاسلامية فأيْنَعَتْ جناها ودَنَت للقاطفين

أفْنانها. وفيها أشرقت شموس الأئمة المجتهدين وأجلاء المحدّثين وكبار علماء الدين وأئمة العربية وفحول الشعراء وأعاظم الكتاب ورجال الأدب وغيرهم من أساطين العلماء.

المدة الثانية تتلاقى مع المدّة الاولى في نهايتها وتنتهي بسقوط الدولة العباسية سنة **656** وفي هذه المدّة ضعف أمر الخلافة العباسية باستيلاء الديلم والسلجيوقيين على السلطة ولم يكن هؤلاء الأعاجم يعرفون من قدر العلم كما كان يعرف الخلفاء من العرب فَفَتَرَت الهمم بعضَ الفُتور واقتصر كثير من أهل العلم على النظر في كتب مَن قَبْلهم ووَشّوها بالحواشي. غير أنه نبغ في هذه المدّة عدد كبير في كل علم علم وفن لاسيما العلوم الرياضية والفلسفية وكان ذلك من أثر تلك الجَذْوَة التي اشتعلت في المدّة الاولى ولم يُخْمِدها ضعف الخلفاء بل بقيت بعدهم زمنا يقتبس منها المقتبس حتى أطفأها التتار في بغداد والبلاد التي استولوا عليها من آسية ثم دخلوا في الاسلام فتألق بعض وميضها كما سبق.

المدّة الثالثة تبتدي بسقوط الدولة العباسية وتنتهي باستيلاء محمد علي باشا على مصر سنة **1220** وفي أوّل هذه المدّة أعدمت المعارف العربية في بلاد فارس وما وراء النهر وبقيت زاهية في مصر قليلا بفضل الجامع الازهر كل هذه المدّة وكذلك في بلاد المغرب في دولة السعديين والاشراف بعدهم وفي أواخر هذه المدّة كانت العلوم العربية في آخر رمق من حياتها. ولكن كان يلوح في أثناء ذلك الزمن بصيص من نور العلم والعرفان ثم يختفي فقد ظهر من أكابر العلماء أبو الفداء وابن خلدون والمقريزي وابن

حجر والسيوطي وابن منظور صاحب لسان العرب والمجد صاحب القاموس وابن الوردي الفقيه.

المدّة الرابعة تبتدي باستيلاء محمد علي باشا على مصر وفي هذه المدّة أخذت المعارف والآداب تدب فيها الحياة وتنمو في مصر والشام بفضل ما طبع وألف من الكتب المختلفة النافعة.

امرؤ القيس (المتوفى سنة 566م)

هو امرؤُ القَيس بن حُجْر الكِنْدي وأمّه فاطمة وقيل تَمْلِك بنت ربيعة بن الحَارِث أخت كُلَيب ومُهَلْهِل وقد ذكرها في قوله:

ألا هل أتاها والحوادثُ جَمّةُ   بأن امرأ القيس بنَ تَمْلِك بَيْقرا

أي أقام بالحَضَر وتَرَكَ أهْلَه بالبادية ومعنى (امرئ القيس) رجُل الشِّدّة وقيل القَيس اسم صَنَم وقد وُلد ببلاد بني أسَد ولما شبّ تعلق بالشعر ونبغ فيه وهو أوّل من استوقف على الطُلول وشَبّه النساء بالظباء والمْهَا وأجاد الاستعارة والتشبيه وكان أبوه مَلِكَ بني أسَد فعَسَفَهم عَسْفا شديدا فتمالؤا عليه وقتلوه وقد كان طَرَد ابنَه امرَأ القيس لتشبيهه بالنساء في شعره وتنقَلُّه في أحياء العرب يستتبع صَعَالِيكهم وذُؤْبانَهم وبينما هو يشرب الخمر بأرض اليمن بلَغَه قَتْل أبيه فقال ضيعني صغيرا وحَمّلني ثِقل الثار كبيرا لاصَحْوَ اليوم ولا سُكْر غَداً اليَوْم خَمْرٌ وغَداً أمْرٌ ثم انه استنصر ببعض أقيَال العَرَب ورؤساء القبائل وما زال يتتبع بني أسَد حتى ظفِر بهم وحصلت له بعد ذلك وقائع كثيرة ثم مات (2)[2] بجبل يقال له عَسِيب ودفن بأنْقِرة سنة **566** م وأشهر شعره المعلقة الطائرة الصيت التي مطلعها

قِفا نبك من ذِكْرَى حبيب ومنزل   بِسَقْط اللوَا بين الدَّخول فَحَوْمَل

[2] (2) ادبيات اللغة العربية (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

النابغة الذّبْيَاني (توفى سنة 604 م)

اسمُه زِيَاد بن معاوية بن ضِبَاب ينتهي نَسَبه إلى ذبْيان ثم لِمُضَر ويكْنَى أبَا أمَامة وانما سُمّى النابغة لقوله

وحَلَّت في بني القَين بن جَسْرٍ وقد نبغت لهم مِنّا شؤن

وهو أحد الاشراف المقدّمين على سائر الشعراء وقال عبد الملك بن مَرْوان لَمَّا دَخَل عليه وفَدْ الشام أيَّكم يَرى من اعتذار النابغة إلى النعمان

حَلَفْتُ فَلَمْ أتْرُكْ لنفسك رِيبةً وليس وراءَ الله للمَرء مَذْهب

فلم يَجِد فيهم مَن يرويه فأقْبَل على عمر بن المُنْتَشر وقال له أتَروْيه قال نَعَم فأنشده القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب والنابغة هذا كان خاصا بالنعمان ومن ندمائه وأهل أنسه ثم انه وُشِيَ به إلى النعمان فهرب منه ولم يرجع إليه الا بعد أن بلغه أنه عليل لا يُرْجَى فأقْلَقه ذلك ولم يَمْلك الصَبْر على البُعْد عنه مع عِلّته فسار إليه فألْفَاه محمولا على سرير يُنْقل ما بين العُمْران وقُصُور الحِيرة فقال لِعِصام حاجِبه

ألَمْ أُقْسِم عليك لتُخْبِرَنّي أمحمول على النعش الهُمامُ

فاني لا ألام على دخول ولكن ما وراءك يا عِصَامُ

فانْ يَهلْك أبوُ قَابُوس يَهْلِك ربيعُ الناس والبَلَد الحَرَام

ونُمْسِك بعده بِذنَابِ عيش أجَبّ الظَهْر ليس له سَنَام

ومات النابغة الذبياني على جاهليته ولم يُدْرِك الاسلام سنة **604** ميلادية

زُهَير بن أبي سُلْمَى (توفى سنة 631 م)

هو أبو كَعْب وبُجَيْر واسم أبي سُلْمَى رَبِيعة بن رِيَاح ينتهي نَسَبُه لِنِزارٍ وهو أحد الثلاثة المُقَدَّمِين على سائر الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُبْياني وعن عمر بن عبد الله اللَّيثي قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في مسيره إلى الجابية بعد قصة طويلة هل تروي لشاعر الشعراء شيأ قلت ومن هو قال الذي يقول :

فَلَوْ كان حَمْدٌ يُخْلِد الناسَ لَمْ تَمُتْ ولكنّ حَمْدَ الناسِ ليس بمُخْلِدِ

قُلْتُ ذاكَ زهير بن أبي سُلْمَى قال لأنّه كان لا يُعَاظِل في الكلام وكان يَتَجَنَّب وَحْشِي الشِعْر وكان لا يمدح أحدا الا بما هو فيه ولما سأل معاويةُ الأحنفَ ابن قَيْس عن أشعر الشعراء قال هو زهير قال وكيف ذاك قال بقوله :

فما يَكُ مِن خير أتَوْه فانما تَوَارَثَهُ آباءُ آبائهم قَبْل

وقال ابن الاعرابي كان لزهير في الشعر مالم يكن لغيره كان أبوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر وابناه شاعران وهما كَعْب وبُجَير وأخْتُه سُلْمَى شاعرة وأخْتُه الخَنْساء شاعرة وكان زهير يُضْرَب به المَثَل في التنقيح فيقال حَوْلِيّات زهير لأنه كان يعمَل القصيدة ويَعْرِضها في سَنة كاملة

أمَيّة بن أبي الصَّلْت (توفى سنة 9 هـ)

ينتهي نَسَبُه إلى ثَقِيف وأمُّه رُقَيّة بنت عبد شمس وهو من أهل الطائف ومن أكبر شعراء الجاهلية وكان ينظر في الكتب ويقرؤها ويقال انه حرّم الخمرَ وشكّ في الأوثان والتمس الدِين وطمِع في النُبُوة لأنه قرأ في الكتب أن نَبِيّا يبعث من العرب وكان يطمع أن يكون هو فلما بُعِث النبي صلى الله عليه وسلم حَسَدَه وقال كنت أرجو أن أكونه ويُنسب إليه أنه هو القائل:

كلُّ دِين يوم القيامة عند الله إلّا دِينَ الحَنِيفة زُورُ

وأغلب شِعره متعلِّق بذِكْر الآخرة حتى قال الَا صْمَعيّ ذهب أمَيَّة في شِعره بعامّة ذكْر الآخرة ولكن يقال انه مات ولم يُسْلم ومما قال في مرض موته

كُلُّ عيشٍ وان تَطَاول دَهْرا مُنْتَهى أمره إلى أن يَزُولا
ليتني كنتُ قبْل ما قَد بَدَا لي في رؤس الجبال أرْعى الوُعُولا

ويقال انه قَضَى نَحْبَه في قصر من قصور الطائف سنة **9** هجرية ومن شعره قصيدته في الفخر التي يقول فيها

ورثنا المَجْدَ عن كُبرىَ نِزَار فأوْرَثْنا مَآثِرنا بَينِنَا

الخنساء (توفيت سنة 24 هـ)

اسمُها تُمَاضِرُ بنت عَمْرو بن الشَرِيد ينتهي نَسَبُها لمُضَرَ والخنساء لقَبَ غَلَب عليها وقد أجمع أهل العلم بالشعر انه لم يكن امرأة قطّ قَبْلَها ولا بعدها أشْعر منها ووفَدَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسْتَنْشدها ويُعْجبه شعْرُها وكانت تُنْشِده وهو يقول هِيهِ يا خُنَاس ولَمّا بَلَغَها استشهاد بنِيها الاربعة يوم القادِسِيّة بعد تحريضها لهم على القتال قالت الحمد لله الذي شَرّفني بقتلهم وأرْجُو من ربي أن يَجْمَعَني معهم في مُسْتَقَرّ رَحْمته.

سيدنا حسان ين ثابت رضى الله تعالى عنه

جدّه المُنْذر الخَزْرجيّ ويكْنَى أبَا الوَليد وهو من فحول الشعراء وقد قيل انه أشعر أهل المَدَر وكان أحد المُعَمّرين المُخَضْرَمِين عَمّر مائةً وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام وكذا أبوه وجدّه وأبو جدّه لا يُعرف في العرب أربعة تَنَاسَلُوا من صُلْبٍ واحدٍ وعاشَ كُلٌّ منهم **120** سنة غَيْرهم وعن أبي عُبَيدة قال فَضَل حَسّان بن ثابت الشُعَراء بثلاثةٍ كان شاعر اليَمَن كُلّهَا في الاسلام وفَضْلُه أوسع من أنْ تحيط به التآليف وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة قبل الاربعين من الهجرة في خلافة سيدنا عليّ رضى الله تعالى عنه.

الاخطل (توفى سنة 712 م)

هو أبو مالك غِيَاث بن غوث بن الصَّلت من تَغْلِب قال أبو عبيدة ان سبب تلقيه بالأخطل انه هجا رجلا من قومه فقال له يا غلام انك لأخطل (أي سفيه) وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومات على دينه مع مخالطته لملوك المسلمين وأمرائهم وحُظْوَته لديهم وهو جرير والفرزدق من طبقة واحدة وان اختلف الناس في التفضيل بينهم وقد عاشوا كلهم في زمن واحد وان كان الأخطل أكْبَرَهم سِنّا وقد كان يفضّل الاعشى في الشعْر على نَفْسه وقال جَرير وقد سأله ابنه عن الأخَطل أدْرَكْتُه وله نَابُ واحد فلو أدركت له نَابين لأكَلَني. ومما يحكى عن الأخطل أنه طلّق امرأته وتزوج بمُطَلَّقَة اَعْرَابِيّ فَبَيْنَما هى معه اذ ذكرت زَوْجَها الأول فتنفست فقال :

كلَانا عَلَى هَمّ يَبِيت كأنما بجَنْبَيه مِن مَسّ الفِرَاش قُرُوح
عَلى زوجها الماضي تَنُوح وأنّني على زوجتي الأُخرى كذاك أنُوح

وقد كانت منزلة الأخطل عند عبد الملك بن مروان رفيعة يذكره اذا غاب ويقرّ به اذا حضر وله كثير من النوادر يضيق المقام عن ذكرها وكانت وفاته سنة **712** ميلادية.

جَـــــرير (توفى سنة 110 هـ)

هو ابن عطية بن الخَطَفَي وهو لقبه واسمه حُذَيفة بن بدر بن عوف ابن كُلَيب ينتهي نَسَبه لِنِزار ويُكْنَى أبا حَزْرَة وهو الفَرَزْدَق والأَخْطل المقدَّمون على شعراء عصرهم إلا سَقَط وافتضح وكان أبو عمرو يُشَبّه جَريرا بالأَعْشَى والفَرَزْدَق بزُهَير والأَخْطل بالنابِغة وقد حَكَم مَرْوانُ بن أبي حَفْصة بين الثلاثة بقوله:

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بالفَخَار وانما حُلْوُ الكلام ومُرُّه لجَرِير
ولقد هَجَا فَأَمَضّ أَخْطَلُ تَغْلِب وحَوَى اللُّهَى بمديحه المشهور

فهو كما حَكَم للفرزدق بالفَخَار وللاخطل بالمدح والهجاء وبجميع فنون الشعر لجرير ومن كلامه في الفخر

اذا غضبت عليك بَنُو تَميم لقيتَ القَوم كُلَّهُمُ غِضَابا

وقال يَهْجُو بَني نُمَيَر

فَغُضّ الطَرْفَ إنَّكَ من نُمَيرٍ فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلَابا

تَوَفِّيَ سنة **110** هجرية.

الفرزدق (توفى سنة 110 هـ)

هو هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة التَّمِيمي وكان أبوه مِن سَراة قومه ورَوَى الفَرَزْدَق رحمه الله عن علي بن أبي طالب وأبي هُرَيرة والحُسَين وابن عُمَر وأبي سعيد الخُدْرِي ووفَدَ على الوَلِيد وسليمان ابْنَيْ عبد المَلِك ومدحهما.

رَوَى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فتحرّك فاذا في رجليه قَيْد قلت ما هذا يا أبا فِراس قال حَلَفْت أن لا أُخْرِجه مِن رِجْلي حتى أحفَظَ القرآن واخْتَلَفَت الناس في المفاضلة بينه وبين جرير والا كثرون على أن جريرا أشعرُ منه وقد أنصف الاصفهاني حيث قال من كان يَميل إلى جودة الشعر وفخامته وشدّة أسْره يُقَدِّم الفرزدق ومن كان يَميل إلى الكلام السَمْح الغَزل يقدّم جريرا وله القصائد الغرّاء في الرِثاء والفخر والهجو والمدح فمن ذلك قصيدته المشهورة في مدح زين العابدين التي مطلعها

هذا الذي تَعرف البَطْحاءُ وَطْأتَه   والبيت يعرفه والحِلّ والحَرَم

تُوُفِّي سنة **110** هجرية

عبد الحميد الكاتب (توفى سنة 132 هـ)

هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى الكاتب البليغ المشهور وبه يُضْرَب المَثَل في البلاغة حتى قيل فُتِحت الرسائل بعبد الحميد وخُتِمت بابن العَمِيد وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب إماما وهو من أهل الشام وكان أوّلا مُعَلِّم صِبْية ينتقِل في البُلْدان وعنه أخَذَ المُتَرسِّلون ولطريقته لَزموا ولآثاره اقْتَفَوْا وهو الذي سهّل سبيل البلاغة في التَرَسُّل وهو أول من أطال الرسائل واستعمَل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده وكان كاتِبَ مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أُمَيَّة المعروف بالجَعْدِي فقال له يوما وقد أهدَى له بعضُ العُمّال عَبْدًا أسْوَد فاستَقَلّه اكْتُب إلى العامل كتابا مُخْتصرا وذُمّه ما فَعَل فكتب إليه لو وجَدْت لونا شرًّا من السَّواد وعَدَدًا أقلّ من الواحد لاهْدَيْتَه والسلام ومن كلامه أيضا القَلَم شجرة ثَمَرَتُها الاَلْفاظ والفِكْر بَحْرٌ لُؤْلُؤَة الحكمة وله رسائل بليغة وكان حاضرا مع مروان في جميع وقائعه عند آخر أمره وقُتِل معه سنة 132 بقرية يقال لها بُوصِير من أعمال الفيوم بمصر.

الامام أبو حنيفة النعمان (80 – 150 هـ)

هو ابن ثابت كان خَزّازا يبيع الخَزّ وقال الخطيب في تاريخه ان أبا حنيفة أدرك أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهُمْ أنَسُ بن مالك وعبد الله بن أبي أوْفَى بالكوفة وسَهْل بن سَعْد الساعِدِي بالمدينة وأبو الطُّفَيْل عامِرُ بنُ وَاثِلَة بمكة ولم يأخذ عن أحد منهم ولم يَلْقَه كما قَرَّر ذلك أهلُ النَقْل وذكَرَ الخطيب في تاريخ بغْداد أنَّه أخذ الفِقْه عن حَمّاد بن أبي سليمان وروى عنه عبد الله بن المبارك والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشَّيْباني وغيرهم. وكان رحمه اللهُ عالما عاملا زاهدا عابدا وَرِعًا كثير الخُشوع دائم التَضَرُّع إلى الله تعالى ونَقَله أبو جعفر المَنْصور من الكوفة إلى بغداد على أن يُوَلِّيَه القضاءَ فأبَى وهو يقول له اتّقِ الله ولا تُرْعِ في أمانتك الّا مَنْ يَخاف الله والله ما أنَا مَأمون الرِّضا فكيف أكون مأمونَ الغَضَب فقال له المنصور كَذَبْتَ أنْتَ تصلح فقال له قد حَكَمْتَ لِي على نَفْسك كيف يَحِل لك أن تُوَلّي قاضيا على أمانتِكَ وهو كَذّاب وقيل انه تولى القضاء أياما قليلة بعد اهانةٍ لحِقَتْه بسبب امتناعه ثم تُوُفّي عَقِبَها وكان رضى اللهُ عنه شديدَ الكَرَم حَسَن المُواساة لاخْوانه ومِن أحْسَن الناس مَنْطِقا وأحْلاهم نَغْمة وُلِدَ سنة **80** هجرية وتوفى سنة **150** وكانت وفاته ببغداد في السِجْن لِيلَى القَضَاء وقيل انه لم يمت في السجن وتُوُفِّي في اليوم الذي وُلِدَ فيه الامامُ الشافعي رضى الله عنه.

بشار بن برد (توفى سنة 167 هـ)

هو أبُو معاذ بَشّار بن بُرْد الشاعر المشهور بَصْرِىّ قدمَ بغداد وأصْلُه مِن طُخَارُسْتَانَ مِن سَبْيِ المُهَلَّب بن أبي صُفْرة وكان أكْمَهَ وُلِدَ أعْمَى وهو في أوَّل مَرْتَبة المُحْدَثِين من الشُعَراء المُجِيدين فمن شعره في المشُورة قصيدته المشهورة التي مطلعها

اذا بَلَغ الرأيُ المَشُورَةَ فاسْتَعِن بحَزْمِ نصيحٍ أو نصيحة حازِمِ

ومن شعره أيضا قوله

يا قوم أُذْني لبعض الحَيْ عاشقة والأذن تعشَق قبل العين أحيانا

قالوا بمَن لا تَرَى تَهْذِي فقلت لهم الأُذْن كالعَيْن تُوفي القَلْبَ ما كانا

وكان يمدح المهدي بن المنصور أمير المؤمنين ورُمِي عنده بالزَنْدَقة فأمَر بضَربه فضُرِب سبعين سوطا فمات من ذلك بالقُرب من البَصْرة فجاء بعض أهله فحمله إلى البصرة ودفنه بها وذلك سنة **167** وقد نيف على تسعين سنة.

الامام مالك (90 – 179 هـ)

هو الامام أبو عبد الله مالك بن أنَس بن مالك بن أبي عامر الآصْبَحِيّ نسبة لِذِي أصْبَح من الآذْواء مُلوك اليَمَن إمام دار الهجْرة وأحَد الائمة الاَعْلام أخَذَ القراءة عن نافع بن أبي نُعَيم وأخذ العلم عن رَبيعة الرَأْي وأفْتَى معه عند السلطان وقال مالك قَلَّ رجل كُنْتُ أتَعَلّم منه مَا مَات حتى يَجِيئَني ويَسْتَفْتِيَنِي وقال ابن وهْب سمعت مناديا ينادي بالمدينة الاَ لَا يُفْتى الناسَ إلا مالك بن أنس وابن أبي ذئْب وكان مالك رضى الله عنه اذا أراد أن يُحَدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسَرَّح لِحْيَته وتَمَكَّن في جَلَوسه بِوَقَارٍ وهَيْبَة ثم حَدّث فقيل له في ذلك فقال أحِبّ أنْ أُعَظِّم حَديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مَدْفُونة وقال الواقدي كان مالك يأتي المسجدَ ويَشْهَد الصَلَوَات والجَمْعة والجَنائز ويَعُود المَرْضى ويَقْضِي الحُقُوق ويَجْلس في المسجد ويَجْتَمِع إليه أصحابُه وكانت ولادته سنة **90** هجرية وتُوُفِّي سنة **179** بالمدينة ودُفِن بالبَقِيع.

سِيبَوَيْهِ (121 – 161 هـ)

وُلِد ونَشَأ بقَرية مِن قُرَى شِيرَازَ تُعْرَف بالبيضاء وكان ميلاده سنة **121** وقيل بعد ذلك ثم قَدِم البَصْرة لِتَلَقّي الحديث ورِوايَتِه ويقال انه بَيْنَما هو يَسْتَمْلِي عَلَى حَمّاد قَوْلَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبَا الدرداء (وأخذتُ من المؤاخذة أي المعاتبة) قال سيبويه أبُو الدرداء بالرفع ظانًا انه اسمُ لَيس فقال حَمّاد لَحَنْتَ يا سيبويه ومن ثَمّ عَكَفَ على الاشتِغال على الخليل بن أحمد وغيره وأخَذ اللُّغة عن الَاخْفَش الَاكْبر ولم يَزَل مشتغلا حتى صار إمامَ الائمة في علوم اللغة ووَضَع كتابه في النحو الذي هو مَرْجع علماء النحو وتوفى سنة **161** على المشهور.

الكسائي (توفى سنة 189 هـ)

هو أبو الحسن عَليّ بن حمزة الكُوفِي المعروف بالكسائي أحَدُ القُراء السبعة كان اماما في النحو واللغة والقراءات ولم يكن له في الشِعْر يَدٌ حتى قيل ليس في علماء العربية أجْهَل من الكسائي في الشِعر وكان يُؤَدِب الامينَ بنَ هارون الرشيد ويُعَلّمه الاَدَب ورَوَى الكسائي عن أبي بكر عَيّاش وحمزة الزّيّات وابن عُيَيْنة وغيرهم وروى عنه الفَرّاء وأبو عُبَيد القاسِم بن سلّام وغيرهما وتوفى سنة **189** بالرَّىّ وكان قد خرج إليها صُحْبة هارون الرشيد ويقال ان الرشيد كان يقول دَفَنْتُ الفِقْه والعربية بالرَّيّ لوفاة محمد بن الحَسَن الفقيه الحنفي يومئذ.

أبو نُوَاس (145 – 198 هـ)

هو أبو علي الحسن بن هانئ الشاعر المشهور كان جدّه مَوْلى الجَرّاح ابن عبد الله الحكَمِيّ وإلى خُرَاسَان قيل انه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة ورُوى أنّ الخَصِيب صاحب مصر سأل أبا نُواس نَسَبه فقال أغْناني أدَبِي عن نَسَبي وما زالت العلماء والاشراف يروون شعره ويَتَفَكّهون به ويُفَضِّلونه على أشعار القُدَماء وكان من أجود الناس بَديهة وأرَقِّهم حاشية حتى قال الجاحظ لا أعرف بَعْد بَشَّار مُوَلَّدًا أشْعَرَ من أبي نُوَاس. وكان أبو نُوَاس يعجبه شعر النابغة ويُفَضّله على زُهَير تفضيلا شديدا وكان المأمون يقول لو وَصَفَت الدنيا نَفْسَها لَمَا وَصَفَتْ بِمِثْل قول أبي نواس.

أَلَا كُلُّ حَيّ هَالكُ وابن هالِكٍ وذُو نَسَب في الهالِكِين عَرِيقِ
اذا امْتَحَنَ الدُنْيا لَبِيبُ تَكَشَّفَتْ له عن عَدُوٍّ في ثِيَاب صَدِيقِ

وكانت وفاته سنة **198** ببغداد

الامام الشافعي (150 – 204 هـ)

هو الامامُ أبو عبد الله محمد بن ادْريسَ بن العباس القُرَشِي يَجْتَمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عَبْد مَنَاف وكان رحمهُ اللهُ كثيرَ المَنَاقِب جَمّ المَفَاخِر مُنْقَطِع القَرِين اجْتَمَع فيه من العُلُوم بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة رضى الله عنهم وآثَارِهِم وغير ذلك من معرفة كلام العَرَب واللُّغَة العَرَبية والشِعْر حتى انّ الَاصْمَعيّ مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهُذَلِيِيّن ما لم يَجْتَمع في غيره حتى قال أحْمد بن حَنْبَل رضى اللهُ عنه ما عَرَفْتُ ناسِخ الحَديث من منسوخه حتى جَالَسْتُ الشافِعِيّ وقال رضى اللهُ عنه قَدمْت على مَالِك بن أنَس وقد حَفِظْتُ المُوَطّأ فقال لي أحْضِرْ مَن يَقْرَأ لَكَ فقلت أنَا قارئ فقرأت عليه الموطأ حفظا فقال إن يَكُ أحَدٌ يُفْلح فهذا الغُلام وكان سُفْيَان بن عُيَيْنَة اذا جاءه شئ من التَفْسِير أو الْفُتْيا الْتَفَت إلى الشافعي فقال سَلُوا هذا الغُلَام وقال احْمَد بن حنبل ما أحَدٌ ممن بيده مَحْبَرَةٌ أوْ وَرَقٌ الّا وللِشّافِعِيّ في رَقَبَته مِنّة فَفَضَائِله أكْثَر من أَن تُعدَّ ووُلِدَ سنة **150** وقيل إنّه ولِد في اليوم الذي تُوُفّى فيه الامام أبو حَنيفة وكانت ولَادُته على الاصحّ بمدينة غَزّة وحُمل منها إلى مكّة وهو ابن سَنَتَين فَنَشَأ بها وقرأ القرآن الكريم وقِدمَ بَغْداد سنة **195** فأقام بها سَنَتَين ثم خرج إلى مكة ثم عاد إلى بغداد ثم خرج إلى مصر ولم يزل بها إلى أن تُوُفّى سنة **204** .

الفَرَّاء (144 – 207 هـ)

هو أبو زكرياء يَحْيى بن زِيَاد الاَسْلمِيّ المعروف بالفَرّاء الدَيْلَمِي الكُوفي كان أبْرعَ الكُوفِيين وأعْلَمَهم بالنحو واللغة وفنون الادب وحكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال لولا الفَرّاء لَمَا كانت عربية لانه خَلّصها وضبطها ولولاه أيضا لَسَقَت لانها كانت تُتَنَازَع ويَدّعِيها كُلُّ من أراد وتتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فَتَذْهَب أخَذَ النحوَ عن أبي الحَسَن الكِسَائِي ولما اتصل بالمأمون أمَرَه أن يُؤَلِّف ما يَجْمع أصولَ النحو وما سُمع من العربية فصنَّف الحُدُود وأمَر المأمون بكَتْبه بالخزائن ثم ألّف كتاب المعاني وله كتابان في الشَكْل وله كتاب اللغات وكتاب الجَمْع والتثنية في القرآن وكتاب الوقف والابتداء وغير ذلك من الكتب وتوفى سنة **207** في طريق مكة وعمره **63** سنة.

أبو العتاهية (130 – 211 هـ)

هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم المعروف بأَبِي العَتاهِيَة الشاعر المشهور وُلِد سنة **130** ببلدة تُسَمَّى عَيْنَ التَمرْ بالحِجَاز قُرْبَ المَدِينة المُنَورة ونَشَأَ بالكوفة وسَكَن بَغْدَاد ومِن شِعْره في حضرة الخليفة المهدي

أتته الخلَافةُ مُنْقَادَةً	إليه تُجَرِّر أذْيَالَها
فَلم تَكُ تَصْلُح إلّا لَهُ	ولَمْ يَكُ يَصْلُح إلّا لَهَا
ولو رَامَها أحَدٌ غَيْرُه	لَزُلْزِلَت الارضُ زِلْزَالَها
زلَوْ لَمْ تُطِعْهُ نِيَاتُ القُلُوب	لَمَا قَبِلَ اللهُ أعْمَالَهَا

وله في الزُّهْد أشعار كثيرة وهو من مُقَدَّمي المُوَلَّدِين في طَبَقَة بَشَّار وأبي نُوَاس وتُوُفِّي سنة **211** ببغداد وقبل وفاته قال أشْتَهي أن يجئ مُخَارِقُ المُغَنِّي ويُغَنِّي عند رأسِي بهذين البيتين

اذا ما انتقضَت عَنّي من الدهر مُدَّتِي	فانَ عَزَاء الباكيات قَلِيلُ
سَيُعْرَض عَنْ ذِكْرِي وتُنْسَى مَوَدّتِي	ويَحْدُث بعدِي للخَليل خَليلُ

الَاصْمَعيّ (122ـ216هـ)

هو ابو سَعِيد عبد المَلِك بن قُرَيْب وأصْمَعُ جَدُّه الخامس وينتهي نسبة إلى مُضَرَ بن نِزَار بن مَعَدّ وهو من أهل البصْرة وقَدِمَ بَغْداد في خلافة هارون الرشيد ثم عاد إلى البصرة ولما كانت خلافة المأمون دعاه إليه فلم يُجِبْ واحْتَجَّ بِكبَرَ سِنّه وضَعْف قُوَّته فكان المأمون يَجْمَع المُشْكِلَ من المسائل ويرسلها إليه ليُجِيب عنها.

وقد كان الَاصْمَعِيّ اماما في اللغة والغرائب والمُلَح كثيرا الحفظ قويّ الذاكرة حتى قال بعضهم انه كان يحفظ ستة عشر ألف أُرْجوزة وقد ألف نحو الاربعين كتابا أغْلَبُها في اللغة وما يختص بها. ومما يحكى عنه أنه اجتمع مع أبي عُبَيدة عند الفضل بن الربيع وقد ألّف كلٌّ منهما كتابا في الخليل فسُئل الاصمعي عن كتابه فقال هو مُجَلَّد واحد وسئل أبو عُبَيدة عن كتابة فقال خمسون مُجَلّدا فقيل له قُمْ إلى هذا الفَرَس وأمْسك كلَّ عُضْو منه وسَمِّه فقال لَسْتُ بَيْطارا وانما أخَذْتُ هذا عن العرب فقيل للاصمعي قُمْ أنْتَ وافْعَلْ فقام وجَعَل يَضَع يَدَه على كلّ عُضْو ويُسَمّيه ويُنْشِد ما قالت العرب فيه فلما فَرَغ أُعْطِي الفَرَس ويقال انه كان اذا أراد اغاظة أبي عبيدة يأتي إليه راكبًا تلْك الفَرَسَ وتُوُفّي سنة **216** بالبصرة.

أبو تمّام (188 – 231هـ)

اسْمه حَبِيب بن أَوَسْ بن الحارث ينتهي نسبه إلى طيئ ولد سنة **188** ونشأ بمصر وقد قيل انه كان يَسقِي الماءَ بالجَرّة في جامع مصر وقيل كان يَخْدُم حائكا ويعمَل عنده ثم اشتغل وتنقَّل إلى أن صار واحد عصره في ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحُسْن أُسْلوبه وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره حتى قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أُرْجُوزة للعَرب غَيْرَ المَقَاطيع والقصائد وله كتاب الحَمَاسة الذي دَلَّ على غَزَارة فضله واتقان معرفته وحُسْن اختياره وله مجموع سَمّاه فُحُولَ الشعراء جَمَع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمُخَضْرَمين والاسلاميين وتوفى سنة **231** هجرية.

الامام احمد بن حنبل (164 – 241 هـ)

هو أحمد بن محمد بن حَنْبل ينتهي نَسَبه إلى عَدْنَان وُلِدَ في بغداد سنة **164** ومان إمَام المُحَدِّثين صنّف كتابه المسْنَد وجَمَع فيه من الحديث ما لم يَتّفِق لِغَيْره وكان يحفظ أحادِيثَ كثيرةً وكان صاحب الامام الشافعي رضى الله عنه ومن خواصّه ولم يَزَل مُصَاحِبَه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر وقال في حقه خَرَجْت من بغداد وما خَلّفت بها أتْقَى ولا أفْقَه من ابن حنبل ودُعِيَ إلى القول بخَلْق القرآن فلم يُجِبْ فضُرب وحُبِس وهو مُصِرّ على الامتناع أخَذَ عنه الحديثَ جماعة من الامَاثل منهم محمد ابن اسماعيل البخاري ومُسْلِم بن الحَجَّاج النَيْسَابُورِي ولم يكن في آخر عَصْره مِثْلُه في العِلْم والوَرَع توفى سنة **241** ببغداد.

البخاري (194 – 256 هـ)

هو ابو عبد الله محمد بن أبي الحسن البخاري الحافظ الامام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رَحَل في طَلَب الحديث إلى أكثر مُحَدِّثي الآمْصار وكَتَب بخُرَاسانَ والجبال ومُدن العِرَاق والحِجَاز والشام ومِصْر وقَدِم بغداد واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهِدُوا بتَفَرُّده في عِلْم الروَاية والدِرَاية وحكى أبو عبد الله الحُمَيدي في كتاب جَذْوة المُقْتَبِس والخطيب في تاريخ بغداد أن البخاري لما قِدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعَمَدوا إلى مائة حديث فَقَلبوا مُتُونَها وأسَانيدَها وأعْطَوْها لعشرة أنْفُس وأمَرُوهم اذا حضروا المجلس أن يُلْقُوا ذلك على البخاري وأخَذُوا المَوْعِد للمجلس وقد حضره كثير من أصحاب الحديث فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه واحد من العشرة فسأله عن حديثٍ من تلك الاحاديث فقال لا أعرفه ثم سأله عن آخر فقال لا أعرفه أيضا وهكذا حتى انتهى الجميع فلمَّا عَلِم البخاري أنَّهُم فَرَغوا التَفَتَ إلى الاول منهم وقال له أما حديثك الاول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الوَلَاء حتى أتَمّ العشرة وفَعَل بالآخَرِين كذلك ورَدَّ مُتُونَ الاحاديث كلّها إلى أسَانيدها إلى متونها فأقَرّ له الناس بالحِفْظ وأذْعَنُوا له بالفَضْل ورَوَىَ عنه أبُو عيسى التِرْمِذي ووُلد سنة **194** وتوفى سنة **256** .

مسلم (206 – 261 هـ)

هو أبو الحُسَين مُسْلِم بن الحَجّاج بن مسلم القُشَيْري النَيْسَابُورِي صاحب الصحيح أحَد الأئمة الحُفّاظ وأعْلام المُحَدّثين رَحَل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع يحيى النيسابوري واحمد بن حنبل وغيرهما وقدِم بغداد غيرَ مَرَّة فروَى عنه أهلها وقال الحافظ أبو علي النيسابوري ما تحت أديم السماء أصحّ من كتاب مسلم في علْم الحديث وتُوُفِّي مسلم المذكور سنة 261 بنيسابور وعُمْره خمس وخمسون سنة وقال ابن الصلاح انه ولد سنة 202 .

ابن الرّومي (221 – 284هـ)

هو أبو الحَسَن عليّ بن العباس الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مَكامِنِها ويُبْرِزها في أحسن قالَب وكان اذا أخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يَدَع فيه فَضْلة ولا بَقِيّة ومن كلامه وهو في مَرَض موته وكان الطبيب يتردّد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة فَزَعَم انه غلط في بعض العَقَاقِير قوله

غَلِط الطبيبُ عَلَيّ غَلْطَةَ مُورِدٍ عَجَزت مَوَارِدُه عن الاِصْدَار

والنَاسُ يَلْحَوْنَ الطَبيب وإنّما غَلَطُ الطَبِيب إصابَة الاَقْدَار

ابن دريد (223 – 321هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد بن عَتَاهِيَة يَنْتَهي نَسَبُه إلى قحطان كان امام عصره في اللغة والأدب والشعر وقال المسعودي في كتاب مروج الذَهَب في حَقّه كان ابن دريد ببغداد ممّن بَرَع في زماننا في الشعر كل مذهب وله تصانيف مشهورة منها كتاب الجَمْهَرَة وهو من الكتب المعتبرة في اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب السَرْج واللِجَام إلى غير ذلك من الكتب الجليلة وكانت ولادته بالبصرة سنة 223 ونشأ بها وتعلَّم فيها وأخذ عن أبي حاتم السِجِسْتاني والريَاشي وغيرهما ثم انتقل مع عمه الحُسَين إلى عُمَانَ وأقام اثنتى عشرة سنة ثم عاد إلى البصرة ثم خرج إلى نواحي فارس ثم إلى بغداد ومات بها سنة 321 ورثاه أحد البرامكة وهو حَجْظة بقوله :

فَقَدْتُ بابن دُرَيد كلَّ فائدة لَمّا غدا ثالثَ الأحجار والتُّرَب
وكُنْت أَبْكِي لِفَقْد الجُود مُنْفَرِدا فصِرْتُ أَبْكِي لفَقْد الجُود والأَدَب

ابن عبد ربه (246 – 328هـ) (861 – 940م)

هو الفقيه العالم أبو عُمَر أحمد بن عبد رَبّه وقد اشتهر بأدبه في الاندلس واتصلت شهرته إلى الشرق وقد زاد في شهرته وأبْقى ذِكْرَه الآن كتابُ العقْد الفريد المعروف في الادب وقد عّمر أكَثَر مِن اثنتين وثمانين سنة كما يؤخذ من قوله في قصيدته

وما لِىَ لا أبْلَى لسَبْعِينَ حجَّةً وعَشْرٍ أتت من بعدها سَنَتَان

ولَسْتُ أبَالِي من تَبَارِيح عِلَّتي اذا كان عَقْلي باقِيًا ولِسَانِي

أبو الطيب المتنبي (303 – 345 هـ)

اسمُه أحْمد بن الحسين بن الحسن الكِنْدي الكوفي المتنبي الشاعر المشهور وانما قيل له المتنبي لأنه ادّعَى النُبُوة في بداية السَّماوة وتبعِه خَلْق كثِير من بني كَلْب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حِمْص نائبُ الاخْشِيدِيّة فَأسَرَه وتَفَرَّق أصْحَابه وحَبَسَه طوِيلا ثم اسْتَتَابه وأطْلَقه ولما أُطْلِقَ من السجن الْتَحق بالأمير سيف الدولة ثم فَارَقه ودخل مصر سنة **346** ومدح كافورا الاخشيدي ولَمّا لَمْ يُرْضِهِ هَجَاه وقَصدَ بلاد فارس ومدح عَضُد الدولة بن بُوَيهْ فأجزل صِلَتَه ولَمّا رجع من عنده عَرَض له فاتِك بن أبي جهل الاَسَدي في عدّة من أصحابه فقاتله فَقُتِل المتنبي وابنْهُ وقيل ان السَبب في قَتْله عضد الدولة لأنه لَمّا وفَدَ عليه وَوَصَلَه بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مُسْرَجة مُحَلّاة وثياب مُفْتَخَرَة دَسّ عليه مَن سَأله أيْنَ هذا العطاء مِن عطاء سيف الدولة فقال له هذا أجْزَل الا أنه عَطاءٌ متَكَلَّف وسيفُ الدولة كان يُعْطِي طَبْعًا فَغَضِب عضد الدولة من ذلك وجَهَّز عليه قَوْما مِن بَنِي ضَبَّة فَقَتَلُوه بعد أن قاتل قتالا شديدا وقد قال له غلامه لَمّا انهزم أين قولك:

الخيل والليل والبَيْداء تَعْرفُني   والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قَتَلْتَنِي قَتَلَك اللهُ ثم قاتل فَقُتِلَ وكان قَتْلُه سنة **354** ومولِدُه سنة **303** بالكُوفة.

أبو فراس (320 – 357 هـ)

هو الحَارث بن أبي العلاء ابن عمّ ناصر الدولة وسَيْف الدولة قال الثَّعَالِبِي في وَصْفِه كان فَرْدَ دَهْره وشَمْس عَصْره أدَبا وفَضْلا وكَرمًا ومَجْدا وبلاغة وبراعة وفُرُوسيّة وشَجَاعة وشِعْرُه مشهور بَيْن الحُسْن والجودة والسُهُولة والجَزَالة والعُذُوبة والفَخَامة والحَلَاوة ولم تجتمع هذه الخِلال قَبْله إلا في شِعر عبْد الله بن المُعْتَزّ وأبو فِرَاس هذا يُعَدّ أشْعَرَ منه عنه أهل الصنعة ونَقَدَةِ الكلام وكان المتنبي يشهد له بالتقدم فلا يَنْبَرِي لمُبَارَاته ولا يَجْترئ على مُجَاراته وكان سيف الدولة يُعْجَب جِدّا بمَحاسنه ويُمَيِّزه بالاكرام على سائر قومه ويَسْتَصْحبه في غَزَوَاته ويَسْتَخْلِفه في أعْماله وقد أسَرَه الرُوم في بعض الوقائع أقام بالأَسْر أربعَ سنين وله في الأَسْر أشعار كثيرة من أجْوَد ما قاله ومن شعْره حين حَضَرَتْه الوفاة سنة **357** مُخَاطِبا ابْنَتَه

أبُنَيَّتِي لا تَجْزَعي ... كُلّ الأنام إلى ذَهَاب

نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرة ... مِن خَلْف سِترِك والحِجَاب

قُولِي اذا كَلَّمْتِني ... فَعَيِيْت عَن رَدِّ الجَوَاب

زَيْنُ الشبَاب أبُو فِرَا ... سٍ لَمْ يُمَتَّعْ بالشَبَاب

وولد سنة **320**

أبو الفرج الاصفهاني (284 – 356 هـ)

هو علي بن الحسين وجدّه السابع مَرْوان بن محمد آخِر خلفاء بني أمَيّة ولُدِ بأصْبِهَانَ ونَشَأ ببغداد وقد كان من أعيان الأُدَباء وأفراد المُصَنّفِين وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسِيرَ يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المُسْنَدة والنَّسَب شيأ كثيرا جدّا مع الالمام بعلوم أخرى مثل اللغة والطب والنجوم وكان له من جَيّد الشعر شئ كثير وألّف كثيرا من الكتب في العلومالمختلفة وأشهر هذه الكتب كتاب الأغَانِي في واحد وعشرين مُجَلَّدا وقد كان أبو الفرج منقطعا إلى الوزير المُهَلَّبِي وله فيه مَدَائحُ وعاش فوق السبعين سنة وتوفى سنة **356**

الخوارزمي (توفى سنة 383 هـ)

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارِزْمِيّ الشاعر المشهور وهو ابن اخت أبي جعفر محمد بن جَرِير الطَبَري صاحب التاريخ والخوارزمي المذكور كان أحد الشعراء المُجِيدين اماما في اللغة والانساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان يشار إليه في عصره وحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عَبّاد وهو بأرَّجَانَ فلما وصل إلى بابه قال لأحد حُجَّابه قل للصاحب على الباب أحَدُ الأدبَاء وهو يستأذن في الدخول فدخل الحاجب وأعلمه فقال الصاحب قل له قد ألزمتُ نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلّا من يحفظ عشرين ألف بيت من شِعْر العرب فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع إليه وقل له هذا القَدْر مِن شِعْر الرجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب فأعاد إليه ما قال فقال الصاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول فدخل فعرفه وانبسط له ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها سنة **383**

بديع الزمان (توفى سنة 398 هـ)

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهَمَذَانِي الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منْوالِه نَسَجَ الحَرِيريُّ مَقَامَاته واحْتَذَى حَذْوَه واقتفَى أثره واعترف في خطبته بفضله وانه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج وهو أحد الفضلاء الفُصَحاء روى عن أبي الحسين احمد بن فارس صاحب المُجْمَل في اللغة وعن غيره وله الرسائل البديعة وسَكَنَ هَرَاة من بلاد خُرَاسَان وكانت وفاته سنة **398** مسموما بمدينة هراة وقيل انه مات من السكتة وعُجّل دَفْنُه فأفاق في قبره وسمع صوته بالليل وأنه نبش عنه فوجدوه وقد قبض على لحيته ومات من هول القبر.

ابن زيدون (سنة 394 – 463 هـ)

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه كان أبو الوليد خاتمة شعراء بني مخزوم وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة وبرع أدبه وجاد شعره وعلا شأنه وانطلق لسانه ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتضد عباد صاحب اشبيلية فجعله من خواصه يجالسه في خلواته ويركن إلى اشاراته وكان معه في صورة وزير وله القصائد الطنانة منها قصيدته النونية المشهورة التي منها

نكاد حين تُناجيكم ضمائرنُا ... يَقضي علينا الأسى لولا تأسّينا

حالَت لِبُعْدِكُمُ أيامُنا فغدت ... سُودًا وكانت بكم بيضًا لَيالِينا

بالأمس كنّاوما يُخْشَى تفرُّقنا ... واليوم نَحْنُ وما يُرْجَى تَلاقينا

وكانت ولادته سنة **394** بِقُرْطُبَةَ وتوفى سنة **463** بِأشْبِيلِيَّة

الشريف الرضي (359 – 406 هـ)

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ينتهي نَسَبه إلى زَين العابدين ابن الحسين رضى الله عنهما وهو المعروف بالمُوسَوِيّ صاحب ديوان الشِعْر المشهور وقال الثعالبي في كتاب اليتيمة في ترجمته انه ابتداء يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل وقال أيضا انه اليومَ أبْدَعُ ابناءِ الزمان وأنْجَب سادات العراق ولو قلتُ انه أشْعَرُ قُرَيش لم أبِعُد عن الصِدْق ويشهد بذلك شعره وكَلَامُه الذي يَجمَع إلي السَلَاسة مَتَانَةً وإلى السُهُولة رَصَانة وكان والده يتولَّى قديما نقَابةَ الطالبّيين ويَحْكُم فيهم أجمعين وينظر في المظالِم ثم رُدَّت هذه الاعمالُ إلى وَلَدِه الرَّضي المذكور وأبُوه حيٌّ ومن غُررِ شعْره ما كتبه إلى الامام أبي العباس احمد بن المُقْتَدر

عَطْفًا أميرَ المؤمنين فاننا ... في دَوحة العَلياء لا نَتَفَرّق
ما بَيْنَنَا يومَ الفخار تَفَاوُت ... أبَدًا كِلانا في المَعالي مُعْرِق
الا الخلَافة مَيَّزَتْك فانَّني ... أنَا عاطِلٌ منها وأنْتَ مُطَوَّق

وديوانُ شعْره مَشْهُور وقد صَنَّفَ كِتَابًا في مَعَانِي القرآن الكَريم وصَنّف كتابا آخر في مَجَازَاته وكانت ولادته سنة **359** ببغداد وتوفى سنة **406** ويقال انه جمع كتاب نَهْج البلاغة من مختار كلام أمير المؤمنين على رضي الله عنه وقال الامام الذَهَبي في ميزان الاعتدال مَن طَالَعَ كتاب نهج البلاغة جَزَم بأنّه مَكْذُوب على أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه فان فيه السّبّ الصريح والحَطّ على السَيّدَين أبي بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ا هـ .

ابن سيناء (370 – 428هـ)

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سيناء البخاري المشهور بالشيخ الرئيس كان من أشهر الحكماء والاطباء فهو أبُقْرَاطُ الطّب وأرِسطو الحكْمة عند العرب والافرنج وقد جَمَع في فسيح صدره كتابات أرسطو وأوعى في خزانة معارفه حِكَمه وقواعِدَه وقد نَقَل الافرنج عنه أكثر ما عندهم من كتابات جَالِينُوس وابقراط ونشروا أشهر تآليفه في اللغة العربية وترجموا أكثرها إلى لغاتهم وكان هو المُعَوّل عليه شرقا وغربا في قواعد الحكمة والطب وقد اعترف له الجميع بالفضل فافتخر به الشرق وأخذ عنه ومدحه الغرب وانتفع بتصانيفه وكان والده من اهل بَلْح وانتقل إلى بُخَارَى وكان من العُمّال الكُفَاةِ واشتغل ابن سيناء بالعلوم والفنون ثم توجه نحوهم الحكيم أبو عبد الله النّاتلي فأنزله عنده وابتدأ يقرأ عليه كتاب ايساغوجي وأحكم عليه علم المنطق حتى بَرَع ويقال انه فاقه كثيرا حتى أوضح له رموزا وفَهمّه اشكالات ثم اشتغل بعد ذلك بالعلوم الطبيعية والالهية وفتح الله عليه أبواب العلوم ثم رغب بعد ذلك في علم الطِّب فتعلم حتى فاق فيه الاوائل والأواخر وأصبح عديم القرين تَرِد إليه الناس لتتعلم منه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة ويقال ان سِنُّه اذ ذاك لم يزد عن ست عشرة سنة لانه لم يشتغل بغير المطالعة وكان اذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد وصلّى ودعا الله أن يُسَهّلها عليه وقد عالج الاميرَ نُوحَ بن نصر السّامَاني صاحب خُرَاسان من مَرَضِه حين

استحضره لَمّا سَمِع بحكمته حتى برِئ فاتصل به وقرُب منه ودخل إلى دار كتبه وكانت عديمة المثل فيها من كل فن فظفِر بما حصل عليه منها من ثمرات العلوم واتفق بعد ذلك أن حُرِقت خزانة هذه الكتب (ويقال ان أبا علي هو السبب في احراقها لينفرد بما حَصّله منها) ولما اضطربت أمور الدولة السامانية خرج أبو علي من بخاري إلى قَصَبَة خوارزم ولم يزل ينتقل في البلاد إلى أن ذهب إلى جُرْجَان وصنَّف بها الكتاب الاوسط ولهذا يقال له الاوسط الجرجاني ثم بعد ذلك ذهب إلى هَمَذَان وتقلّد الوزارة لشمس الدولة ثم ثارت العسكر عليه فَأغارُوا على داره ونَهَبُوها وقَبَضوا عليه وسألوا شمس الدولة قَتْلَه فامتنع ثم أُطْلِق فَتَوَارَى ولَمّا مرِض شمس الدولة وتولى تاج الدولة ولم يستوزره توجه إلى إصْبِهَانَ وكان بها أبو جعفر فأحسن إليه وكانت ولادته سنة **370** وتوفى سنة **428** بهَمَذَان بعد أن اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورَدّ المَظَالِمِ على من عَرَفه وأعْتَقَ مماليكه وجعل يختم القرآن الكريم كل ثلاثة أيام مَرّة.

أبو العلا المعري (363 – 449 هـ)

هو احمد بن عبد الله بن سليمان التَنُوخِي المَعّرِي اللغوي الشاعر كان متضلعا من فنون الأدب قرأ النحو واللغة على أبيه بالَمَعرّة وعلى محمد ابن عبد الله بحَلَب وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة وله من النظم لزوم مالا يلزم وله سَقْط الزَنْد وشرَحَه بنفسه وسّمّاه ضوء السقط وله غير ذلك وكان علّامة عَصْره وأخَذَ عنه أبو القاسم علي بن المُحْسِن التَنُوخِي والخطيب أبو زكرياء التَبْرِيزي وغيرهما وكانت ولادته سنة **363** بالَمَرّة وعَمِيَ سنة **367** من الجُدَرِيّ وقد اختصر ديوانَ أبي تّمّام والبُحْتُري والمتنبي وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أُخِذ عليهم وبعد أن لزم منزله سنة **401** سار إليه الطلبة من الآفاق وكاتَبَه العلماء والوزراء وأهل الاقدار ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تَزَهُّدا لانه كان يَعُدّ ذَبْح الحيوان تعذيبا وعمل الشِعر وهو ابن احدى عشرة سنة ومن كلامه في اللزوم

لا تطلبنّ بآلهٍ لَكَ رُتْبة ... قَلَمُ البَلِيغ بغير جَدّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السِمَا كَانِ السماءَ كِلَاهُمَا ... هذا له رُمْحٌ وهذا أعْزَلُ

وتوفى سنة **449** بالمعرّة وأوصى أن يُكْتَب على قبره

هذا جَنَاه أبي عَلَيّ وما جَنَيْتُ عَلَى أحَد

حجة الاسلام الغزالي (450 – 505 هـ)

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي المُلَقَّب حُجَّة الاسلام زَين الدين الطُوسِي الفقيه الشافعي ولم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله اشتغل في مبدأ أمره بطُوس ثم قَدِم نَيْسَابُور وجدّ في الاشتغال على امام الحَرَمين أبي المعالي حتى تَخرَّج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه ولم يزل ملازما له إلى أن توفى فخرج من نيسابور إلى العسكر ولقى الوزيرَ نِظَامَ المُلْك فأكرمه وعظّمه واقبل عليه وكان بحضرة الوزير جماعة من الافاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس وظهر عليهم واشتهر اسْمُه وسارت بذكره الركبان ثم فُوّض إليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وأُعْجِبَ به أهلُ العراق وارْتَفَعَت عندهم منزلَتُه ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزُهْد والانقطاع وقَصَد الحَجّ ولَمّا رجع توجه إلى الشام فأقام بمدينة دِمَشْق ثم انتقل منها إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة ثم قصد مصر وأقام بالإِسكَنْدَرية مدة ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل وصنّف الكتب التي أشْهَرُها احياء علوم الدين وكتاب الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة في الفقه والمقصد الاسني في شرح أسماء الله الحسنى ومشكاة الأنوار والمُنْقِذ من الضلال إلى غير ذلك من الكتب النفيسة ثم أُلْزِم بالعَوْد إلى نَيْسَابُور والتدريس بها بالمدرسة النظامية ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ووزّع أوقاته على أعمال الخير والعبادة وكانت ولادته سنة **450** هجرية وتوفى سنة **505**

الطغرائي (توفي سنة 513 هـ)

هو العَمِيد أبو اسماعيل الحسين بن علي الملقب مُؤَيّد الدين المشهور بالطُغْرَائِي كان غَزِيرَ الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر وقال أبو المعالي في كتابه زينة الدهر ان الطغرائي كان يُنْعَت بالأُسْتاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السَلْجُوقي بالمَوْصل ولَمّا جَرَى بينه وبين أخيه السلطان محمود المَصَافّ بالقرب من هَمَذَان وكانت النصرة لمحمود وُشِي به فَقُتِل وكانت هذه الواقعة سنة **513** وقيل سنة أربع عشرة وقد جاوز ستين سنة والطغرائي نسبة لمن يكتب الطُغْرَى وهى الطُرَّة التي تُكتَب في أعلى الكُتُب فوق البسملة بالقلم الغليظ وهى لفظة أعجمية وللطغرائي المذكور ديوان شعر جيّد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامِية العجم التي اولها

(اصالة الرأي صانَتْني عن الخطل الخ)

الحريري (446 – 516 هـ)

هو أبو محمد القاسم الحريري البصري صاحب المقامات أحَدُ أئمة عصره ورُزِق الحُظْوة التامَّة في عمل المقامات واشتملت على شيء كثير([3]) من كلام العرب من لغاتها وأمْثالها ورموز أسرار كلامها وبها يُسْتَدَلّ على فضل هذا الرجل وعلى كثرة اطلاعه وغَزَارة مادّته وسَبَبُ وضعِه لها ما حكاه ولَدَهُ أبو القاسم قال كان أبِي جالسا في مسجده ببَنِي حَرَامٍ فدخل شيخ ذُو طِمْرَيْنِ عليه أُهْبَة السفَرثُّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسألته الجماعة من أين الشيخ فقال من سَرُوجِ فاستخبره عن كُنْيَته فقال أبُو زَيد فعَمِل أبِي أبِي المقامة المعروفة بالحَرَامِيّة وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خَبَرُها الوزيرَ شرف الدين وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها أعجبته وأشار على والدي أن يَضُمّ إليها غيرها فأتَمّها خمسين وكانت ولادة الحريري سنة **446** وتوفى سنة **516** بالبصرة في سِكّة بني حَرَام.

وقد حَاوَل كثير من الافرنج تَرْجمة المَقَامَات إلى لُغَتهم ولكن مِثِل هذا الكتاب لا يُتَرْجم وللحريري غير المقامات كتب كثيرة منها دُرّة الغَوّاص ومُلْحَة الاعراب في النحو وديوان شعر ورسائل.

---

[3] (3) ادبيات اللغة العربية (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

ابن رشد (514 – 595 هـ)

هو ابو الوليد محمد بن أحمد بن رشد أشهر فلاسفة العرب ولد في قرطبة سنة **514** هجرية وكان أبوه متوليا فيها الفتوى أخّ عن أشهر الفلاسفة في عصره وتخرج في الفقه والطب والفلسفة وقَرَّ به المهدي يوسف لثقته به وحذقه ورقّاه أسمى المراتب فخَلَفه بها في فتوى الاندلس ثم تولى الفُتْيا في مَرَّاكُش وأقام فيها مدة وسكن إشْبِيلِيّة وكان له نفس الرعَاية والاعتبار في أوائل عهد المنصور خَلَف المهدي يوسف الا أنه وُشيَ به حَسَدًا وعُدْوَانا ففسد أمْرُه عند المنصور فَعَزَلَه عن رُتْبته ونفاه عِدة سنين ثم دُعِي إلى مَرَّاكُش فشُمِل بالعطايا والمكارم وتوفى بها بعد أمَد وَجِيز سنة **595** هجرية.

وقد ذهب ابن رشد إلى أن أرِسطو هو أعظم الفلاسفة وترجم مؤلَّفاته وَشَرَحَها بضَبْطٍ وَتَرَوٍّ وله شرح أُرْجُوزةٍ في الطّبّ للشيخ الرئيس ابن سيناء وله كتاب فصل المقال فيما بين الشرعية والطبيعة من الاتصال ومن أشهر مؤلفاته الكليات في الطب وله غير ذلك كثير وأصل مؤلفاته في العربية نادر الوجود ولكن الاوروبيين اهتمّوا بترجمتها إلى لغاتهم فمن ذلك شرح أقوال اَرسْطُو مع الرّد على الغزالي فانه تُرْجم إلى اللاتينية وحسب أحد عشر مجلدا وطبع بالبندقية سنة **1560** ميلادية وكذلك كلياته ترجمت وطبعت بالبندقية أيضا وقد اهتم الاوربيون بفلسفة ابن رشد ومذهبه ذكر فيه سيرته ومؤلفاته وقال انه كان أعظم فلاسفة القرون المتوسطة التابعين لأرسطو والناهجين سبيل الحرية في الافكار والاقوال وقد طبع هذا الكتاب بباريس سنة **1852**.

ابن جبير (540 – 614 هـ)

هو ابو الحسن محمد بن احمد بن جُبَيْر الكناني ولد ببَلَنْسِيَة في سنة **540** وقد برع في العلم والشعر ورحل إلى المشرق أكثر من مرّة فخرج من غَرْنَاطَةَ في رِحلته الاولى سنة **578** ووصل إلى الاسكندرية بعد ثلاثين يوما وحج ورحل إلى الشام والعراق والجزيرة وغيرها ثم عاد إلى الاندلس سنة **581** ثم سافر بعد ذلك إلى المشرق وتوفى بالاسكندرية سنة **614** وهو ممن أثْرَوْا بالادب ثم تزهد وأعرض عن الدنيا وكان من أهل المروآت مؤنسا للغُرَباء عاشقا لقضاء حوائج الناس

ابن الفارض (576 – 632 هـ)

هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف له ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الصوفية ومن كلامه

لَمَ أخْلُ مِن حَسَد عليك فلا تُضِع   سَهَرِي بتشييع الخَيَال المُرْجِفِ
واسْأَلْ نُجُومِ الليل هل زار الكَرَى   جَفْني وكيف يَزُور من لم يَعْرِفِ

وكان رحمه الله صالحا كثير الخير حسن الصحبة محمود العشيرة جاور بمكة المكرمة زمانا وكانت ولادته سنة **576** بالقاهرة وتوفى بها سنة **632** ودُفن بسَفْح المُقَطَّم .

ابن الاثير

يطلق هذا الاسم على كل واحد من اخوة ثلاثة وهم العالم المحدّث ابو السعادات مَجْد الدين المبارك (**544 – 606** هـ) والمؤرّخ المدقق أبو الحسن عِزّ الدين علي (**555 – 630**هـ) والوزير الأديب ضياء الدين أبو الفتح نصر الله (**000 – 637**هـ) وهم أبناء أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَيْبَاني وُلِدُوا جميعا بجزيرة ابن عُمَر بالجزيرة ثم رحلوا مع أبيهم إلى المَوْصِل واشتغلوا بها وحَصّلوا العلوم وكانوا جميعا فقهاء مُحَدّثين أدَبَاء مُؤَرّخين الا أن كل واحد منهم تفَرّد بعِلْم وألّف مُؤَلّفَات لا تزال طائرة الصِيت إلى يومنا هذا.

فَتَفَرّد المبارك بالحديث وألّف فيه كتاب النهاية في غريب الحديث وقد كان اعتراه مرض كفّ يديه ورجليه فمنعه من الكتابة وأقام في داره وفي هذه الحالة صنف كتبه وكان له جماعة يعينونه عليها وتفرّد ضياء الدين بالأدب ومن أشهر كتبه فيه المَثَل السائر في أدَب الكاتب والشاعر وقد كان اتصل بخدمة صلاح الدين الأيُّوبي ثم انتقل إلى ولده الملك الأفضل فاستوزره وكانت وفاته سنة **637**

ابن الحاجب (570 – 646هـ)

هو أبو عَمْرو عثمان بن عُمَر الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين كان والده حاجبا للامير عز الدين وكان كُرْدِيًّا واشتغل ولده أبو عمرو في صغره بالقرآن الكريم ثم بالفقه على مذهب الامام مالك ثم بالعربية والقراآت وبَرِعَ في علومه وأتْقَنَها غاية الاتقان وكان ذلك بالقاهرة ثم انتقل إلى دِمَشْقَ ودرس بجامها وأكَبَّ الخلق على الاشتغال عليه وتَبحّر في الفنون وكان الأغلب عليه عِلْمَ العربية صَنَّف مختصرا في مَذْهَبه ومُقَدّمَةً وجيزة في النحو وسَمّاها الكافية وأخرى مِثْلَها في التصْرِيف وسَمَّاها الشافية وشَرَحَ المُقَدَّمَتَين وصنّف في أصُول الفقه وخَالَف النُّحاةَ في مواضِعَ وأوْرَد عليهم اشْكالات والزامات تَبْعُد الاجابة عنها وكان مِن أحْسَن خَلْق الله ذِهْنا ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليه ثم انتقل إلى الاسكَنْدَرية للاقامة بها فلم تَطُل مدّته هناك وتُوُفِّيَ بها سنة **646** وولد سنة **570** باسنا

بهاء الدين زهير (581 – 656 هـ)

هو أبو الفضل زُهَير بن محمد بن علي الملقب بهاء الدين الكاتب كان من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخَطّا ومن أكبرهم مُرُوءة وكان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتح أيّوب ابن الملك الكامل بالديار المصرية وتوجّه في خدمته إلى البلاد الشرقية وأقام بها إلى أن مَلَك المَلِكُ الصالح مدينة دِمَشْقَ فانتقل إليها في خدمته وأقام كذلك إلى أن جرت الواقعة المشهورة على الملك الصالح وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وقَبضَ عليه ابْن عَمّه الملك الناصر داود صاحب الكَرَكِ واعْتَقَله بقَلْعة الكَرَكِ فأقام بَهاءُ الدِين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بغيره ولم يَزَل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية فَقَدِم إليها في خِدمته لما كان عليه من مكارم الاخلاق ودماثة السجايا ولذلك كان متمكنا من صاحبه كبير القدر عنده لا يَطّلع على سِرّه الخَفِيّ غيره ومن محاسن شعره مُلْغِزا في القُفْل قوله

وأسْوَد عَارٍ أنْحَلَ البَرْدُ جِسْمَه   وما زال من أوصافه الحِرْص والمَنْع
وأعْجَب شَيءكَوْنُه الدهْرَ حَارِسًا   وليس له عَيْنٌ وليس له سَمْع

أبو الفداء (672 – 732 هـ)

هو السلطان الامام والملك المُؤيَّد اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهِنْشَاْه بن أيّوب صاحب حَمَاة وكانت ولادته بدمشق لان أهله كانوا خرجوا من حماة خوفا من التّتر وكان أبو الفداء بَطَلا شجاعا خدم الملك الناصر محمد بن قَلَاوُون لَمّا كان في الكَرَك وسَاعَدَه في محاربة التَتَر فوَعَده بحَمَاة التي كانت اقْطاعا لأُسْرَتِهِم ووَفَى له بذلك وجعله سلطانا عليها يَفْعَل فيها ما يَشَاء من اقْطاع وغيره وليس لأحد من الدولة بمصر معه حُكْم ولَقَّبَه بالسلطان المؤيد.

ويقال أن أجْوَد ما كان يَعْرِفه أبو الفِداء عِلْم الهيئة لأنه أتْقَنَه وان كان قد شارك في سائر العلوم مشاركة جيدة وله مُؤلَّفات كثِيرة في علوم مُخْتَلِفة أهَمّها التاريخ المُتَضَمّن التاريخ القديم وتاريخ الاسلام إلى سنة **1328** ميلادية والجعرافية المتضمنة على الخصوص وصف مصر وسورية وبلاد العرب وفارس وهى أحسن الجغرافيات الشرقية وقد طبعت هى وتاريخه مرارا باللغة العربية واللغات الافرنجية بعد ترجمتها ومات في الستين من عمره سنة **732**

ابن خلدون (732 – 808هـ)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد وأصْل بَيْتِه مِن اشبيلِيّة من أعمال الأنْدَلُس انتقلوا إلى تونس في أواسط القَرْن السابع للهجرة عند الجلاء ونسبهم في حضرموت من عرب اليمن وأوّل مَن رَحَل إلى الأنْدَلُس منهم هو خَلْدُون الجَدّ العاشر للمترجم.

ووُلِدَ ابن خلدون بِتُونِسَ سنة **732** للهجرة ورُبِي في حجر والده وقرأ القرآن الكريم بالقراآت السبع ثم أخذ في دراسة الفقه والأدب فبرِع فيهما وكان كاتبا بليغا وشاعرا نابغا تَنَقّل كثيرا في بلاد المغرب والاندس وتَوَلّى الكتابة لكثير من الملوك ورأي من النعيم والبَأْسَاء ما يراه أهل النباهة والشرف والصدق في كل زمان من الملوك الذين تَرُوج عندها الوشَايَات ثم حضر إلى مصر في سنة **784** وأخَذَ يُعَلّم بالجامع الازهر ثم اتصل بالسلطان برقوق فأكرمه وأحسن مثواه وفي سنة **786** ولاه القضاء بمصر فَعَدَل بين الناس ولم تُؤثّر فيه وِشَايةُ الوَاشِين وسِعَاية السَاعِين ولم يزل بالقاهرة إلى أن مات سنة **806** وقيل سنة **808** وقد أبْقَى شُهْرَتَه إلى الآن تاريخُه المشهور ومُقَدِّمته التي تَدُلّ على ان الرَجُل كان أكبر من نظروا في الاجتماع في عَصْره

وفُوْد العَرَب على كسْرَى قبل الاسلام

روى ابن القُطَامِي عن الكَلْبي قال قدم النعمان بن المنذرعلى كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الامم لا يَسْتَثْنِي فارسَ ولا غيرها فقال كسرى وأخَذَتْه عزّة المُلْك يا نعمان لقد فَكَّرْتُ في أمْر العرب وغيرهم من الامم ونظرت في حالة من يَقْدَم عليَّ من وفُود الأُمَم فوجدت للرُّوم حظّا في اجتماع ألفتِها وعِظم سُلْطانها وكثرة مدائنها ووَثِيق بُنْيَانِها وانّ لها دِيْنًا يُبَيّن حَلَالَها وحَرَامها ويرد سَفِيهَهَا ويُقِيم جاهَهَا ورأيت الهند نحوا من ذلك في حِكْمَتِها وطبّها مع كثرة أنْهار بلادها وثِمارها وعجيب صنَاعتها وطِيب أشجارها ودقيق حِسَابها وكثرة عَدَدها وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفُرُوسيتها وهِمّتها في آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها مُلْكًا يَجْمَعُها والتُرْك والخَزَر على ما بهم من سوء الحال في المَعَاشِ وقِلَّة الريف والثمار والحُصُون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لَهم مُلوك تَضُمّ قَوَاصِيَهم وتُدَبِّر أمْرهم ولم أرَ للعرب شيأ من خصال الخَيْر في أمْرِ دِين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة ومع ان مما يَدُلّ على مَهَانتها وذُلّها وصِغَر هِمّتها مَحِلَّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون أولادَهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة قد خرجوا من مَطَاعِم الدنيا ومَلَابسها ومَشَارِبها ولَهْوِها ولَذّاتها فأفْضّل طعام ظَفِر به نَاعِمُهم لحومُ الإبِل التي يَعَافُها كثير من السّباع لِثِقَلها وسوء طعمها وخوف دائها وان قرى أحَدُهم ضَيفا عَدّها مَكْرُمة وان أُطْعم أكْلة عَدّها غَنِيمة تَنْطِق بذلك

أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ما خلا هذه التَنُوخِية التي أسّس جّدّي اجتّماعَها وشَدّ مّمْلكتها ومنَعها مِن عَدُوّها فَجَرى لها ذلك إلى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثارا ولَبُوسا وقُرًى وحُصُونا وأمورا تُشْبه بعض أمور الناس يعني اليَمَن ثم لا أرى كم تَسْتَكِنون على ما بكم من الذِّلّة والقلِّةِ والفَاقة والبُؤْس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس قال النعمان أصلح الله الملك حَقّ لِأُمَّةٍ المَلِك مِنْهَا أنْ يَسْمُو فَضْلها ويَعْظُم خَطْبها ويَعْلُو دَرَجتها إلّا أنّ عندي جَوَابا في كل ما نطق به الملك في غَير رَدٍّ عليه ولا تكذيب له فان أمَّنَني من غضبه نَطَقْتُ به قال كسرى قُلْ فأنْتَ آمِن قال النعمان أمّا امُّتَكُ أيها الملك فليست تُنَازَع في الفضل لموضعها الذي هى به من عقولها وأحلامها وبَسْطه محلها وبُحْبوحة عِزّها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأمّا الامُمَمُ التي ذَكَرْتَ فأيّ أمة تَقْرُنُها بالعَرَب إلا فَضَلَتْها قالكسرى بماذا قال النعمان بِعِزّها ومَنَعَتِها وحُسْن وُجُوهها وبأسها وسخائها وحِكْمة ألْسِنَتِها وشِدّة عقولها وأنَفَتِها ووَفَائها.

فأما عِزّها ومَنَعَتُها فانها لم تَزَل مُجَاوِرَة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ووَطّدوا المُلْك وقادوا الجُنْد لم يَطْمَع فيهم طامع ولم يَنَلْهُم نائل حُصُونُهم ظهور خَيْلِهم ومِهَادُهم الارْض وسُقُوفُهم السماء وجُنّتُهم السُّيوف وعُدّتُهُم الصَبْر اذ غَيْرُهُا من الأُمَم انّما عِزُّها الحِجَارة والطين وجَزَائِر البُحُور.

وأما حُسْن وُجُوهِها وألْوَانِها فقد يُعْرَف فَضْلُهم في ذلك على غيرهم من الهند المُنْحَرفة والصِين المُنْحفَة والتُّرْك المُشَوَّهة والرُّوم المُقَشَّرة وأما أنْسَابُها وأحْسابُها فليست أمّة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأصُولَها وكثيرا مِن

أوّلها حتى انّ أحَدَهم ليُسْئل عمن وراء أبيهِ دُنْيَا فلا يَنْسُبه ولا يَعْرِفه وليس أحد من العرب الا يُسَمّي آباءه أبًا فأباً حَاطُوا بذلك أحْسَابَهم وحَفِظوا به أنْسَابَهم فلا يَدْخل رجل في غير قومه ولا يَنْتَسِب إلى غير نَسَبه ولا يُدْعى إلى غير أبيه وأما سخاؤها فانّ أدْنَاهُم رَجُلا الذي تكون عنده البَكْرة والنَّاب عليها بَلَاغه في حَمُوله وشبَعه وريّه فَيَطْرقُهُ الطارِق الذي يَكْتَفي بالفَلْذة ويَجْتَزِي بالشَرْبة فَيَعْقِرها له ويَرْضَى أن يَخْرُج عن دُنْياه كُلّها فيما يُكْسِبه حُسْن الأحْدُوثة وطَيّبَ الذِكْر وأما حِكْمة ألْسِنَتهم فان الله تعالى أعطاهم في أشْعارهم ورَوْنَق كَلَامِهم وحُسْنِه ووَزْنِهِ وقَوَافِيه مع معرفتهم بالاشياء وضربِهم للْأَمْثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشئ من ألسنة الأجناس ثم خَيْلُهم أفْضَل الخَيْل ونِساؤهم أعَفّ النساء ولِبَاسُهم أفضل اللباس ومَعَادِنُهُم الذَهَب والفضّة وحجارة جبالهم الجَزْعُ ومَطَايَاهم التي لا يُبْلَغ على مِثْلِها سَفَرٌ ولا يُقْطَع بمثلها بَلَدٌ قَفْرٌ.

وأما دِينُها وشَريعتها فانهم مُتَمَسّكون به حتى يبلغ أحَدُهم من نُسْكِه بِدِينه انّلهم أشْهُرًا حُرُما وبَلَدًا مُحَرَّما وبَيْتًا مَحْجُوجا يَنْسُكون فيه مَنَاسِكَهُم ويَذْبَحُون فيه ذَبَا ئحهم فَيَلْقى الرَجُل قاتلَ أبيه أو أخِيه وهو قادر على أخْذ ثَارِه وإدْرَاك رَغْمه منه فَيَحْجُزُه كَرَمُه ويَمْنَعه دِينُه عن تَنَاوُلِهِ بأذى وأما وفَاؤها فان أحَدَهم يلحَظ اللَحظة ويُومِئ الأيْمَاءَة فهى وَلْثُ (أي عَهْد) وعُقْدَة لايَحُلُّها إلا خُرُوج نَفْسه وانّ أحَدَهم يَرْفَع عُودًا من الأرض فيكون رَهْنا بدَيْنه فلا يَغْلَق رَهْنُه ولا تُخْفر ذِمّته وانّ أحَدَهم ليَبْلُغه أنّ رَجَلا اسْتَجَار به وعَسَى أن يَكون نائيًا عن دَارِه فَيُصَاب فلا يَرْضَى حتى يُفْنِي تلك القَبيلة التي أصابته أو تَفْني قبيلَته لِما أُخْفِر مِن جِوَاره وانه ليَلْجَأ

إليهم المُجْرِم المُحْدث من غير معرفة ولا قَرَابة فتكون أنْفُسُهم دون نَفْسه وأمْوالُهم دون مَالِه.

وأما قولك أيها الملك أيها الملك يَئدون أوْلَادهم فانما يَفْعَله منهم بالِإنَاث أنَفَةً من الْعَار وغَيْرة من الأزْواج وأما قولك انّ أفْضَل طَعَامِهِم لحُوم الابِل على ما وَصَفْت منها فما تركوا ما دُونَها إلّا احْتِقارًا له فعَمَدُوا إلى أجَلّها وأفْضَلها فكانت مَرَاكِبَهم وطَعامَهم مع أنّها أكْثَر البَهَائم شُحُوما وأطْيَبُها لحُوما وأرَقّها ألْبانا وأقَلُّها غائِلة وأحْلَاها مَضْغة وانه لا شئ يُعَالَج به لحْمُها إلّا اسْتبان فضْلُها عليه.

وأما تَحارُبُهم وأكْل بعضهم بعضا وتَرْكُهم الانقِياد لِرَجل يَسُوسُهم ويَجْمَعُهم فانما يَفْعَل ذلك من يَفْعَله من الْامَم اذا أنِسَت من نَفْسها ضَعْفا وتَخَوّفَت نُهُوض عَدُوّها إليها بالزَحْف وانّه انما يكون في المملكة العظيمة أهلُ بَيْتٍ واحدٍ يُعْرَف فَضْلُهم على سائر غيرهم فَيُلْقُون إليهم أمُورَهم ويَنْقَادُون لهم بأزِمتِهم.

وأما العرب فان ذلك كَثِيرٌ فيهم حتى لقد حَاوَلُوا أن يَكُونوا مُلُوكا أجمعين مع أنفَتِهم من أدَاء الخَرَاج والوَطْثِ (أي الضَرْب الشديد بالرِجْل على الارض) بالعَسْف. وأما اليمن التي وصفها الملك فانما أتَى جَدّ المَلِك إليها الذي أتاه عند غلبة الحبش له على مُلْكٍ مُتّسق وأمْرٍ مُجْتَمِع فَأتَاه مَسْلُوبا طَرِيدا مُسْتصْرِخا ولولا ما وُترِ به يليه من العرب لَمالَ إلى مَجَال ولوَجَد مَن يُجِيد الطِعان ويَغْضَب للأحْرار من غَلَبة العَبِيد الأشْرار. قال فعجِب كسرى لِمَا أجابه النعمان به وقال إنك لأهْلٌ لِمَوْضِعِك من الرَآسة في أهْل

إقْليمك ثم كَسَاه من كسوته وسَرّحه إلى موضعه من الحِيرة. فلما قَدِم النعمان الحِيرة وفي نفسه ما فيها مما سمِع من كسرى مِن تَنَقّص العَرَب وتَهْجين أمْرِهم بَعَثَ إلى أكْثم بن صَيْفِي وحاجِب بن زُرَارة التّمِيميَّين وإلى الحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البَكْرِيَّين وإلى خالد بن جعفر وعلقمة بن عُلَاثَة وعامر بن الطُفَيل العامرِيّيْن وإلى عَمْرو ابن الشَرِيد السُلَمِي وعَمْرو بن مَعْدِ يكَرِبَ الزبيدي والحارث بن ظالم المُرّيّ فلما قَدِموا عليه في الخَوَرْنَق قال لهم قد عرفتم هذه الاعاجم وقُرْب جِوَار العرب منها وقد سمعتُ من كسرى مقالات تَخَوّفْت أن يكون لها غَوْر أو يكون انّما أظْهَرَها لِامْر أراد أن يتخذ به العرب خَوَلا كبعض طَمَاطِمَتِه في تَأْدِيَتهم الخَرَاج إليه كما يفعل بملوك الأُمَم الذين حَوْلَه فاقتصّ عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه فقالوا ايُّها المَلِك وفّقك اللهُ ماأحسن ما رَدَدْتَ وأبلغ ما حَجَجْتَه به فَمُرْنا بأمْرك وادْعُنا إلى ما شئت قال انما أنَا رَجُل منكم وانما مَلَكْتُ وعَزَزْتُ بمَكانكم وما يُتَخَوف من ناحيتكم وليس شئ أحبّ إليّ مما سَدّد الله به أمْرَكم وأصلح به شأنكم وأدام به عِزّكم والرأي أن تَسِيروا بجماعتكم أيُّها الرَهْط وتنطلِقوا إلى كسرى فاذا دخلتم نَطَق كل رجل منكم بما حضره ليَعلم أن العرب على غير ما ظَنّ أو حَدّثَتْه نَفْسُه ولا يَنْطِق رجل منكم بما يُغْضِبه فانه ملك عظيم السلطان كثير الاعوان مُتْرَف مُعْجب بنَفسه ولا تَنْخَزِلُوا له انْخِزَال الخاضع الذليل ولْيَكُنْ أمْرٌ بين ذلك تظهر به دَمَاثَةُ حُلُومِكم وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكْثم بن صَيفِي ثم تتابعوا على الَامْر مِن مَنَازلكم التي وَضَعْتكم بها فانما دعاني إلى التَقْدمة إليكم عِلْمِي بميل كلّ رجل منكم إلى التَقَدُّم قَبْل صاحبه فلا

يَكُونَنَّ ذلك منكم فَيَجِدَ في آدابكم مَطْعَنا فانه ملِك مُتْرَف وقادِر مُسَلّط ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حُلَل الملوك كُل رجل منهم حُلّة وعَمّمه عِمامة وخَتّمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنَجيبة مَهْرِيَّة وفرسٍ نجيبة وكتب معهم كتابا أما بعد فان الملك ألقَى إلى من أمر العرب ما قد علم وأجَبْتُه بما قد فهم ممَّا أحْبَبْت أن يكون منه على عِلْم ولا يَتَلَجْلَج في نَفْسه أنّ أمّة مِن الأمم التي احتجزت دونه بمملكتها وحَمَت ما يليها بفضل قُوتها تبْلُغُها في شئ من الأُمور التي يَتَعَزَّزُ بها ذَوَو الحَزْم والقُوَّة والتدْبِير والمكِيدة وقد أوْفَدْت أيُها الملِك رَهْطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فَلْيَسْمع المَلِك ولْيُغْمضْ عن جَفَاء انْ ظَهر من مَنْطِقِهم وَلْيُكْرِمْني باكرامهم وتعجيل سَرَاحِهم وقد نَسَبْتهم في أسفل كتابي هذا عَشَائرهم فخرج القوم في أهْبَتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا إليه كتاب النعمان فقرأه وأمر بانزالهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يَسْمَع منهم فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمَر مَرَازِبَته ووُجُوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام التَرْجُمان ليُؤدِي إليه كَلامَهم ثم أذن لهم في الكلام.

فقام أكثم بن صيفي فقال ان أفضل الاشياء أعاليها وأعْلَى الرجال مُلُوكهم وأفْضَل الملوك أعَمُّها نَفْعا وخيرُ الأَزْمنة أخْصَبُها وأفضل الخُطَباء أصْدَقُها الصِّدق مَنْجَاة والكَذب مَهْوَاة والشَّرّ لجاجة والحَزْم مَرْكَب صَعْب والعَجْز مَرْكب وَطْئ آفَةُ الرأي الهوَى والعَجْز مفتاح الفَقْر وخير الامور الصَبْر حُسْن الظَنّ وَرْطة وسوء الظن عِصْمَة إصلاح فساد الرِّعيّة خير من

إصْلاح فَسَاد الراعي مَن فَسَدَت بِطَانَتُه كان كالغَاصّ بالماء شَرُّ البلاد بلاد لا أمير بها شَرُّ المُلُوك من خَافه البَرِئ المَرْء يَعْجِز لا مَحَالة أفضل الاولاد البَرَرة خير الأَعْوانِ منْ لم يُرآء بالنصيحة أحَقّ الجُنُود بالنَصْر من حَسُنَتْ سَريرته يكْفيك من الزاد ما بَلَّغَك المَحَلّ حَسْبُك مِن شَرٍّ سَمَاعه الصّمْتُ حِكَم وقَليلٌ فاعِلُه البَلَاغة الايجاز مَن شَدّد نَفّر ومن تَرَاخى تألّف فتعجب كسرى من أكثم ثم قال ويحك يا أكثم الصِدْق يُنْبِئ عنك لا الوَعيد قال كسرى لو لم يكن للعرب لكفى قال أكثم رُبَّ قَوْل أنْفَذُ مِن صَوْل. ثم قام حاجب بن زُرَارة التميمي قال وَرَى زَنْدُك وعَلَتْ يَدُك وهِيْبَ سُلْطَانُك ان العرب أمّة قد غَلُظَت أكْبادُها واسْتَحْصدت مِرَّتُها ومُنعَت دِرّتها وهى لكَ وامِقة ما تَأَلّفْتَها مُسْتَرْسِلة مالايَنْتَها سامعة ماسامَحْتَها العلْقَم مَرَارة وهى الصَابُ غَضَاضة والعَسَل حَلَاوة والماءُ الزُلَال سَلَاسَةً نَحْنُ وفُودُها إليك وألْسِنَتُها لديك ذِمتنا مَحْفوظة وأحْسَابُنَا مَمْنُوعة وعَشَائرنا فينا سَامِعه مُطِيعة إن نَؤُب لَكَ حَامِدِين خَيْرا فلك بذلك عُمُوم مَحْمَدَتِنا وان نَذُمّ لم نُخَصّ بالذّمّ دُونَهَا قال كسرى يا حاجب ما أشبه حَجَر التّلال بألوان صَخْرها قال حاجب بل زَئير الأُسْد بصَوْلَتها قال كسرى وذلك ثم قام الحارث البكري فقال دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها وعُلُوّ سَنَائها مَن طال رِشَاؤة كَثُر مَتْحُه ومن ذَهَب مالُه قَلّ مَنْحُه تَنَاقُل الأقاويل يُعَرِّف اللُّبّ وهذا مقام سَيُوجِب بما تَنْطِق به الرَّكْب وتَعْرِف به كُنْه حَالِنا العَجَم والعَرَب ونَحْنُ جِيرانُك الأدْنَوْن وأعْوَانُك المُعِينون خُيُولُنا جَمّة وجُيُوشَنا فَخْمة ان اسْتَنْجَدْتَنا فَغَيْرُ رُبُض وان اسْتَطْرَقْتَنا فَغَيْرُ جِهْض وان طلبتنا فغير غُمْض لانَنْثَنى لِذُعْر ولا نَتَنَكّر لدَهْر رِمَاحُنا طِوال وأعْمَارنا قصار

قال كسرى أنْفُسٌ عَزِيزة وأمّةٌ ضعيفة قال الحارث أيها الملك وأنىّ يكون لضعيفٍ عزّة أو لصغير مِرّة قال كسرى لو قَصُرَ عُمْرُك لم تَسْتَوْلِ على لِسَانك نَفْسُك قال الحارث أيها الملك ان الفارس اذا حَمَل نَفْسَه على الكَتِيبة مُغَرِّرا بنفسه على الموت فهى مَنِيّة اسْتَقْبَلَها وجِنَانٌ اسْتَدْبَرَهَا والعَرَب تَعْلَم أني أبْعَث الحرب قُدُما وأحبِسها وهى تَصَرَّفُ بها حتى اذا جاشَتْ نَارُها وسَعَرَتْ لَظَاها وكَشَفَتْ عن ساقِها جَعَلَتُ مَقَادَها رُمْحِي وبَرْقَها سَيْفي ورَعْدَها زَئِري ولم أُقَصِّر عن خَوْض خَضْخَاضِها حتى أنْغَمِسَ في غَمَرَات لُجِجها وأكُونُ فُلْكًا لِفُرْسَانِي إلى بُحْبُوحة كَبْشِها فأسْتَمْطِرُها دَمًا وأتْرُكُ حُمَاتَها جَزَرَ السِّبَاعِ وكلّ نَسْرٍ قَشْعَم ثم قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلك هُوَ قالوا فِعَالُهُ أنْطَق مِن لِسَانِه قال كسرى ما رأيتُ كاليوم وَفْدًا أحْشَد ولا شُهُودا أوْفَد ثم قام عمرو بن الشَرِيدالسُّلَمِي فقال أيها الملك نَعِم بَالُك ودَامَ في السرور حَالُك انَّ عَاقِبة الكلام مُتَدَبَّرة وأشْكال الامور مُعْتَبَرَة وفي كثيرٍ ثِقْلة وفي قليل بُلْغة وفي الملُوك سَوْرَة العِزّ وهذا مَنْطِقٌ له مابَعْده شَرُف فيه مَنْ شَرُف وخَمَل فيه من خَمَل لَمْ نَأتِ لِضَيْمك ولم نَفِدْ لسُخْطك ولم نَتعرّض لِرِفْدِك انَّ في أمْوالِنَا مُنْتَقَدا وعلى عِزّنا مُعْتَمَدَا إن أوْرَيْنَا نارا أثْقَبْنَا وإن أوِدَ دَهْرٌ بِنَا اعْتَدَلْنَا إلا أنَّا مع هذا لجِوارِك حافظون ولَمن رَامَك كافحُون حتى يُحْمَدَ الصَّدَر ويُسْتَطَاب الخَبَرَ قال كسرى ما يقوم قَصْدِي هَادِيا وبأيْسَر إفراطِي مُخْبِرا ولم يُلَمْ مَن غَرَبَت نَفْسُه عَمَّا يَعْلَم ورَضِيَ من القَصْد بما بَلَغ قال كسرى ما كُلُّ ما يَعْرِف المرء يَنْطِق به اجلس. ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال أحْضَرَ اللهُ المَلِك إسعَادا وأرْشَده إرْشادا إن لِكُلّ مَنْطِقٍ فُرْصَة ولِكُلّ حاجة غُصّة وعِيٌّ

المَنْطِق أشَدّ مِن عِيّ السُكُوت وعِثَار القَوْل أنْكَأ مِن عِثار الوَعْث وما فُرْصة المَنطِق عندنا إلا بما نَهْوَى وغُصَّة المَنْطِق بما لا نَهْوَى غَيْرُ مُسْتَسَاغة وتَركي ما أعلَم مِن نَفْسِي ويُعْلَمُ مِن سَمْعِي أنَّني له مُطِيق أحَبُّ إليّ من تكَلُّفِي ما أتَخَوّف ويُتَخَوّف مِنّي وقد أوْفَدَنا إليك مَلِكُنا النُعْمان وهو لك مِن خَيْر الأعوان ونِعْمَ حامِل المَعْروف والاحسان أنْفُسنَا بالطاعة لَكَ باخعة ورِقابُنا بالنَصِيحة خاضِعة وأيْدِينا لَكَ بالوفَاء رَهِينة قال له كسرى نَطَقْتَ بعَقْل وسَمَرْتَ بفضل وعَلَوْت بنُبْل.

ثم قام عَلْقمة بن عُلاثة العامري فقال نَهَجَت لك سُبُل الرشَاد وخَضَعَت لك رِقاب العباد انّ للاقَاوِيل مناَهِج وللآراء مَوَالِج ولِلعُوِيص مخَارِج وخَير القَول أصْدَقه وأفْضَل الطَلَب أنْجَحُه إنّا وات كانت المَحَبَّة أحْضَرَتْنا والوِفادة قرَّبَتْنا فليس من حَضَرك مِنّا بِأفْضَل مِمّن عَزَب عنك بَل لَوْ قِسْتَ كُلّ رجل منهم وعَلِمْتَ منهم ما عَلِمْنا لَوَجَدْتَ له في آبائه دُنْيَا أنْدادا وأكْفاء كُلُّهم إلى الفَضْل مَنْسوب وبالشَرَف والسُودَد مَوْصوف وبالرّأي الفاضل والأدَب النافذ معروف يَحْمِي حِماه ويُرْوِي نَداماه ويَذُود أعْدَاه لا تَخْمُدُ ناره ولا يَحْتَرز منه جارُه أيّها الملك مَن يَبْلُ العَرَب يَعْرِفْ فَضْلَهم فاصْطَنع العرب فانها الجِبال الرَوَاسي عِزّا والبُحور الزَوَاخِر طَمْيا والنُجُوم الزَوَاهِرُ شَرفَا والحَصَى عَدَدا فانْ تَعْرِف لهم فَضْلَهم يُعِزّوك وان تَسْتَصْرِخْهُم لا يَخْذُلُوك قال كسرى وخَشِي أن يأتيَ منه كَلَام يَحْمِله على السُخْط عليه حَسْبُك أبْلَغْتَ وأحْسَنْت.

ثم قام قَيس بن مسعود الشَيْبَاني فقال أطاب اللهُ بك المَرَاشد وجَنَّبَك المَصائب ووَقاك مَكْرُوهَ الشَصَائب ما أحَقَّنا إذ أتَيْناك باسْماعك مالا يُحْنِق صَدْرَك ولا يَزْرَع لَنا حِقْدا في قَلْبك لم نَقْدَم أيُّها المِلِك لمُساماة ولم نَنْتَسب لمُعاداة ولكن لتَعْلَم أنت ورَعِيَّتُك ومَن حَضَرك مِن وُفُود الأمَم أنّا في المَنْطِق غيرُ مُحْجِمين وفي الناس غير مُقَصّرين ان جُورِينا فغير مَسْبُوقِين وان سُومِينا فغير مَغْلُوبِين قال كسرى غَيْرَ أنّكم اذا عاهَدْتُم غيرُ وافِين وهو يُعَرّض به في تركه الوفَاء بضَمانِهِ السَوَاد قال قيس أيها الملك ما كُنْتُ في ذلك إلّا كَوافٍ غُدِرَ به أو كخافر أُخْفِرَ بِذمّتِه قال كسرى ما يكون لِضَعِيفٍ ضَمان ولا لذليلٍ خِفارة قال قيس أيها الملك ما أنا فِيما أُخْفِرَ مِن ذِمّتِي أحَقّ بِالزّامِي العارَ مِنْك فيما قُتِل مِن رَعِيّتك وانْتُهِك مِن حُرْمتك قال كسرى ذلك لِان مَن ائْتَمَن الخانَة واسْتَنْجَد الأثَمَة نالَهُ من الخَطَأ ما نالَنِي وليس كلّ الناس سَواء كيف رأيتَ حاجِبَ بن زُرارةَ لِمَ يُحْكم قُواُه فَيُبْرِم ويَعْهَد فَيُوفِي ويَعِدُ فَيُنْجِز قال وما أحَقّه بذلك وما رأيْتُه إلّا لِي قال كسرى القَوْمُ بُزْلٌ فَأفْضَلُها أشدها ثم قام عامر بن الطُفَيل العامري فقال كَثُر فُنُون المَنْطِق وليس القول أعْمَى من حِنْدس الظَلْماء وانما الفَخْر في الفِعَال والعجْز في النَجْدةِ والسُؤدَد مُطاوَعةُ القُدْرة وما أعْلَمَك بقَدْرنا وأبْصَرَك بفَضْلنا وبالحَرَا إن أدالَتْ الأيّام وثابَتْ الاحْلام أن تُحْدِث لنا أمُورا لَها أعْلام قال كسرى وما الأمْرُ الذي يُذْكر قال مالي علم بأكثر مما خَبّرني به مُخَبِر قال كسرى مَتَى تكاهَنْتَ يابن الطفيل قال لستُ بكاهن ولكنّي بالرُمْح طاعِن قال كسرى فان أتاك آتٍ مِن جهَة عَيْنك العَوْراء ما أنْتَ صانع قال ما هَيْبَتِي في قَفايَ بِدُون هَيْبَتِي في وَجْهِي وما أذْهَب عَيْنِي عَيْث

ولكن مُطاوَعةُ العَبَث. ثم قام عمرو بن مَعْديكَربَ الزبيدي فقال انما المَرْء بأصْغَرَيْهِ قَلْبِه ولِسانِه فَبلاغ اَلْمنطِق الصَوَاب ومِلاك النَجْدة الاْرتِياد وعَفْو الرَّأْي خيرٌ من اسْتِكْرَاه الفِكْرة وتَوْقِيف الخِبْرة خَيْر من اعْتِساف الحَيْرة فاجْتَبِذْ طاعَتَنا بلَفْظِك واكْتَظَم بِادِرَتِنا بحِلْمك وألنْ لَنا كَنَفَك يَسْلَس لَكَ قِيادنا فانّا أناس لم يُوَقّسْ صَفَاتَنا قِراعُ مَنَاقِيرِ مَن أرادَ لنا قَضْما ولكن مَنَعْنا حِمانا مِن كُلّ مَن رامَ لَنا هَضْمنا ثم قام الحارث بن ظالم المُرّي فقال انّ من آفة المَنْطِق الكَذِب ومِن لُؤْم الاَخْلاق المَلَق ومِن خَطَل الرَأي خِفّة المَلِك المُسَلَّط فإن أعْلَمْناك أنّ مُواجَهتَنا لَكَ عن ائْتِلاف وانْقِيادنَا لك عن تَصاف ما أنْتَ لِقَبول ذلك مِنّا بِخَلِيق ولا للاعتماد عليه بحَقِيق ولكن الوَفاء بالعُهُود وإِحكام ولْث العُقُود والأمْرُ بَيْننا وبَيْنَك مُعْتَدِل ما لَمْ يَأت مِن قِبَلك مَيْل أو زَلَل قال كسرى من أنت قال الحارث بن ظالم قال انّ في أسماء آبائِك لَدَلِيلا على قِلّة وَفائِك وأن تكون أوْلَى بالغَدْر وأقْرَبَ من الوِزْر قال الحارث ان في الحَقّ مَغْضَبَة والسَرْوُ التَغَافُل ولَنْ يَسْتَوجب أحَدٌ الحِلم الاّ مَعَ القُدْرة فَلْتُشْبِهْ أفْعالُك مَجْلسَك قال كسرى هذا فَتَى القوم ثم قال كسرى قد فهِمْتُ ما نَطَقَت به خُطَباؤكم وتَفَنّن فيه مُتَكَلّموكم ولولا أنِّي أعْلَمُ أنّ الأدَب لَمْ يُثَقّف أوَدَكُم ولَمْ يُحْكم أمْرَكم وأنّه ليس لكم مَلِك يَجْمَعُكم فَتَنْطِقون عنده مَنْطِق الرَّعِيّة الخاضعة الباخِعة فَنَطَقْتُم بما اسْتَولَى على ألْسِنَتِكم وغَلَب على طِباعكم لَمْ أُجِزْ لكم كثيرا مما تَكَلَّمْتُم به واِنِّي لأَكْرَه أن أُجَبِّه وفُوُدِي أو أُحْنِق صُدُورَهم والذي أحِبّ من إِصلاح مُدَبَّرِكُمْ وتَأَلُّف شَواذِّكم والاِعْذار إلى الله فيما بَيْنِي وبَيْنَكم وقد قَبِلْت ما كان في مَنْطِقِكم مِن صَوَاب وصَفَحْت عَمّا كان فيه من خَلَل فانْصَرِفوا إلى

مَلِكِكم فأحْسِنوا مُوَازَرَتَه والتزموا طَاعَته وارْدَعوا سُفَهَاءكم وأقيمُوا أوَدَهُم وأحْسنوا أدَبَهم فان في ذلك صَلاحَ العامّة

قصيدة السموءل في الفخر

اذا المَرْء لم يَدْنَس من اللُّؤم عِرْضُه فكُلُّ رداء يرتديه جَميلُ
وان هو لم يَحْمل على النفس ضَيْمهَا فليس إلى حُسْن الثناء سبيل
تعيِّرنا أنّا قليل عَدِيدنا فقلت لها ان الكِرامَ قليل
وما قَل مَن كانت بَقَايَاه مِثْلَنا شَبَابٌ تَسَامَى للعُلى وكُهُول
وما ضَرَّنا أنّا قَلِيل وجَارُنا عَزِيز وجَار الاكْثَرين ذَلِيل
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّه مَن نُجِيره مَنِيع يَرُدّ الطَرْف وهو كليل
رَسَا أصْلُه تحت الثرَىَ وسَمَا به إلى النَجْم فرع لا يُنَال طوِيل
هو الاَبْلَق الفَردْ الذي شاع ذِكْرُه يَعزّ على من رَامَه ويَطُول
وإنّا لَقَوْم لا نَرَى القَتْل سُبَّةً اذا ما رَأَتْه عامِرٌ وسَلُول
يُقَرّب حُبُّ الموتِ آجالَنَا لَنَا وتَكْرَهُه آجالُهُم فَتَطُول
وما مات مّنّا سَيّدٌ حَتْفَ أنِفْه ولا طُلّ يوما حيث كان قَتِيل
تَسِيل على حَدّ الظُبَات نُفُوسُنا ولَيْست على غَير الظُّبَات تسِيل
صَفَوْنا ولم نَكْدَرْ وأخْلَص سِرَّنا إناثٌ أطَابَتْ حَمْلَنا وفُحُول
عَلَوْنا إلى خَيْر الظُّهور وحَطَّنا لِوَقْتٍ إلى خَيْر البُطُون نُزُول
فَنَحْن كَماء المُزْن مافي نِصَابنا كَهَامٌ ولا فِينا يُعَدّ بَخِيل
ونُنْكِر إن شِئنا على الناس قَوْلَهم ولا يُنْكِرون القولَ حين نَقُول
اذا سَيّد مِنّا خلا قام سَيّدٌ قَؤول لِمَا قال الكِرَام فَعُول

وما أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ ولا ذَمّنا في النازِلِين نَزِيل

وأيَّامُنا مَشْهُورة في عَدُوّنَا لها غُرَر مَعْلُومَةٌ وحُجُول

وأسْيَافُنا في كل شَرْق ومَغْرِب بها مِن قِراع الدَّارِعِين فُلُول

مُعَوّدَةٌ أن لا تُسَلّ نِصَالُها فتَغْمَد حتى يُسْتَبَاحَ قتِيل

سَلِي إنْ جَهِلْتِ الناسَ عَنّا وعَنْهُمُ فَلَيْس سَواءً عالم وجَهُول

فانّ بَني الدَّيَّان قُطْبٌ لقَوْمهم تَدُور رَحَاهُم حَوْلَهُم وتَجُولُ

خطبة قس بن ساعدة الايادي جاهلي

يأيّها الناس اسْمَعُوا وَعُوا واذا وَعَيتم شيأ فانتفعوا انه مَن عاش مات ومَن ماتَ فَاتَ وكُلُّ مَا هُوَ آت مَطَرٌ ونَبَات وأرْزَاق واقوات وآباءٌ وأمّهات وأحياء وأموات جَمْع وأشْتَات وآياتٌ بَعْدَ آيات انّ في السماء الخَبَرا وانّ في الارض لَعِبرَا لَيْلٌ دَاج وسَمَاءٌ ذاتُ أبْرَاج وأرضٌ ذات فِجَاج وبِحَار ذَاتُ أمْواج مالِي أرَى الناس يَذْهبون ولا يَرْجِعون أرَضُوا بالمُقَام فأقَامُوا أمْ تُرِكُوا هُناك فَنَامُوا أقْسم قُسُّ قَسما حَقّا لا خَائِنًا فيه ولا آثِما انّ لِلله دِيْنًا هو أحَبّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه ونَبِيًّا قَدْ حَانَ حِينُه وأظَلَّكُم أوَانُه وأدْرَكَكُمْ إبَّانُه فَطُوبَى لمن أدْرَكَه فَآمَنَ به وهَدَاه وَوَيْلٌ لِمن خَالَفه وعَصَاه ثم قال

تَبًّا لأرْباب الغَفْلة الأمَم الخالِية والقُرُون الماضِية يا مَعْشَر إيَادٍ أيْنَ الآباءُ والاجْداد وأيْنَ المَرِيضُ والعُوّاد وأين الفَرَاعنة الشّداد أيْنَ مَن بَنَى وشَيَّد وزَخْرَفَ ونَجَّد أين المال والوَلَد أين من بَغَى وطَغَى وجَمَعَ فأوعَى وقال أنَا رَبّكُم الأعْلَى ألم يَكُونوا أكثَر منكم أمْوَالاً واطَول منكم آجَالًا طَحَنَهم الثرَى بكَلْكَله ومَزَّقَهم بطُوله فَتلْكَ عِظَامهم بَالِيَة وبُيُوتُهم خَالِية عَمَرَتْها الذِئابُ العَاوِية كَلّا بَلْ هو اللهُ الواحِد المَعْبُود ليس بوَالدٍ ولا مَوْلُود ثم أنشأ يقول

في الذاهبين الأوّلِي نَ مِنَ القُرُون لَنَا بَصَائِرْ
لَمّا رَأيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوتِ ليس لها مَصَادِرْ
ورَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَها يَمْضِي الأصَاغِر والكَابرْ
لا يَرْجِع الماضي اليَّ ىّ ولا من الباقين غَابِرْ
أيْقَنْتُ أنّي لا محَا لَةَ حيثُ صَارَ القَوْم صَائرْ

وأصيبت أعرابية بابنها وهى حاجّة فلما دفنته
قامت على قبره وقالت

والله يا بُنَيّ لقد غَذَوْتُك رَضِيعا وفَقَدْتُك سرِيعا وكأنّه لم يكن بين الحالَين مُدّة ألْتَذّ بعَيْشِك فيها فأصْبَحْتَ بَعدَ النَضَارة والغَضَارة ورَوْنَق الحَيَاة والتَنَسّم في طِيب رَوَائحها تحتَ أطْبَاق الثرَى جَسدا هامِدا ورُفَاتًا سحِيقا وصَعِيدا جُرُزًا أي بُنَيّ لقد سَحَبَت الدنيا عليك أذْيَالَ الفَنَا وأسْكَنَتْك دَارَ البِلىَ ورَمَتْنِي بَعْدَك نَكْبَةُ الرَدَى أي بُنَيّ لقد أسْفَرَ لي عن وجه الدُنْيَا صَبَاحٌ دَاج ظَلَامه. ثم قالت أيّ رَبّ ومِنْك العَدْلُ ومِن خَلْقِك الجَوْر وهَبْتَه لِي قُرّة عَين فَلَمْ تُمَتّعْنِي به كثِيرا بَلْ سَلَبْتَنيه وَشِيكا ثُمّ أمَرْتَنِي بالصَبْر ووَعَدْتَنِي عليه الأجْر فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ ورَضِيتُ قَضَاءَكَ فَرَحِمَ اللهُ مَنْ تَرَاحَمَ على مَن اسْتَوْدَعْتُه الرَدْم ووَسَّدْتُه الثَرَى اللهم ارحمْ غُرْبَته وآنِس وحْشَتَه واسْتُرْ عَوْرَتَه يوم تُكْشَف الهَنَات والسَوْآت فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها قالت أيْ بُنَيّ إنّي قد تَزَوَّدْتُ لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَازَادُكَ لبعُدْ طَرِيقِك ويَوْم مَعَادِك اللهم إنيّ أسْأَلُكَ له الرِضى بِرِضَائِي عنه. ثم قالت اسْتَوْدَعْتُكَ مَنِ اسْتَوْدَعَكَ في أحْشَائِي جَنِينا وأثكَلَ الوَالِدات ما أمضّ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنّ وأقلَقَ مَضَاجِعَهُنّ وأطْوَل لَيْلَهُن وأقْصَر نهارَهُنّ وأقَلّ أُنْسَهُنّ وأشَدَّ وَحْشَتَهُنّ وأبْعَدَهُنّ مِن الشُّرُور وأقْرَبَهُنّ من الأحْزَان.

وقالت الجُمَانَةَ بنت قَيس بن زُهَير تنصح جَدَّها الرَبِيع بنَ زِيَاد ان كان قَيْسٌ أبِي فانّك يَا رَبيع جَدّي وما يَجب له من حق الأبُوة عليّ الّا كالّذي

يجب عليك من حق البُنُوّة لي والرأيُ الصَحِيح تَبْعَتُه العِنَاية وتُجَلِّي عن مَحْضه النصِيحةُ انك قد ظَلَمْتَ قَيْسًا بأخْذ دِرْعه وأجَدُّ مُكافَأتِهِ إيَّاك سوءُ عَزْمه والمُعَارِض مُنْتَصِر والبادِي أظْلَم وليس قيس ممَّن يُخَوَّف بالوَعِيد ولا يَرْدَعه التَهْديد فلا تَرْكَنَنَّ إلى مُنَابَذتَه فالحَزْم في مُتَارَكَتِه والحَرْب مَتْلَفَة للعِباد ذَهَّابَة بالطارِف والتِّلاد والسِلْم أرْخَى لِلْبَال وأبْقَى لأنْفُس الرِجَال وبِحَقَّ أقُولُ لقد صَدَعْتُ بِحُكْم وما يَدْفَع قَوْلي الّا غَيْرَ ذِي فَهْم ثم أنْشَأتْ تقول

أبِي لا يَرَى أن يَتْرُكَ الدَهْرَ دِرْعَه وجَدّي يَرَى أن يأخُذ الدِرْع مِن أبِي
فَرَأىُ أبِي رَأىُ البَخِيل بِمَاله وشِيمةُ جَدّي شِيمة الخَائِف الأبِي

وقالت بنت حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم

يامحمد هَلَك الوَالِد وغابَ الوافد فان رأيتَ أن تُخَلِّيَ عَنِّي فلا تُشْمِتْ بِي أحْيَاءَ العَرَب فإنِّي بِنْتُ قَوْمي كانَ أبِي يَفُكّ العَانِي ويَحْمِي الذِّمار ويَقْرِي الضَيْفَ ويُشْبع الجَائع ويُفَرِّجُ عن المكْروب ويُطْعِم الطَعَامَ ويُفْشِي السَلام ولم يَرُدّ طَالِبَ حاجةٍ قَطُّ أنَا بِنْتُ حَاتِمِ طَيّ فقال لها النبيُّ صلى الله عليه وسلم يا جاريةُ هذه صِفَةُ المُؤْمِن لو كان أبُوكِ إسْلَامِيّا لترحَّمْنا عليه خَلُّوا عَنْها فان أباهَا كان يُحِبُّ مَكَارِمَ الآخْلاق

وقال زهير بن ابي سلمى من معلقته المشهورة

وأعْلَمُ عِلْمَ اليَومِ والآمْسِ قَبْلَه ... ولكنَّني عن عِلْم مافي غَدٍ عَمى

رَآيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْه ومَنْ تُخْطِئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

ومَن لا يُصَانِعْ في أمورٍ كثيرة ... يُضَرَّس بِأنْياب ويُوطأ بمَنْسِم

ومَن يَجْعَل المَعْرُوفَ مِن دُون عِرْضِه ... يَفِرْهُ ومن لا يَتَّق الشتْمَ يُشْتَم

ومَن يَكُ ذا فَضْل فَيَبْخلْ بفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِه يُسْتَغْنَ عَنه ويُذْمَم

ومَن يُوْفِ لا يُذْمَمْ ومَن يَهْد قَلْبَه ... إلى مُطْمَئِنّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَم

ومَن هَابَ أسْبَابَ المَنَايا يَنَلْنَهُ ... وإنْ يَرْقَ أسْبَابَ السَماءِ بسُلَّم

ومَن يجعل المعروف في غير أهله ... يَكُنْ حَمْدُه ذَمّا عليه ويَنْدَم

ومَن يَعْصِ أطْرَاف الزّجَاج فَانَّه ... يُطِيعُ العَوَالِي رُكّبَتْ كُلّ لَهْذَمِ

ومَن لم يَذُدْ عَن حَوْضه بسلَاحه ... يَهَدَّم ومن لا يَظْلم النَاسَ يُظْلم

ومَن يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوّا صَدِيقَه ... ومن لا يُكَرِّم نَفْسَه لا يُكَرّمِ

ومَهْمَا تكُنْ عند امْرِئٍ من خَلِيقةٍ ... وان خَالَها تَخْفَى على النَاسِ تُعْلَم

وكائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِب ... زِيادَتُه أو نَقْصُه في التَكَلُّم

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤادُه ... فَلَمْ يَبْقَ الّا صُورةُ الَّلحْمِ والدَمِ

غيلان بن سلمة عند كسرى (جاهلي)

خرج أبو سُفْيان في جماعة من قريش يريدون العِراق بتجارة فلما ساروا ثلاثا جَمَعَهم أبو سفيان فقال لهم انّا مِن مَسيرنا هذا لَعَلَى خَطَر مَا قُدُومُنا

على مَلِك جَبّار لَمْ يَأذَنَ لَنَا في القدوم عليه ولَيْسَتْ بلادُه لَنَا بِمَتْجَر ولكن أيّكُمْ يَذْهَبُ بالعيرِ فان أصِيْبَ فَنَحْن بَرَاءٌ مِنْ دَمِهِ وان غَنِم فله نِصْفُ الرِّبْح فقال غَيْلَان بن سلمة دَعُونِي اذًا فَأنَا لَهَا فلمّا قَدِم بلادَ كسرى تَخَلّق ولبِس ثَوْبَيْنِ أصْفَرَيْن وشَهَرَ أمْرَه وجَلَسَ بباب كسرى حتَّى أذِن له فَدخَل عليه وبَيْنَهُمَا شُبّاك من ذَهَب فخرج إليه التَرْجُمان وقال له يقول لك المَلِك ما أدْخَلَكَ بِلَادِي بغَير إذْنِي فقال قُلْ له لَسْت من أهْل عَدَاوَةٍ لَكَ ولا أتَيْتُك جَاسُوسًا لِضِدٍّ مِن أضْدَادِك وانّما جِئْتُ بِتجارَةٍ تَسْتَمْتع بها فان أرَدْتَّها فَهْيَ لَكَ وإن لم تُرِدْها وأذنْتَ في بَيْعِها لِرَعِيَّتِك بِعْتُها وان لم تَأذَنْ في ذلك رَدَدْتُها قال فانَّه لِيَتَكَلَّم اذْ سَمِع صَوْت كسْرَى فَسَجَدَ فَقَالَ له الترجمان يَقُول لك الملك لِمَ سَجَدْتَ فقال سَمِعْتُ صَوْتًا عالِيًا حَيْثُ لا يَنْبَغِي لِاَحَد أنْ يَعْلُوَ صَوْتُه إجْلالا للملك فَعِلْمتُ أنّه لم يُقْدِم على رَفْع وامَرَ له بِمِرْفَقَة تُوضعَ تَحْتَه فَلمّا أُتِي بها رَأى عليها صورةَ المَلِك فَوَضَعَها على رَأسه فاسْتَجْهَلَه كسرى واسْتَحْمَقه وقال للتَرْجُمان قُلْ له انّما بَعَثْنا بهَذه لتَجْلِسَ عَلَيْها قال قد عَلِمْتُ ولكنّي لَمّا أُتِيتُ بها رَأيْتُ عليها صُورتَه على مِثْلِي أنْ يَجْلِس عليها ولكن كان حَقُّها التعظيم فوضَعْتُها على رأسي لأنّه أشْرَف أعْضَائِي وأكْرَمُها عَلَيّ فاسْتَحْسَن فِعْلَه جِدّا ثم قال له ألَكَ وَلَدٌ قال نعم قال فأيُّهُمْ أحَبُّ إلَيكْ قال الصَغِير حتى يَكْبَرَ والمَرِيض حتى يَبْرَأ والغائب حتى يَؤوبَ فقال كسرى زِهْ ما أدْخَلَكَ عليّ ودَلّك على هَذَا القَوْل والفِعْلِ إلّا حَظّك فهذا فِعْل الحُكماء وكلامُهُم وأنْتَ مِنْ قَوْمٍ جُفَاةٍ لا حِكْمَة فيهم فما غِذَاؤك قال خُبْزُ البُرّ قال هذا العَقْل من البُرّ لا مِن

اللَّبَن والتَمْر ثم اشْتَرَى منه التِجَارة بأضْعاف ثَمَنها وكَسَاه وبَعَث مَعَه مِن الفُرْس مَنْ بَنَى له أطُمًا بالطائف فكان أوّل أطُم بُنِي بِهَا.

صورة كتاب أرسله الاسكندر إلى شيخه الحكيم أرِسْطُو

يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم (جاهلي)

عليك أيُّها الحكيم مِنّا السلام أما بعد فان الافلاك الدائِرة والعِلَل السَمَاوِيّة وان كانت أسْعَدَتْنا بالامُور التي أصبح الناس لنا بها دائنين فإنّا جِدُّ واجِدِينَ لَمِسّ الاضرار إلى حِكْمَتِك غَيْرُ جاحِدِين لفَضْلك والإقْرار بمَنْزلتك والاستنامة إلى مَشُورتِك والاقْتداء برَأيك والاعتماد لأمْرك وفَهْمك لِما بَلَوْنا مِن إجْداء ذلك عَلَيْنا وذُقْنا مِن جَنَى مَنْفَعَته حتى صار ذلك بنُجُوعِه فِينا وتَرَسّخِهِ أذْهاننا كالغِذاء لَنا فَما نَنْفَكّ نُعَوّل عليه ونَسْتَمِدّ منه اسْتِمدَادا الجدَاوِل من البُحُور وتَعْويلَ الفُروع على الاصول وقُوّة الأشكال بالأشكال وقد كان مما سِيقَ إلَيْنا من النصر والفَلْج وأتِيح لنا من الظَفَر والقَهْرِ وبَلَغْنا في العَدُوّ من النِكاية والبطش ما يَعْجِز القَوْل عن وصْفه ويَقْصُر شُكْر المُنْعِم عَن مَوْقِع الإنعام به وكان من ذلك انْ جاوَزْنا أرضَ سُورِيَةَ والجَزيرة إلى بابِلَ وأرْضِ فارِس فلمّا حَلَلْنا بعَقْوَةِ أهْلِها وساحة بلادهم لم يكن إلّا رَيْثَمَا تَلَقّانا نَفَر منهم بِرأس مَلكهم هَدِية إلَينا

وطَلَبًا للخُطْوَةِ عِنْدَنا فَأَمَرْنا بِصَلْب مَن جاء بِهِ وشُهْرَته لسوء بَلَائِه وقِلّة ارْعِوائه وَوَفائه ثم أَمَرْنا بجَمَعْ مَنْ كان هناك من أوْلاد مُلُوكِهم وأحْرارِهم وذَوِي الشَرَف منهم فَرَأيْنَا رِجالا عظيمةً أجْسَامُهم واحْلامهم حاضِرةً ألْبابُهم وأذْهانُهم رائعةً مَناظرُهم ومَناطِقُهم دليلا على أن ما يظهر من رُوَائِهم ومَنْطِقِهم وراءهُ من قُوّة أيْدِيهِم وشِدة نَجْدتهم وبأسِهم مالا يكون معه لَنا يبيل إلى غَلَبتِهم وإِعطائهم بأيْدِيهم لولا أن القَضَاء أدالَنا مِنْهُم وأظْفَرَنا بهم وأظْهَرنَا عليهم ولَمْ نَرَ بَعِيدا من الرّأي في أمْرِهم أنْ نَسْتأصِل شَأفَتَهُم ونَجْتَثّ أصْلَهم ونُلْحِقهم بمن مَضَى مِن أسلافهم لتَسْكُن القُلُوب بذلك إلى الأمْن مِن جَرائِرِهم وبَوائِقهم فَرَأْينا أن لا نَعْجَل باسْعافِ بادِئ الرَأي في قَتْلِهِم دُونَ الاستظهار عليه بمَشُورتِك فارْفَع إلينا رَأيَك فيما اسْتَشَرْناك فيه بَعْد صِحَّته عِنْدَك وتَقليبِك إيّاه بجِليّ نَظَرك والسلام لاهل السلام فَليكُن علينا وعليك.

اجابة الحكيم ارسطو إلى الملك بعد ديباجة طويلة

انّ لِكُلّ تُرْبة لا محالة قسما من الفَضائل وانّ لِفارِس قِسْمَها من النَجْدة والقوة وانّك إنْ تَقْتُل أشرافَهُم تُخَلِّف الوُضَعاء على أعقابهم وتُورِثْ سِفْلَتَهمْ مَنازِلَ علْيَتِهِمْ وتُغَلِّب أدْنياءهم على مراتب ذوي أخْطارهم ولم يُبْتَل المُلُوك قَطّ ببَلَاء هو أعْظم عليهم وأشَدّ تَوْهِينا لِسُلْطانهم مِن غَلَبة السِفْلة وذُلّ الوُجُوُه فاحْذر الحَذَر كُلّه أنْ تمكّن تِلكَ الطَبَقَةَ مِن الغَلَبة

والحَركة فانّهم إنْ نَجَم مِنْهم بَعْد اليَوْمِ على جُنْدك وأهْل بلادك ناجِمٌ دَهَمَهُم منه ما لا رَوِيَّةَ فيه ولا بَقِيّة مَعَه فانْصَرِف عن هذا الرأي إلى غيره ةاعْمد إلى مَن قِبَلكمِن أولئِك العُظماء والاحْرار فَوَزّعْ بَيْنَهُمْ مَمْلَكَتَهُمْ وألْزِمْ اسمَ المَلِك كُلّ مَن وَلَّيْتَه منهم واعقِد التاجَ على رأسه وان صَغُر مُلْكُه فان المُتَسَمِّي بالمَلِكِ لازِمٌ لاسْمِهِ والمَعْقُود التاج على رأسه لا يَخْضَع لِغَيره فليس يَنْشَب ذلك أنْ يُقِع كُلُّ مَلِكٍ منهم بَيْنه وبَيْنَ صاحِبه تَدَابُرا وتَقاطُعا وتَغالُبا على المُلْك وتَفاخُرا بالمال والجُنْد حتى يَنْسَوْا بذلك أضْغانَهم عَلَيك وأوْتَارَهُم فيك ويَعُودَ حَرْبُهم لك حَرْبا بَيْنَهم وحَنَقُهم عَلَيك حَنقًا منهم على أنْفُسهم ثم لا يَزْدَادُون في ذلك بَصِيرةً إلّا أحْدَثوا لك بها استِقامة إنْ دَنَوْت منهم دَنَوْا لك وإن نَأيْت عنهم تَعَزَّزُوا بِكَ حتى يَثِبَ مَن مَلَك منهم على جاره باسْمك ويَسْتَرْهِبَه بِجُنْدك وفي ذلك شاغِلٌ لَهُمْ عَنْك وأمانٌ لِاِحْداثِهِم بَعْدَك وإنْ كان لا أَمانَ للدّهْر ولا ثِقَةَ بالايام وقَد أدّيْتُ إلى المَلِك ما رَأيتُه لِي حَظًّا وعليّ حَقًّا مِن إجابَتِي إيّاه إلى ما سألَنِي عنه ومَحَضْتُه النَصِيحة فيه والمَلِكُ أعْلى عَيْنًا وأنْفَذُ رَوِيَّةً وأفْضَل رَأيًا وأبْعَد هِمّة فيما استعان بِي عليه وكَلَّفَني تَبْيِينَه والمَشُورَة عَلَيه فِيه لا زالَ المَلِك مُتَعَرِّفًا مِن عَوائد النِعَم وعواقب الصُنْع وتوطِيد المُلْك وتنفيس الأجَل ودَرْك الأمَل ما تأتِي فيه قُدْرته على غَاية أقْصى ما تَناله قُدْرة البَشَر والسلام الذي لا انقِضاء له ولا انتِهاء ولا غَاية ولا فَناء على الملك.

انَ غدًا لنَاظره قَريب

أي لمنتظِرِه يقال نظرته أي انْتَظَرْته وأول من قال ذلك قُرَاد ابن أجْدَع وذلك أن النعمان بن المُنْذِر خرج يتصيَّد على فَرَسه اليَحْموم فأجراه على إثر عَيْرٍ فذهب به الفَرَس في الارض ولم يقِدر عليه وانْفَرَد عن أصحابه وأخَذَتْه السماءُ فَطَلَب مَلْجَأ يَلْجأ إليه فَدَفَع إلى بِناءٍ فاذا فيه رَجُلٌ مِن طَيّءٍ يقال له حَنْظَلة ومعه امرأة له فقال لهما هَلْ مِن مَأوى فقال حنظلة نَعَمْ فَخَرج إليه فأفأنْزَلَه ولم يَكُن للطّائِيّ غَيْرُ شاةٍ وهو لا يَعْرِف النُعْمان فقال لامرأته أرَى رَجُلًا ذا هيئة وما أخْلَقَه أن أن يكون شرِيفا خَطيرا فَمَا الحِيلة قالت عنِدي شئ من طَحِين كنتُ ادَّخَرْتُه فاذْبَح الشاةَ لأتَّخِذ من الطَّحِين مَلَّة قال فأخْرجَت المَرْأة الدَّقِيق فَخَبَزَتْه مَلَّةً وقام الطائِّي إلى شاته فاحْتَلَبَها ثم ذَبَحَها فاتَّخَذَ من لحمها مَرَقة مَضِيْرة وأطْعَمَه من لَحْمها وسقاه مِن لَبَنِها واحْتَالَ له شَرَابًا فسقاه وجَعَل يُحَدَّثه بَقيَّةَ لَيْلَتِه فَلَمّا أصْبَحَ النعمان لبِس ثِيَابَه ورَكِبَ فَرَسه ثم قال يا اخا طَيّء اطلُبْ ثَوَابك أنَا المَلِك النُعمان قال أفْعَلُ ان شاء اللهُ ثم لحِق الخيلَ فمضى نحو الحِيرة ومكَث الطائي بعد ذلك زمانا حتى أصابيه نَكْبةٌ وجَهْدٌ وساءت حَالُه فقالت له امرأتُه لو أتَيْتَ المَلك لأحسن إليك فأقْبَلَ حتى انتهى إلى الحِيرة فوافق يومَ بُؤس النعمان فاذا هو واقف في خَيْله في السلاح فلما نظر إليه النعمان عَرَفه وساءه مَكَانُه فوقَفَ الطائي المَنْزُول به بين يَدَي النعمان فقال له أنت الطائي المنزول به قال نعم قال أفَلَا جئتَ في غير هذا اليوم قال أبَيْتَ اللَّعْنَ وما كان علْمي بهذا اليوم قال والله لو سنح لي في هذا اليوم قَابُس

إِني لَمْ أجِد بُدًّا مِن قَتْله فاطْلُبْ حاجَتَك من الدنيا وسل ما بَدَالك فانك مَقْتُول قال أَبَيْتَ اللَّعْنَ وما أصْنَع بالدُّنيا بعد نَفْسِي قال النعمان انّه لا سبِيلَ إليها قال فان كان لابُدَّ فَأجِّلْني حتى أُلِمَّ بأهْلِي فَأوصِي إليهم وأهَيِّء حَالَهُمْ ثم أنْصَرِف إليك قال النعمان فأقمْ لي كَفِيلا بمُوَافَاتِك فالتَفَتَ الطائي إلى شَرِيك بن عمرو بن قيس من بني شَيْبَان وكان يُكْنَى أبا الحَوْفَزَان وكان صاحبَ الرِّدافَة وهو واقف بجَنْب النعمان فقال له

يا شريكا يا بنَ عمرو هل مِنَ الموت محَالَهْ
يا أخا كل مُضاف يا أخَا مَن لا أخَالَهْ
يا أخا النعمان فُكَّ الْ يَوْمَ ضَيفا قد أتَى لَهْ
طَالَمَا عَالجَ كَرْب الْ مَوْت لا يُنْعِم بَالَهْ

فَأبى شَرِيك أن يَتَكَفَّل به فَوَثَب إليه رجل من كَلْب يقال له قُرَادُ ابن أجْدَع فقال للنعمان أبَيْتَ اللَّعْن هو عَلَيّ قال النعمان أفَعَلْت قال نَعَمْ فَضَمَّنَهُ إيَّاه ثم أمَر للطائي بخَمْسِمائة ناقةٍ فَمَضَى الطائي إلى أهله وجَعَل الأجَل حَوْلا مِن يَوْمِه ذلك إلى مِثْل ذلك اليوم مِن قابِل فلَمّا حَالَ عليه الحول وبقى من الأجَل يَوْمٌ قال النعمان لقُرَاد ما أراك الّا هَالِكا غَدًا فقال قراد

فإن يك صدْرُ هذا اليومِ ولّى فانّ غَدَا لِنَاظِرِه قَرِيب

فلما أصبح النعمان ركبَ في خَيْله ورَجْله مُتَسَلِّحا كما كان يفعل حتى أتى الغَرِيَّيْنِ فَوَقَف بَيْنَهُما وأخْرَج مَعَه قُرَادًا وأمَرَ بقَتْله فقال له وُزَرَاؤه ليس

لك أن تَقْتله حتى يستوفى يَوْمه فتَرَكَه وكان النعمان يشتهي أنْ يُقْتَل قُرَادٌ لِيُفْلَتَ الطفَبَيْنَما هم كَذَلِك إِذْ رُفِعَ ائِي من القَتْل فلما كادت الشمس تَجِب وقُرَادٌ قائم مُجَرَّد في إِزَار على النِطَع والسَّيَّاف إلى جَنْبه أقْبَلَت امرأتُه وهى تقول

أيَا عَيْنُ بَكّى لِي قُرَادَ بْنَ أجْدَعَا رَهِينا لِقَتْل لا رَهِينا مُوَدّعا
أتَتْه المَنَايَا بَغْتَةً دُونَ قَوْمه فأمْسَى أسِيرًا حَاضِر البَيْت أضْرعَا

فَبَيْنَما هم كَذَلِك إِذْ رُفِعَ لهم شَخْصٌ مِن بَعِيد وقد أمَرَ النُعْمان بِقَتْل قُرَاد فقِيل له ليس لك أن تَقْتُلَه حتى يأتِيكَ الشَخْصُ فَتَعْلم مَنْ هُو فَكفّ حتى انْتَهَى إِلَيْهِم الرَّجُل فاذا هو الطَّائِيُّ فَلَمَّا نَظَر إليه النُعْمان شَقّ عليه مَجِيئهُ فقال له ما حَمَلَك على الرُّجُوع بَعْد إفْلَاتِك من القَتْل قال الوَفَاء قال وما دَعَاك إلى الوفاء قال ديني قال النعمان وما دِينُك قال النصرانيةُ قال النعمان فاعْرِضْها عَلَيّ فَعَرَضَها عليه فَتَنَصَّر النعمان هو وأهْلُ الحِيرة أجمعون وكان قبل ذلك على دِين الجاهلية فَتَرَك القَتْل مُنْذُ ذلك اليوم وأبْطَل تلك السُنّة وأمَرَ بَهَدْم الْغَرِيَّيْن وعَفَا عن قُرَاد والطائيّ وقال والله ضَمِنَه والله لا أكونَ ألْأَمَ الثلاثة فأنشأ الطائيّ يقول

ما كُنْتُ أخْلِف ظَنّه بعد الذي أسْدَى إلَيَّ منَ الفَعَال الخَالِي
ولقد دَعَتْنِي للخِلاف ضَلَالَتِي فأبَيْتُ غيرَ تَمَجُّدِي وفَعَالِي
إِنِّي امْرُؤ مِنِّي الوَفَاء سجِيَّة وجَزَاء كُلّ مُكَارِم بَذَّال

وقال أيضا يَمْدَح قُرَادا

الَا انّما يَسْمو إلى المَجْد والعُلى مَخَارِيقُ أمْثالُ القُراد بنِ أجْدعَا
مَخَارِيقُ أمْثَال القُرَاد وأهْلِه فانّهُم الاَخْيار مِنْ رَهْطِ تُبَّعَا

انتهى هذا المشهور والصحيح ان صاحب الغَرِيَّيْنِ ويومِ البؤس هو المنذر الاكبر

ان أخاك من آساك

يقال آسيت فلانا بما لي أو غيره اذا جعَلْتَه أسْوَةً لَكَ وَوَاسَيْتُ لُغَة فيه ومَعْنَى المَثَل أنّ أخاك حقيقةً مَن قَدَّمَك وآثَرك على نَفْسه يُضرَب في الحثّ على مراعاة الاخوان وأوّل مَن قال ذلك خُزَيم بن نَوْفل الْهَمْدانِي وذلك أنّ النّعمان بن ثَوَاب العَبْدِي ثم الشَّنّي كان له بَنُن ثلاثة سعد وسعيد وساعِدة وكان أبُوهم ذا شَرَف وحِكْمة وكان يُوصِي بَنِيه ويَحْملهُم عَلَى ادَبِه أمّا ابْنُه سعد فكان شجاعا بَطَلا من شياطين العَرَب لا يُقَام لسبيله ولم تَفُتْه طَلِبَتُه قَطّ ولم يَفِرّ عن قِرْن أمّا سعيد فكان يُشْبه أباَه في شَرَفه وسُودَدِه وأمّا ساعدة فكان صاحبَ شرَابٍ ونَدَمى وإخْوَانٍ فَلَمّا رأى الشيخُ حالَ بَنِيه دعا سعدا وكان صاحب حِرْب فقال يابُنَيّ انّ الصَّارِمِ يَنْبُو والجَوَاد يَكْبُو والأَثَر يَعْفُو فاذا شَهِدت حَرْبا فرأيْتَ نَارَها تَسْتَعِر وبَطَلَها يَخْطِر وبَحْرَها يَزْخَر وضَعِيفَها يُنصَر وجَبَانَهَا يَجْسَرُ فأقْلِل المُكْث والانتِظار فان الفِرَار غَيْرُ

عَار اذا لَم تكُن طَالِبَ ثار فانما يُنْصَرون هُمْ وإيّاك أن تكونَ صَيد رِمَاحِها ونَطِيح نِطَاحِها وقال لابنه سعيد وكان جَوَادا يابُنَيّ لا يَبْخَل الجَوَاد فابذل الطَارِفَ والتِلَاد وأقْلل التَّلَاح تُذْكَر بالسماح وابْلُ إخْوَانَك فان وافِيهِم قَلِيل واصْنَع المَعْروف عند مُحْتَمِله وقال لأبنِه ساعدة وكان صاحب شَرَب يابُنَيّ ان كثْرةَ الشَرَاب تُفْسد القَلْب وتُقَلِّل الكَسْب فأبْصِر نَدِيمَك واحْم حَرِيمَك وأعِن غَرِيمَك واعلم أن الظَمَأ القَامح خَيْرُ من الرّىّ الفَاضِح وعليك بالقَصْد فان فيه بَلَاغا ثم انّ أباهُم النُعْمان بنَ ثَوَاب تُوُفِّى فقال ابنُه سَعِيد وكان جَوَادا سَيِّدا لآخُذَنّ بِوَصيّة أبِي ولأبْلُوَنّ إخْوَانِي وثِقَاتِي في نفسي فَعَمَد إلى كَبْش فذبَحَه ثم وضعه في ناحية خِبائِه وغَشّاه ثوبا ثم دعا بعضَ ثِقاتِهِ فقال يا فلان ان أخاك مَن وَفَى لك بِعَهْده وحاطَك بِرِفْده ونَصَرَك بُودّه قال صَدَقْت فهل حَدَث أمْر قال نعم انّي قَتَلْت فُلَانا وهو الذي تَرَاه في نَاحِية الخِباءِ ولابُدّ من التَعاوُن عليه حتى يُوارَى فَمَا عندك قال يَالَهَا سَوْأة وَقَعْتَ فيها قال فانّي أرِيد أن تُعِينَني عليه حتّى أغَيّبَه قال لَسْتُ لك في هذا بصَاحِب فتَرَكَه وخرج فبَعَث إلى آخَر مِن ثِقَاتِهِ فأخْبَرَه بذلك وسَألَ مَعُونَتَه فَرَدّ عليه مثلَ ذلك حتى بعث إلى عَدَد منهم كُلُّهم يَردُ عليه مثلَ جواب الاوّل ثم بعث إلى رجل من اخوانه يقال له خُزَيم بن نَوْفل وقال له يا خُزَيم ما لي عندك قال ما يَسُرّك وما ذَاكَ قال انّي قَتَلْت فلانا وهو الذي تراه مُسَجًّى قال أيْسَر خَطْب فَترِيد مَاذَا قال أرِيد أن تُعِينَني حتّى أغَيّبَه قال هَانَ ما فَزِعْت فيه إلى أخيك وغُلَام سعيد قائم مَعَهُما فقال له خُزَيم هل اطّلَع على هذا الأمْر أحَدٌ غير غُلَامك هذا قال لا قال انظُرْ ما تَقُول قال ما قُلْتُ الّا حَقّا فأهْوَى خُزَيم إلى غُلَامه فضَرَبه

بالسيف وقَتَله وقال ليس عَبْد أخًا لَكَ فأرْسلهَا مثلا وارتا ع سعيد وفَزِعَ لِقَتْل غُلامه فقال وَيْحك ما صَنَعْتَ وجَعَل يَلُومه فقال خُزَيم إن أخَاك من آساك فأرْسَلَها مَثَلًا قال سعيد فإنِّي أرَدْت تَجْرِبَتَك ثم كَشَف عن الكَبْش وخَبَّرَه بما لَقِى مِن إخْوانه وثِقَاتِهِ وما ردّوا عليه فقال خزيم سَبق السَّيْفُ العَذَل فذَهَبَتْ مَثَلًا.

ألَا مَنْ يَشْتَرِي سَهَرًا بِنَوْم

قالوا ان أوّل من قال ذلك ذُو رُعَيْن الحِمْيَرِي وذلك أن حِمْيَر تَفَرَّقَت على مَلِكِها حَسّان و خَالَفَتْ أمْرَه لسوء سِيرته فيهم وكالوا إلى أخيه عَمْرو وحَمَلُوه على قَتْل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغّبوه في المُلْك ووعده حُسْنَ الطاعة والمُوَازرة فَنَهَاه ذُو رُعَيْن مِن بين حِمْير عن قَتْل أخِيه وعَلم أنّه ان قَتَل أخَاه نَدِم ونَفَر عَنْه النَّوْم وانتقضت عليه أمُورُه وأنه سَيُعَاقِب الذي أشَار عليه بذلك ويَعْرِفَ غِشّهم له فلمّا رَأى ذُو عُيَن أنّه لا يَقْبَل ذلك منه وخَشِيَ العواقِبَ قال هذين البيتين الآتِيَيْن وكتبهما في صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو وقال هذه وديعة لي عندك إلى أن أطلبها منك فأخذها عمرو فدفعها إلى خازنه وأمَرَه بَرفْعها إلى الخِزانة والاحتفاظ بها إلى أن يَسأل عنها فَلَمّا قَتَلَ أخَاه وجلس مَكَانَه في المُلْك مُنع منه النَوْم وسُلّط عليه السَهَر فَلَمَّا اشتدّ ذلك عليه لَمْ يَدَعْ باليَمن طَبِيبا ولا كَاهِنا ولا مُنَجّما ولا عَرّافا ولا عَائِفا الّا جَمَعَهُم ثم أخْبَرَهم بِقصّتِه وشَكا إليهم ما بِهِ فقالوا له ما قَتَل رَجُلٌ أخَاه أوْ ذَا رَحِم منه على نحو ما قَتَلْتَ أخَاكَ الّا

أصَابَهُ السَهَر ومُنِع منه النوم فلما قالوا له ذلك أقْبَلَ على مَن أفْنَاهُم فَلَمّا وَصَل إلى ذِي رُعَيْن قال له أيُّها المَلِك ان لِي عنْدَك بَرَاءة مما تُرِيد انْ تَصْنَع بِي قال وما بَرَاءَتُك وآمَانُك قال مُرْا خازِنَك أن يُخْرِج الصَحِيفة التي اسْتَوْدَعْتُكَهَا يوم كذا وكذا فأمَرَ خازِنَه فأخْرَجَها فنظر إلى خاتمه ثم فَضّها فاذا فيها

الَا مَن يَشْتَرِي سَهَرًا بِنَوْم	سَعيدٌ مَن يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ
فأمّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخَانَتْ	فَمعْذرَة الِا لَه لِذِي رُعَيْنِ

ثم قال أيُّها قد نَهَيْتُك عن قَتْل أخِيك وعَلِمْت أنّك إن فَعَلْتَ ذلك أصَابَك الذي قد أصّابك فكَتَبْت هذين البَيْتَين بَرَاءَةً لِي عندك مما عَلِمْت أنّك تَصْنَع بمَن أشَار عَليك بقَتْل أخِيك فَقَبِل ذلك مِنه وعَفَا عَنْه وأحْسن جَائِزَته

ان العَصَا مِنَ العُصَيَّة

قال أبو عبيد هكذا قال الاصْمَعِيّ وأنَا أحْسِبُه العُصَيَّة من العَصَا الا أن يُرَاد أن الشئ الجليل يكون في بَدْء أمْره صَغِيرا كما قالوا إن الْقَرْم مِنَ الأفِيلِ فَيَجُوز حينئذ على هذا المعنى أن يُقَال العَصَا من العُصَيَّة قال المُفَضّل أوّل مَن قال ذلك الاَفْعَى الجُرْهُمِيّ وذلك أن نِزَارا لَمّا حَضَرَتْه الوَفَاة جَمَعَ بَنِيه مُضَرَ وإيَادًا ورَبِيعةَ وأنْمَارًا فقال يابَنِيّ هذه القُبّة الحَمْرَاء وكانت من أدَم لِمُضَرَ وهذا الفَرَس الادْهَم والخِبَاء الاَسْوَد لِرَبيعَة وهذه

الخَادِم وكانَتْ شَمْطاء لإيادٍ وهذه البَدْرَة والمَجْلِس لأنْمار يَجْلِس فيه فإنْ أشْكَلَ عَلَيْكُم كَيْفَ تَقْتَسِمون فَأتُوا الاَفْعَى الجُرْهُمِيّ ومَنْزِلُه بِنَجْرانَ فَتَشاجَرُوا فِي مِيراثِه فَتَوَجَّهُوا إِلَى الْاَفْعَى الجُرْهُمِيّ فَبَيْنَما هُمْ فِي مَسِيرهم إليه اذ رأى مُضَر أثَر كَلَأٍ قد رُعِيَ فقال إنّ البَعِير الذّي رَعَى هَذَا لأَعْوَرُ قال ربيعة إنّه لَأَبْتَرُ قال أنْمارُ انَّه لَشَرُودٌ فساروُا قَلِيلا فاذا هُمْ بِرَجُل يُنْشِد جَمَلَه فَسَألَهُم عن البَعِير فقال مُضَر أهُو أعْور قال نَعَمْ قال رَبيعة أهُو أزْوَر قال نعم قال إياد أهُو أبْتَرُ قال نعم قال أنْمار أهُو شَرُودٌ قال نعم وهذه واللهِ صِفَةُ بَعِيري فَدُلُّونِي عليه قالوا واللهِ ما رَأيْناهُ قال هذا واللهِ الكَذِب وتَعَلّق بهم وقال كيف أصدّقكم وأنْتُم تَصِفُون بَعيِري بِصفَته فَساروا حتى قَدِموا نَجْرانَ فَلَمّا نَزَلُوا نادَى صاحبُ البَعِير هَؤلَاء أخَذُوا جَمَلِي ووَصَفُوا لِي صِفَتَه ثم قالوا لَمْ نَرَه فاخْتَصَمُوا إلى الاَفْعَى وهو حَكَم العرب فقال الاَفْعَى كيف وصفتموه ولم تَرَوْهُ قال مُضَرُ رَأيْتُه رَعَى جَانِبًا وتَرَكَ جَانِبًا فعَلِمْتُ أنّه أعْوَرُ وقال رَبيعة رَأيْتُ إحْدَى يَدَيْه ثَابِتَةَ الاَثَر والأُخْرَى فاسِدَتَه فعَلِمْتُ أنّه أزْوَر لاَنّه أفْسَدَه لِشِدّة وَطْئِه لازْوِرَارِه وقال إيَادٌ عَرَفْتُ أنّه أبْتَرُ باجْتِماعِ بَعْرِه ولو كان ذيَّالًا لَمَصَعَ به وقال أنْمَار عَرَفْتُ أنّه شَرُود لِاَنّه كان يَرْعَى فِي المَكَان المُلْتَفّ نَبْتُه ثم يَجُوزُه إلى مكانٍ أرَقّ منه وأخْبَث نَبْتا فَعَلِمْتُ أنّه شَرُود فَقَال لِلرَّجُل لَيْسُوا بأصْحَاب بَعِيرك فاطْلُبْه ثم سألَهُم مَنْ أنْتُم فَأخْبَرُوه فَرَحَّب بِهِمْ ثم أخْبَرُوه بما جَاءَ بِهِم فقال أتَحْتَاجُون إلَيّ وأنْتُم كَما أرَى ثُمَّ أنْزَلَهم فَذَبَحَ لهم شَاةً وأتاهُمْ بخَمْرٍ وجَلَس لهم الاَفْعَى حَيْثُ لا يُرَى وهو يَسْمَع كَلَامَهُم فقال رَبِيعَةُ لَمْ أرَ كالْيَوْم لَحْمًا أطْيَبَ مِنه لولا أنّ شَاتَه غُذِيَتْ بِلَبَنِ كَلْبَةٍ فقال مُضَرَ لَمْ أرَ كَالْيَوْم خَمْرا أطْيَبَ منه لولا أنَ حُبْلَتَها

نَبَتَتْ على قَبْرٍ فقال إيَادٌ لَمْ أرَ كالْيَوم رَجُلًا أسْرَى منه لولا أنّه لَيْس لِابِيه الذي يُدْعَى لَهُ فقال أنْمَار لَمْ أرَ كَالْيَوْم كَلَاما أنْفَعَ في حاجَتِنا مِن كَلَامِنَا وكان كَلَامُهم بأذُنِهِ فقال ما هَؤُلاء الّا شَيَاطِين ثُمَّ دَعَا القَهْرَمَان فقال ما هذه الخَمْرُ وما أمْرُها قال هى من حُبْلَةٍ غَرَسْتُها على قَبْرِ أبِيكَ لَمْ يَكُن عِندنَا شَرَابٌ أطْيَبُ منْ شَرَابها وقال للرّاعي ما أمْرُ هَذِه الشاة قال هى عَنَاقٌ أرْضَعْتُها بِلَبَن كَلْبَة وذلك أنّ أمَّها كانت قد مَاتَتْ ولم يَكُنْ في الغَنَم شَاةٌ ولَدَتْ غَيْرَها ثم أتى أمه فَسَألَهَا عَنْ أبِيه فأخْبَرَتْه أنّها كانَتْ تَحْتَ مَلِكٍ كَثير الْمَال وكان لا يُولَدُ له قالَتْ فَخِفتُ أنْ يَمُوت وَلَا وَلَدَ لَهُ فَيَذْهَبُ المُلك فأمْكَنْتُ مِن نَفْسِي ابْنَ عَمّ لَهُ كانَ نَازِلا عَلَيه فَخَرجَ الافْعَى إلَيْهم فَقَصّ القَوْمُ عليه قِصَّتَهم وأخْبَرُوه بِمَا أوْصَى بِه أبُوهُمْ فقال ما أشْبَهَ القُبَّةَ الحَمْرَاء مِنْ مَالٍ فهو لِمُضَر فذهب بالدَّنَانِير والأبِل الحُمْر فَسُمّى مُضَر الحَمْراء لذلك وقال وأمّا صَاحِبُ الفَرَس الأدْهَمِ والخِبَاء الأسْود فَلَهُ كُلُّ شئ أسْوَد فصارت لِرَبيعة الخَيْل الدُّهْم فَقيل رَبيعة الفَرَس وما أشْبَه الخَادِمَ الشَمْطَاء وقَضَى لِأنْمار بالدَرَاهِم وبِما فَضَل فسمّى أنْمار الفَضْل فَصَدَرُوا مِن عِنده على ذلك فقال الَافْعَى إنّ العَصَا مِنَ العُصَيّة وإن خُشَيْنا مِنْ أخْشَن ومُساعدة الخَاطِل تُعَدّ مِن البَاطِل فأرسلهنّ مثلا وخُشَيْن وأخْشَن جَبَلَانِ أحدُهما أصغَر مِنَ الاخر والخَاطِل الجَاهِل والخَطَل في الكلام اضْطِرابه والعُصَيَّة تَصْغِير تكْبِيرٍ مِثْل أنَا عُذَيْقُها المُرَجَّب وجُذَيْلُها المُحَكَّك والمُراد أنّهم يُشْبِهُون أبَاهُمْ في جَوْدة الرّأيِ وقيل انّ العَصَا اسمُ فَرَس والعُصَيّة اسم أمّه يُرَاد أنَّه يَحْكِي الأم في كَرَم العرقْ وشَرَف العِتْق.

خطب يسير في خطب كبير

قاله قَصِير بن سَعْد اللّخمِيّ لجَذِيمة بن مالك بن نَصْر الذي يُقال له جَذِيمة الأبْرَش وجَذِيمة الوَضّاح والعرب تقول للّذي بِهِ البَرَص بِهِ وضَحَ تَفَاديًا من ذِكْر البَرَص وكان جَذِيمة مَلِكَ ما عَلَى شاطئ الفُرَات وكانت الزَّبّاء مَلكة الجَزِيرة وكانت مِن أهل باجَرْمَا وتَتَكَلَّم بالعربية وكان جَذِيمة قد وتَرَها بقَتْل أبيها فلما استجمَعَ أمْرُها وانتظَمَ شَمْلُ مُلْكها أحَبَّتْ أنْ تَغْزُوَ جَذِيمة ثم رَأت أنْ تَكْتُب إليه أنّها لَمْ تَجِدْ مُلْكَ النّساء إلّا قَبِيحا في السمَاع وضَعْفًا في السُلْطان وأنّها لَمْ تَجِدْ لِمُلْكِها موْضِعا ولا لِنَفْسها كُفُؤا غَيْرَك فأقْبِلْ إليَّ لِأجْمَعَ مُلْكِي إلى مُلْككَ وأصِلَ بِلادِي ببلادك وتُقَلِّد أمْري مع أمْرك تريد بذلك الغَدْر فلما أتَى كتابُها جَذِيمة وقدِم عليه رُسُلها استَخَفّه مادَعَتْه إليه ورَغِب فيما أطْمَعَتْه فيه فَجَمَع أهْلَ الحِجا والرّأي من ثِقَاتِه وهو يومئذ بِبَقّة من شاطِئِ الفُرات فَعَرَض عليهم ما دَعَتْه إليه وعَرَضَتْه عليه فاجْتَمَع رأيُهم على أن يَسِير إليها فيَستَوْلي على مُلْكها وكان فيهم قَصِير وكان أرِيبًا حازِما أثِيرا عند جَذِيمة فَخَالَفَهُمْ فيما أشَاروا به وقال رَأيٌ فاتِر وغَدْر حاضِر فَذَهَبَت كلِمته مَثَلا ثم قال لجَذِيمة الرَّأي أنْ تَكْتُب إليها فإن كانت صادِقة في قَوْلها فلتُقْبِلْ إليك والّا لَمْ تمكّنْها مِن نَفْسك ولَمْ تَقَع في حِبَالَتِها وقد وتَرتْهَا وقَتَلْتَ أبَاها فلم يُوَافِق جَذِيمة ما أشار به فقال قِصير

إنّي امْرُؤ لا يَمِيل العَجْزُ تَرْوِيَتِي   اذا أتَتْ دُونَ شَأبِي مِرّةُ الرُّزَم

فقال جَذِيمة لَا ولَكِنَّك امْرُؤ رَأيُك فِي الكِنّ لا فِي الضِّحّ فذهَبت كلمتُه مَثَلا ودَعَا جَذِيمة عَمْرَو بنَ عَدِيٍّ ابنَ أخْته فاستشاره فشجَّعه على المسِير وقال انّ قَوْمِي مع الزّبَاء ولَوْ قَدْ رَأوْك صاروا مَعَك فأحَبَّ جَذِيمة ما قاله وعَصَى قَصِير لا يُطاع لقَصيرٍ أمْرٌ فَذَهَبَت مَثَلا واسْتَخْلَف جَذِيمة عَمْرَو بن عَدِيٍ عَلَى مُلْكه وسُلْطانِه وجَعَلَ عَمْرَو ابنَ عبِد الجِنّ معه على جُنُوده وخُيُوله وسار جذيمة فِي وُجُوه أصحابه فأخَذ على شاطِئ الفُرَات من الجانب الغَرْبِيّ فلما نَزَل دعا قِصيرا فقال ما الرَّأيُ يا قَصِير فقال قِصير ببَقَّةَ خَلَّفْتُ الرَّأيَ فَذَهَبَتْ مَثَلا قال وما ظَنُّك بالزَّبَّاء قال القَوْلُ رِدَاف والحَزْم عَثَراتُه تُخَاف فذهبت مثلا واسْتَقْبَلَه رُسُل الزَّبَّا بالهدَايا والألْطاف فقال يا قصير كيف تَرَى قال خَطْبٌ يَسِير فِي خَطْب كَبير فذهبت مثلا وستَلْقَاك الخُيُول فإنْ سَارتْ أمَامَك فالمَرأة صادِقة وان أخَذَت جَنْبَتَيْكَ وأحَاطَتْ بك مِن خَلْفك فالقَوْم غَادِرُون بك فاركَبِ العَصَا فانّه لا يُشَقُّ غُبارُها فَذَهَبَتْ مثلا وكانت العصا فَرَسا لجَذِيمة لا تُجَارَى وإنِّي رَاكِبها ومُسَايِرُكُ عليها فَلَقِيَتْه الخُيُول والكَتائِب فَحَالَتْ بَيْنَه وبَيْن العَصَا فَركَبها قَصِير ونظر إليه جَذِيمة على مَتْن العصا مُوَلِّيا فقال وَيْل أمِّه حَزْما على مَتْن العَصَا فَذَهَبَتْ مثلا وجَرَت به إلى غروب الشمس ثم نَفَقَت وقد قَطَعَت أرْضا بَعِيدة فَبَنَى عليها بُرْجا يقال له بُرْج العَصَا وقالت العرب خَيْرٌ مّا جَاءت به العَصَا فذهبت مثلا وسار جذِيمة وقد أحاطت به الخليل حتى دَخَل على الزّبّاء فرآها على غير أُهْبة العَرُوس فقال بَلَغ الْمَدَى وجَفّ الثَّرَى وأمْرَ غَدْرٍ أرَى فذهبت مثلا ودَعَت بالسيف والنِطَع ثم قالت انّ دِمَاءَ الْمُلُوك شِفَاء من الْكَلَب فأمَرَتْ بطَسْت منْ ذَهَب قد أعَدّتْه له

فَسَقَتْه الخمرَ حتى سَكِر وأخَذَت الخمرُ منه مَأخَذَها فأمَرَتْ بِرَاهِشَيه فَقُطعا وقَدّمتْ إليه الطَّسْت وقد قِيل لها إنْ قَطَر مِن دَمِه شئ في غير الطَّسْت طُلِب بِدَمِه وكانت المُلُوك لا تُقْتَل بضَرْب الأعْناق إلا في القِتَال تَكْرِمة لِلْمَلك فَلَمّا ضَعُفَتْ يَدَاهُ سَقَطَتَا فَقَطَر مِن دَمِه في غير الطست فَقالت لا تُضَيّعوا دَمَ المَلِك فَقَال جَذِيمة دَعُوا دَمًا ضَيَّعَه أهْلُه فذهبت مثلا فَهَلَك جَذِيمة وجَعَلَت الزّبّاء دَمَه في رَبْعَةٍ لها وخَرَج قَصِير من الحَيّ الذي هَلَكَت العَصَا بين أظهُرِهِم حتى قَدِم على عَمْرو بن عَدِيّ وهو بالحِيرة فقال له قَصِير أثَائِرُ أنْتَ قال بَلْ ثائِر سَائِر فَذَهَبَتْ مثلا ووافَقَ قصير الناسَ وقد اخْتَلَفُوا فَصَارت طائفة مع عَمْرو بن عديّ الّلخْمي وجماعة منهم مع عمرو بن عبِد الجِنّ الجَرْمِيّ فاخْتَلَف بَيْنَهُما قصِير حتى اصْطَلَحَا وانْقَاد عَمْرو بن عَبْدِ الجِنّ لعَمْرو بن عَدِيّ فقال قصِير لعَمْرو بن عَدِيّ تَهَيّأ واسْتَعَدّ ولا تَطُلَّنّ دَمَ خَالِك قال وكَيْفَ لِي بها وهى أمْنَعُ مِن عُقَابِ الجَوّ فَذَهَبَتْ مَثَلاً وكانتَ الزّبّاء سألَتْ كاهنَة لها عن هَلَاكِها فقالت أرَى هَلَاكَكِ بسَبَب غُلَام مَهِين غَيْر أمِين وهو عَمْرو بن عَدِيّ ولَنْ تَمُوتِي بيَدِه ولِكن حَتْفُك بِيَدِكِ ومِنْ قِبَله ما يكونُ ذَلِك فَحَذِرتْ عمرا واتَّخَذَتْ لَها نَفَقًا من مَجْلسها الذي كانت تَجْلس فيه إلى حِصْن لها في داخل مَدِينتها وقالت ان فجأني أمْرٌ دَخَلْتُ النَفَق إلى حِصْني ودَعَتْ رجُلا مُصوّرا مِنْ أجْوَد أهلْ بِلادِهم تصوِيرا وأحسنِهم عَمَلا فجهَّزَتْه وأحْسَنَتَ إليه وقالت سِرْ حَتَّى تَقْدَم على عَمْرو ابن عَدِيّ مُتَنَكّرا فَتَخْلُو بحَشَمِه وتَنْضَمّ إليهم وتُخَالِطُهم وتُعْلِمُهم ما عِنْدَك من العِلْم بالصُّوَر ثم أثْبِتْ لِي عَمْرو بنَ عَدِيّ مَعْرِفَةً فَصَوّرْهُ جالسا وقائما وراكبا ومُتَفَضِّلا ومتسلِّحا بهَيأته ولِبْسته ولَوْنِه

فإذا أحْكَمْتَ ذلك فَأَقْبِلْ إلَيّ فانْطَلَقَ المُصَوِّر حتى قدِم على عمرو بن عدي وصَنَعَ ما أمَرَتْه به الزّبّاء وبَلَغ من ذلك ما أوْصَتْه به ثم رَجَع إلى الزّبّاء بِعَمَلٍ ما وَجَّهَتْه له من الصُّورة على ما وَصَفَتْ وأرَادَتْ أنْ تَعْرِف عَمْرو بنَ عَدِيّ فلا تَرَه على حالٍ إلّا عَرَفَتْه وحَذِرَتْه وعَلِمَتْ عِلْمَه فقال قصير لعمرو بن عدي اجْدَعْ انْفِي واضْرِبْ ظَهْرِي ودَعْنِي وإيَّاها فقال عمرو ما أنا بفاعل وما أنْتَ لِذَلِكَ مُسْتَحِقّا عندي فقال قصِير خَلّ عَنّي اذًا وخَلَاكَ ذَمُّ فذهبت مثلا فقال له عمرو فأنْتَ أبْصَر فجدَع قصير أنفه وأثَّر آثارا بظَهْره فقالت العرب لامر مّا جَدَعَ قَصِير أنْفَه وفي ذلك يقول المتلمس.

وفي طَلَب الاوْتَار ما حَزّ أنْفَه قصِير ورَام المَوْت بالسيف بَيْهس

ثم خَرَج قصير كأنّه هارِبٌ وأظْهَرَ أنّ عَمْرًا فَعَل ذلك به وأنّه زَعَم أنّه مَكَرَ بخَاله جَذِيمة وغَرّه من الزَّبَّاء فسار قصير حتى قدِم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمَرَت به فأدْخل عليها فاذا أنْفُه قد جُدِعَ وظَهره قد ضرب فقالت ما الَّذِي أرَى بِكَ يا قصير قال زَعَم عَمْرو أنِيّ قد غَرَرْتُ خَالَه وَزَّيْنت له المَصِير إليك وغَشَشْتُه ومَالَأتُكِ فَفَعَل بِي ما تَرَيْنَ فأقْبَلْتُ إليك وعَرَفْتِ أنِيّ لا أكُون مَعَ أحَدٍ هو أثْقَلُ عليه مِنْك فأكْرَمَتْه وأصَابَتْ عندَه مِن الحَزْم والرَّأي ما أرَادَتْ فَلَمّا عَرَف أنّها اسْتَرْسَلَتْ إليه ووثِقَتْ به قال إنّ لي بالعِرَاق أمْوالا كثيرة وطَرَائفَ وثِيَابًا وعِطْرًا فابْعثِينِي إلى العراق لأحْمِل مالِي وأحْمِل إليك مِن بُزُورها وطَرائِفها وثيابها وطِيبها وتُصيبِينَ في ذلك أرْباحاً عِظَامًا وبَعْضَ مَالًا غِنًى بالمُلُوك عنه وكان أكْثَرَ ما يُطْرِفُها من التَمْر الصَّرَفَان وكان يُعْجِبُها فلَمْ يَزَل يُزَيِّن ذلك حتى أذنَتْ له ودفَعَتْ له أموالا وجَهَّزَت معه عَبِيدا فَسَار قصِير بما دَفَعَتْ إليه

حتى قدِم العِرَاق وأتى الحِيَرة مُتَنَكِّرًا فدخل على عَمْرو فأخْبَرَه الْخَبَر وقال جَهِّزْنِي بصُنُوف الْبَزّ والامْتِعَة لَعلّ الله يُمكْن مِنَ الزَّبَّاء فَتُصِيبَ ثَأْرَكَ وتَقْتُل عَدُوَكَ فَأعْطَاهُ حاجَتَه فَرَجَعَ بذلك إلى الزَّبَّاء فأعْجَبَها ما رَأتْ وسَرّها وازْدَادَتْ به ثِقَةً وجَهَّزَتْه ثَانِية فسار حتّى قَدِم على عَمْرو فَجَهَّزه وعادَ إِليها ثم عادَ الثالِثة وقال العمرو اجْمَعْ لِي ثِقَات أصْحابِك وهَيّئِ الغَرَائِر والمُسوح واحْمِلْ كُلَّ رَجُلَيِن على بَعير في غِرَارَتَيْنِ فاذا دَخَلوا مَدِينة الزّبّاء اقَمْتُك على باب نَفَقها وخَرَجَت الرِّجال من الغَرَائر فَصَاحُوا بأهلْ المدينة فَمَنْ قاتَلَهُم قَتَلُوه وان أقْبَلَتِ الزّبّاء تُريد النَفَقَ جَلَّلتْهَا بالسَيْف فَفَعَل عَمْرو ذلك وحَمَل الرِّجال في الغَرائر بالسلاح وسار يَكْمُنُ النَهَار ويسير اللَّيْلَ فلما صار قرِيبا من مَدينَتِها تَقَدّم قصير فَبَشَّرَها وأعْلَمَها بما جاء به من المَتَاع والطَرَائف وقال لها آخِر البَزّ على القَلُوص فأرْسَلَها مثلا وسألَهَا أن تَخْرُج فَتَنْظُر إلى ما جاء به وقال لها جئتُ بما صاء وصَمَتَ فذَهَبَتْ مثلا ثم خرجت الزّبّاء فأبْصَرت الابِلَ تكاد قوَائِمها تَسُوخ في الأرض مِن ثِقَل أحْمَالِها فقالت يا قصير

ما لِلْجِمال مَشْيُها وَئِيدا أجَنْدَلًا يَحْمِلْن أمْ حَدْيدَا

أمْ صَرَفَانًا تَارِزًا شَدِيدا

فقال قصير في نَفْسه

صارت الفتيان حمما

هذا من قول الحَمْراء بنت ضَمْرة بن جابر وذلك أنّ بني تَميم قَتَلُوا سَعْدَ بنَ هِنْد أخا عَمْرو بن هِنْد المَلِكِ فَنَذر عَمْرو ليَقْتُلَنّ بِأخيه مائَةً مِنْ بَنِي تميم فَجَمَع أهْل مَمْلكتِه فَسارَ إليهم فَبَلَغَهُمُ الخَبَر فَتَفَرّقُوا في نَواحِي بِلادِهم فَأتَى دارَهُم فَلَم يَجِد إلّا عَجُوزا كَبِيرة وهى الحَمْراء بنْت ضَمْرة فَلَمّا نَظَر إليها وإلَى حُمْرَتها قال لها إِنّي لَأحْسِبك أعْجَمِيّة فقالت لا والّذي اسْألُها أنْ يَخْفِض جَناحَك ويَهُدَّ عِمادَك ويَضَع وِسادك ويَسْلُبكَ بِلادَك ما انا بأعْجَمِيّة قال فَمن أنْتِ قالت أنا بِنْتُ ضَمْرة بن جابر سادَ مَعَدًّا كابراً عن كابرٍ وأنا أخْت ضَمْرة بن ضمرة قال فَمن زَوْجُك قالت هَوْذَةُ بن جَرْوَل قال وأيْنَ هو الآن أمَا تَعْرِفِين مَكانَه قالت هذه كِلمة أحْمَقَ لو كُنْتُ أعْلَمُ مكانه حالَ بَيْنَك وبَيْني قال وأيّ رَجُل هُو قالت هذه أحْمَقُ من الاولى أعَنْ هَوْذَة يُسْئَلُ هُوَ والله طَيّب العِرْق سَمِينُ العَرْق لا يَنام لَيْلَة يَخافُ ولا يشْبَع لَيْلَةَ يُضاف يَأكُل ما وَجَد ولا يَسْأل عَمّا فَقَد فقال عَمْرو أمَا والله لَوْلا أنِّي أخاف أنْ تَلِدِي مِثْل أبِيكِ واخِيك وزَوجِكِ لَاسْتَبْقَيْتُكِ فقالت وأنتَ والله لاتَقْتُل الا نِساء اعالِيها ثُدِيّ وأسافلها دُمِيّ والله ما أدْرَكْتَ ثارًا ولا مَحَوْتَ عارا وما مَنْ فَعَلْت هذِهِ به بِغافلٍ عنك ومَعَ اليَوْم غَد فَأمَر باحْرَاقِها فَلَمَّا نَظَرَت إلى النار قالت ألَا فَتًى مكان عَجُوز فَذَهَبَتْ مثلا ثم مكثت ساعةً فلم يَفْدِهَا أحَد فقالت هيهات صارَتْ الفِتْيانُ حُمَمًا فَذَهَبت مثلا ثم ألْقِيتْ في النّار ولَبِثَ عمرو عَامَّة يَوْمِه لا

يَقْدِر على أحَدٍ حتى اذا كان في آخر النَهار أقْبَلَ راكب يُسَمَّى عَمَّارا تُوضِعُ به رَاحِلَتُه حتى أنَاخ إليه فقال له عَمْرو مَن أنْتَ قال أنَا رَجُل من البرَاجِم قال فما جاءَ بِكَ إلَيْنَا قال سطع الدُّخَان وكُنْت طَوَيْتُ مُنْذ أيَّام فَظَنَنْتُه طَعَاما فقال عمرو ان الشَّقيّ وافِدُ البَرَاجِم فذهَبَتْ مَثَلا وأمَرَ به فَأُلْقِيَ في النّار فقال بَعْضُهم ما بَلَغنا أنه أصَابَ مِن بَني تَمِيم غَيْرَه وانما أحْرَق النِساءَ والصِبْيَان وفي ذلك يقول جرير

وأخْزاكُم عَمْرو كما قد خَزِيتُمُ　　　وأدْرَك عَمَّارًا شَقِيَّ البرَاجِم

ولذلك عُيرت بَنُو تميم بحُبّ الطعام لِمَا لَقِيَ هذا الرجل قال الشاعر

اذا ما مات مَيْتٌ مِن تَميم　　　فَسَرَّك أنْ يَعِيش فَجِئْ بزاَد
بخُبْز أو بَلْحم أم بتَمْرٍ　　　أو الشَئْ المُلَففَّ في البِجَاد
تَرَاه يُنَقّب الآفاق حَوْلا　　　لِيَأكُلْ رَأس لُقْمان بْنِ عَادِ

عند جُهَيْنة الخَبَرُ اليَقِين

قال هِشام بن الكَلْبي كان مِن حَديثه أنّ حُصينَ بنَ عَمْرو بنِ مُعَاوِيَة بن كلَاب خرج ومَعَه رَجُلٌ مِن جُهَيْنَة يقال له الاخنس بن كَعْب وكان الاخنس قد أحَدث في قومه حَدَثا فخرج هاربا فلقيَه الحُصَيْن فقال مَنْ أنْتَ ثَكلَتْكَ أمُّك فقال له الاخنس بَلْ مَنْ أنت ثكلتك أمّك فردّد هذا

القَوْلَ حتى قال الاخنس أنَا الاخنس بن كَعْب فأخْبِرْنِي مَنْ أنْتَ وإلّا أنْفَذْتُ قَلْبكَ بهذا السِّنَان فقال له الحصين أنا الحصين بن سُبَيْع الغَطَفَانِي فقال له الاخنس فما الذي تريد قال خرجت لِمَا يَخْرجُ له الفِتْيان قال الاخنس وأنَا خَرَجْت لِمثْل ذلك فقال الحصين هَلْ لك أنْ نَتعاقَدَا أنْ لا نلْقَى أحَدًا من عَشيرتك أو عَشِيرتِي إلّا سَلَبْنَاه قال نَعَم فتعاقَدَا على ذلك وكِلَاهما فاتكٌ يَحْذَر صاحِبَه فَلَقِيَا رَجُلا فَسَلَبَاه فقال لهما هل لَكُما أن تَرُدّا عليَّ بَعْضَ ما أخَذْتُمَا مِنّي وأدُلُّكُما على مَغْنَم قالا نَعَمْ فقال هذا رَجُل مِن لَخْم قد قَدِمَ مِن عندِ بعض الملوك بمَغْنَم كثِير وهو خَلْفِي في موضع كذا وكذا فَرَدَّا عليه بعضَ مالِه وطَلَبا الَّلخْمِيّ فوجَدَنَاه نازِلا في ظِلّ شَجَرة قُدّامَه طَعَام وشَرَاب فَحَيَّيَاهُ و حَيَّاهُما و عَرَض عليهما الطَعَام فكَرِه كلُّ واحد أنْ يَنْزِلْ قَبْلَ صاحِبه فَيَفْتِك به فَنَزَلا جَمِيعا فَأكلا وشَرِبا مَعَ اللّخْمِيّ ثم انّ الأَخنس ذَهَبَ لبَعْض شَأنِه فرجَعَ واللخْمِيُّ يَتَشَحَّط في دَمِه فقال الجُهَنِيّ وهو الأَخنس وسَل سيفَه لانّ سيف صَاحِبه كان مَسْلولا ويْحَك فَتَكْتَ برَجُل قد تَحَرَّمْنا بطعَامِه وشَرَابه فقال اقْعُدْ يا أخا جُهَينة فلِهَذَا وشِبْهِه خَرَجْنا فَشَربا سَاعة وتَحَدّثا ثم انّ الحُصَين قال يا أخا جُهَينة أتَدْرِي ما صَعْلة وما صَعْل قال الجهني هذا يومُ شُرْب وَأكْل فسكت الحُصَيْن حتى اذا ظنّ أن الجهني قد نسِى ما يُرَاد به قال ياَ أخا جُهَيْنَة هل أنتَ للطَّير زَاجِرٌ قال وما ذَاكَ قال ما تَقولُ هذه العُقَاب الكاسر قال الجهني وأيْنَ تَرَاها قال هِيَ ذِه وتَطَاوَلَ ورفَعَ رَأسه إلى السَمَاء فَوضَعَ الجُهَني بادِرةَ السيف في نَحْره فقال أنَا الزّاجِرُ والنّاحِر واحْتَوَى على مَتَاعِه ومتاع اللخمي وانْصَرَف راجعا إلى قَوْمه فَمَرّ ببَطْنَيْنِ مِن قَيْس يُقَال لَهُما

مَرَاحٌ وأنْمَار فاذا هو بامْرَأةٍ تَنْشُد الحُصَين بن سبيع فقال لها مَنْ أنْتِ قالت أنا صَخْرة امرأة الحصين قال أنا قَتَلْتُه فقالت كذَبْتَ ما مِثْلُك يَقْتُل مِثْلَه أمَا لَوْ لَمْ يكُن الحَيُّ خِلْوًا ما تَكَلَّمْتَ بهذا فانْصَرَف إلى قومه فَأصْلَح أمرهم ثم جاءهم فَوَقَفَ حيث يُسْمِعُهم وقال

وكَمْ مِن ضَيْغَم وَرْدٍ هَمُوسٍ أبِي شِبْلَيْن مَسْكَنُه العَرِينُ
عَلَوْتُ بَيَاضَ مَفْرِقِه بعضْبٍ فأضْحَى في الفلاة لَهُ سُكونُ
وأضْحَت عِرْسُه ولَهَا عليه بُعَيْدَ هُدُوءِ لَيْلَتِها رَنِينُ
وكَمْمن فارسٍ لا تَزْدَرِيه اذا شَخَصَتْ لِمَوْقِعِه العُيُون
كصَخْرة إذْ تُسائِلُ في مَرَاح وأنْمَارٍ وعِلْمُهُما ظنُوُنُ
تُسائل عن حُصَين كُلَّ رَكْبٍ وعنْد جُهَينةَ الخَبَرُ اليَقِين
فَمَنْ يك سائلا عنه فعِندِي لِصَاحبه البَيَان المُسْتَبِينُ
جُهَيْنَةُ مَعْشَرِي وهُم مُلوك اذا طَلَبُوا المَعَالِي لم يَهُونوا

قال الأَصْمَعِيّ وابن الأَعْرابِي هو جفينة بالفاء وكان عِندَه خَبَر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر

تُسائلُ عَن أبيها كُلَّ رَكْب وعند جُفَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ

قال فسألُوا جُفَيْنة فأخْبَرَهُم خَبَرَ القَتِيل وقال بعضهم هو حُفَينة بالحاء المهملة يُضْرَب في معرفة الشئ حقيقة

كِلَاهُما وتَمْرًا

ويُرْوَى كِلَيْهِما أوّل مَن قال ذلك عَمْرو بن حُمْران الجَعْدِي وكان حُمْران رجلا لَسِنا مَارِدًا وأنّه خَطَب صَدُوف وهى امرأة كانت تأْبِد الكَلَام وتَسْجَع في المنطِق وكانت ذات مالٍ كثير وقد أتاها قوم كثير يخطبُونها فَردّتْهم وكانت تَتعَنَّت خُطَّابَهَا في المسألة وتقول لا أتَزَوّج إلّا مَنْ يَعْلَم ما أسْألُه عنه ويُجِيبُني بكلامٍ على حَدّه لا يَعْدُوه فلما انتهى إليها حُمْران قام قائما لا يجلس وكان لا يأتيها خاطبٌ الَّا جَلَس قبل إذْنِها فقالت ما يَمْنَعُك من الجلوس قال حتى يُؤْذَنَ لِي قالت وهل عليك أمِير قال رَبّ المَنْزل أحَقّ بِفِنائِه ورَبُّ الماء أحَقّ بِسقَائِه وكُلُّ لَهُ مَا فِي وِعائِه فقالت اجْلِسْ فجلس قالت له ما أرَدْتَ قال حَاجَة ولم آتِكِ لِحَاجَة قالت تُسِرّها أمْ تُعْلِنها قال تُسَرّ وتُعْلَن قالت فما حَاجَتُك قال قَضَاؤها هَيّن وأمْرُها بَيّن وأنْتِ بها أخْبَر وبِنُجْحها أبْصَر قالت فَأخْبِرْنِي بها قال قد عَرَّضْتُ وان شِئْتِ بَيَّنْتُ قالت من أنْتَ قال أنَا بَشَرٌ وُلِدْتُ صَغِيرا ونَشَأْتُ كبيرا ورأيت كثيرا قالت فما اسْمُك قال مَنْ شاء أحْدَث اسمًا وقال ظُلْمًا ولم يَكُن الاسم عليه حَتْمًا قالت فَمَنْ أبوك قال والدِي الذي وَلَدَنِي ووَالدُه جَدِّي فلم يَعِشْ بَعْدِي قالت فما مَالك قال بَعْضه ورِثْتُه وأكْثَره اكْتَسَبْته قالت فَمِمَّن أنْت قال مِن بَشَرٍ كثيرٍ عَدَدُه معروف وَلَدُه قَلِيلٌ صُعُدُه يُغْنِيه أبَدُه قالت ما وَرَّثَكَ أبُوك عن أوَّلِيه قال حُسْن الهِمَم قالت فأيْنَ تَنْزِل قال على بِساط واسِع في بَلَد شاسع قِريبُه بَعِيد وبَعِيده قَرِيب قالت فَمَنْ قَوْمُك قال الذين أنْتَمى إليهم وأجْنِي عليهم وَوُلِدت لَدَيهم قالت فَهَلْ لك امْرأةٌ قال لو كانت لِي لم

أطْلُب غَيْرَها ولَمْ أضَيّعْ خَيْرَها قالت كَأنَّك لَيْسَتْ لك لَيُقَال حَاجَة قال لو لم تكن لِي حاجة لم أُنِخْ بِبَابِك ولم أتَعَرّض لِجَوَابِك وأنَعَلَّق بأسْبابِك قالت انك لَحُمْرَان بن الاقرع الجَعْدي قال ان ذلك لَيُقَال فَزَوَّجَتْه نفسها وفَوَّضَت إليه أمْرَها ثم إنّها وَلَدَتْ له غُلَامًا فسمّاه عَمْرا فَنَشأ مَارِدا مُفَوَّهًا فلما أدْرَك جَعَله أبُوه رَاعيا يرعَى له الإبل فَبَينا هو يوما اذ رُفِع إليه رجُل قد أضَرّ به العَطَش والسُغُوب و عَمْرٌو قاعد و بَيْنَ يَدَيِه زُبد و تَمْر وتأمكٌ فدنا منه الرَجُل فقال أطْعِمْنِي من هذا الزُبْد والتامِك فقال عمرو نَعَمْ كِلَاهُمَا وتَمْرًا فأطْعَمَ الرَجُل حتى انْتَهى وسَقَاهُ لَبَنًا حتى رَوِىَ وأقام عنده أيّامًا فذَهَبَتْ كَلِمتُه مَثَلًا ورَفَع كِلَاهما أي لَكَ كلَاهما ونَصَبَ تمرا على معنى وأزِيدُك تمرا ومن رَوَى كِلَيْهما فانما نَصَبَه على معنى أطْعِمُك كليهما وتمرا وقال قَوْمٌ مَنْ رَفَعَ حَكَى انّ الرَجُل قال أنِلْنِي ممّا بَيْنَ يَدَيك فقال عَمْرو أيُّما أحَبّ إليك زُبْدٌ أمْ سَنَام فقال الرجل كلاهما وتمرا أي مطلوبي كلاهما وأزِيد مَعَهما تمرا أو وَ زِدْنِي تمرا

ان المُنبَتَ لا أرْضًا قَطَع ولا ظهْرًا أبْقَى

المُنْبَتّ المُنْقَطِع عن أصحابه في السَفَر والظَهْرُ الدابّة قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجْتَهَد في العبادة حتى هَجمَتْ عَيْنَاه أي غَارَتَا فلما رآه قال له ان هذا الدّينَ مَتِين فأوْغِلْ فيه بِرِفْقٍ انّ المُنْبَتّ أي الذي يَجِدُّ في سَيْرِه حتى يَنْبَتّ أخيرا سَمّاه بما تَؤُول إليه عَاقِبَتُه كقوله تعالى " انّك مَيّتٌ

وإنّهم مَيّتُون " يُضرَب لمن يُبَالغ في طلب الشئ و يُفْرِط حتى رُبَّما يُفَوّته على نَفْسه

انّ الدّوَاهي في الآفات تهْتَرِس

ويُرْوَى تَرْتَهِس وهو قَلْبُ تَهْتَرس من الهَرْس وهو الدَّقَ يعني أن الآفات يَمُوج بَعْضُها في بعض ويَدُقّ بعضُها بعضا كَثْرَةً يُضْرَب عند اشتداد الزمان واضطراب الفِتَن وأصْلُه أنّ رجلا مَرّ بآخر وهو يقول يا رَبّ إمّا مُهْرَةً أو مُهْرًا فأنكَرَ عليه وقال لا يكون الجَنِين الّامُهْرَة أو مُهْرا فلما ظَهَر الجنين كان مُشَيّأ الخَلْقِ مُخْتَلِفَه فقال الرجل عند ذلك

قد طَرَّقَتْ بِجَنين نصفُه فَرَس ان الدّواهيَ في الآفات تهترس

انّ البَلَاء مُوَكّل بالمَنطق

قال المُفَضّل يقال انّ أوَّلَ مَن قال ذلك أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه فيما ذَكَره ابن عباس قال حَدَّثَني علِيّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه لَمَّا أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَعْرِض نَفْسه على قبائل العَرَب خرج وأنا مَعَه فَدَفَعْنا إلى مجلس من مجاس العرب فتقدم أبو بكر وكان نَسَّابَةً فسَلَّم فرَدُّوا عليه السلام فقال ممّن القوم قالوا من رَبيعة فقال أمِن هَامَتِها أمْ من لَهَازِمها قالوا مِن هَامِتها العُظْمَى أنْتُم قالوا ذُهْل الأكْبَر

قال أفمِنكم عَوْف الذي يقال له لاحُرّ بِوَادِي عَوْف قالوا لا قال أفمِنكم بِسْطَام ذو اللِّواء ومُنْتَهى الاَحْيَاء قالوا لا قال أفَمِنكم جَسَّاس بن مُرَّة حَامِي الذِّمَار ومانِع الجَار قالوا لا قال أفمِنكم الحَوْفَزَان قاتِل المُلُوك وسالِبُها أنْفُسَها قالوا لا قال أفمنكم المُزْدلِف صاحب العِمَامة الفَرْدة قالوا لا قال فأنْتُم اخْوَال المُلُوك مِن كِنْدَة قالوا لا قال فَلَسْتُم ذُهْلا الأكْبَر أنْتُم ذُهْل الاَصْغَر فقام إليه غُلَام قد بَقَل وَجْهُه يقال له دَغْفَل فقال

انّ على سائِلنا أنْ نَسْألَهُ　　　العِبْءُ لا تَعْرِفه أو تَحْمِلَهْ

يا هذا انك قَدْ سَألْتَنا فلم نكْتُمْك شيأ فَمنِ الرَجُل أنْتَ قال رجل من قُرَيش قال بَخ بَخْ أهْلُ الشَرَف والرآسة فمِن أيّ قُرَيش أنت قال مِن تَيْم ابن مُرَّة قال أمكَنْتَ والله الرامِيَ مِن صَفَا الثُغْرة أفمِنكم قُصيّ بن كِلاب الذي جَمَع القَبائل من فِهْر وكان يُدْعى مُجَمِّعًا قال أفمنكم هاشم الذي هشم الثَرِيد لقَومه ورِجال مكّة مُسْنِتُون عِجَافٌ قال لا قال أفمنكم شَيْبَةُ الحَمْدِ مُطْعِمُ طَيْر السَمَاء الذي كأنّ في وَجْهِه قَمَرًا يُضِئ لَيْلَ الظلام الداجِي قال لا قال أفَمِن المُفِيضِين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهْل النَدْوَة أنت قال لا قال أفمن أهْل الرِفَادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحِجَابة أنت قال لا قال أفمن أهل السِقَاية أنت قال لا قال واجْتَذَب أبو بكر زِمَامَ ناقَتِه فَرَجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دَغْفَل صادَفَ دَرْءُ السَّيْل دَرْأ يَصْدَعُه أمَا والله لو ثَبَتَّ لَأخْبَرْتُك أنَك من زَمَعَات قريش أوْ مَا أنَا بدَغْفَل قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليّ قُلْتُ لأبِي بكر لقد وَقَعْتَ من الاعرابي على بَاقِعة قال أجَلْ إنّ لِكُلّ

طَامَّة طَامَّة وانّ البَلَاء مُوَكَّل بالمَنْطِق وفي قِصَّة المَثَل أمثال قوله (لا حُرَّ بوادي عَوْف) يُتَمثَّلُ به في هضم من يتَعَاظَم بنَواحي من يَقْدِر على قهْره وقوله (انّ عَلَى سائلنا أن نسأله) ومَحَلّ التَمَثّل به ظاهر وقوله (والعِبء لا تَعْرِفه أو تَحْمِلَه) يُتَمَثّل به في طَلَب الاختبار وتَرْكِ الِاكتفاء بما يَبْدو فان الشيئ الذي تُرِيد حَمْلَه فيكونُ عِبْأ رُبَّما يكون كبيرا في النَظَر خفيفا في الوَزْن وربما كان ثَقِيل الوَزْن وهو صغِير الحَجْم

انْ ترد الماءَ بماء أكْيَسُ

يُتمثَّل به عند الأمْر بالِاقتصاد في المعيشة والمحافَظَة على قَلِيلة وان كان واثِقا بحُصُول كثير له في المستقبل وأصْلُه في المسافر عَرَف قُرْبَه من المَنْهَل فأسْرَفَ في استعمال ما حَمَل من الماء

انما يُعَاتب الأَديم ذو البَشَرَة

المُعاتَبة المُعاوَدَة وبَشَرَة الأدِيم ظاهرهُ الذي عليه الشَّعر أي انما يُعاد إلى الدّبَاغ من الأديم ما سَلِمتْ بَشَرَتُه يُضْرَبُ لِمَنْ فيه مُرَاجَعة ومُسْتَعْتَب قال الأَصْمَعِيّ كُلّ ما كان في الأدِيم مُحْتَمَلٌ ما سَلِمَت البَشَرة فاذا نَغِلَت البَشَرة بَطَل الأدِيم ومِن هُنا أُخِذ العِتَاب بين الاخوان لذكر الهَفَوات ثم الأعتِذار

أو الأعتِراف والمُسَامحة والعَوْد إلى المُصَافاة فيكون ذلك بمنزلة دَبْغ الجِلْد لازالة فَضَلاته

انّ العَصَا قُرعَت لذي الْحِلْم

قيل ان أوَّلَ مَن قُرِعت له العصا عَمْرو بن مالك بن ضُبَيْعَة أخو سَعْد ابن مالك الكناني وذلك ان سعدا أتى النعمانَ بنَ المنذر ومعه خَيل له قادَها وأخرى عَرّاها فقيل له لِمَ عَرَّيْتَ هذه وقُدْتَ هذه قال لم أقُدْ هذه لأمْنَعَها ولم أعرِّ هذه لِأَهَبَهَا ثم دخل على النعمان فسأله عن أرضه فقال أما مَطَرُها فَغَزير وأما نَبْتُها فكثير فقال له النعمان انّك لَقَوّال وان شئت أتَيْتُك بما تَعْيَا عن جوابه قال نعم فأمَر وَصيفا له أن يَلْطِمَه فَلَطَمَه لَطْمه فقال ما جواب هذه قال سَفِيهٌ مَأْمورٌ قال الْطِمْه أخْرَى فَلَطَمه قال ما جواب هذه قال لو أُخِذ بالأُولىَ لم يَعُدْ للأُخْرى وانما أرَاد النُعمان أن يَتَعَدّى سَعْد في المَنْطِق فَقَتْلُه قال الْطِمْه ثالِثَةً فَلَطَمَه قال ما جوابُ هذه قال رَبٌّ يُؤَدّب عَبْدَة قال الطِمْه أخْرى فَلَطَمَه قال ما جواب هذه قال مَلكْتَ فأسِجح فَأرْسَلها مثلا قال النعمان أصَبْتَ فامكُث عندي وأعْجَبَه ما رَأى منه فمكث عنده ما مَكَثَ ثم بَدَا للنعمان أن يَبْعَث رائدا فبعَث عَمْرا أخَا سَعْد فأبطَأ عليه فأغْضَبَه ذلك فأقسمَ لئِن جاء ذَامًا للْكَلأ أو حامدًا له لَيَقْتُلَنَّه فقدم عمرو وكان سعد عند الملك فقال سعد أتأذَنُ أنْ أُكَلِّمه قال اذَنْ يُقْطَع لِسانُك قال فأُشِير إليه قال اذَنْ تُقْطَع يَدُك قال فأقْرَع له

العصا قال فاقْرَعْها فَتَنَاول سعد عَصَا جَلِيسه وقَرَعَ بعَصَاه قَرْعَةً واحدة فعَرَفَ أنه يقول له مَكَانَك ثم قرع بالعصا ثلاث قَرَعَات ثم رَفَعَها إلى السماء ومَسَحَ عصاه بالارض فعَرَف أنه يقول له لَمْ أجدْ جَدْبا ثم قرع العصا مِرَارًا ثم رَفَعَها شيأ وأوْمَأ إلى الارض فعَرَف أنه يقول ولا نَبَاتاً ثم قرع العصا قَرْعَة وأقبل نحو المَلِك فعرف أنه يقول كَلِّمْه فأقْبَلَ عَمْرو حتى قام بين يدي الملك فقال له أخْبِرْني هل حَمِدْتَ خصْبًا أو ذَمَمْتَ جَدْبا فقال عمرو لم أذْمُم هُزْلا ولم أحْمَدَ بَقْلا الارضُ مُشْكلة لا خِصبُها يُعْرَف ولا جَدْبُها يُوصَف رَائدُها واقِف ومُنْكِرُها عارِف وآمِنُها خائف قال المَلِك أوْلَى لك فقال سعد بن مَالك يذكر قرع العصا

قَرَعْتُ العصَا حتى تَبَيَّن صاحبي ولم تَكُ لولا ذَاكَ في القَوْم تُقْرَعُ
فقال رَأيْتُ الارض لَيْسَتْ بمُمْحِلٍ ولا سارِح فيها على الرَعْي يَشْبَع
سَوَاء فلا جَدْب فَيُعْرَف جَدْبُها ولا صَابَها غَيْث غزير فَتَمْرَع
فَتَحْيَا بها حَوْبَاء نفسٍ كَرِيمة وقد كادَ لولا ذاك فيهم يُقَطَّع

هذا قول بعضهم وقال آخرون في قولهم ان العصا قُرِعت لذي الحِلْم ان ذَا الحِلم هذا هو عَامِرُ بن الظَرِب العَدْوَاني وكان من حُكماء العرب لا تَعْدل بفَهْمه فَهْمًا ولا بحُكْمه حُكْما فلما طَعَن في السّنّ أنكَرَ مِن عَقْلِه شيئا فقال لِبَنيه انه قد كَبِرَتْ سِنِّي وعَرَض لي سَهْو فاذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقْرَعُوا لِي المِجَنَّ بالعَصَا وقيل كانت له جارية يقال لها خُصَيْلة فقال لها اذا أنا خُولِطْتُ فاقْرَعي لي بالعصا وأُتِي عامر بخُنْثَى ليَحْكُمَ فيه فلم يَدْر ما الحُكْم فجعل يَنْحَرُ لهم ويُطْعمهم و يُدَافِعهم

بالقضاء فقالت خُصَيلة ما شأنُك قد أتْلَفْتَ مالك فخبرّهَا أنّه لا يَدْري ما حُكْم الخُنْثي فقالت أتْبِعْه مَبَالَهُ قال الشَعْبِي فحدَّثني ابن عباس بها قال فلما جاء الله بالاسلام صارت سُنّة فيه وعامر هو الذي يقول

أرَى شَعَراتٍ عَلى حاجِبَيَّ بِيضًا نَبَتْنَ جميعا تُؤَامَا
ظَلِلْت أُهَاهِي بهنّ الكَلا بَ أحْسبهنّ صُوَارًا قِيَامَا
وأحْسِب أنْفِي اذا مَا مَشَيْ تُ شَخْصًا أمَامِي رَآنِي فَقَامَا

يقال انه عاش ثلثمائة سنة وهو الذي يقول

تقول ابْنتي لَمَّا رَأتْنِي كَأنّني سَليمٌ اَفَاع لَيْله غَيْرُ مُودَع
ومَا المَوتُ أفْنَانِي ولكن تَتَابَعَتْ عَلَيَّ سِنُونٌ من مَصِيف ومَرْبَع
ثَلَاثُ مئين قد مَرَرْنَ كَوَامِلًا وها أنَا هذا أرْتَجِي مَرَّ أرْبَع
فأصْبَحْت مِثل النَسْر طارت فِراخُه اذا رامَ تَطْيَارًا يُقَال له قَعِ
أُخَبِّر أخْبَارَ القُرُون التي مَضَتْ ولابُدّ يَوْمًا أنْ يُطَارَ بِمَصْرَعي

قال ابن الاعرابي أوّل مَن قُرِعَت له العَصا عامِر بنُ الظرِب العَدْواني وربيعةُ تقول بل هو قَيس بن خالد بن ذي الجَدَّيْن وتَمِيم تقول بل هو ربيعة بن مُخاشِن أحد بني أسِيد ابن عمرو بن تميم واليَمَن تقول بل هو عمرو بن حُمَمَةَ الدَوْسِي قال وكانت حُكّام تميم في الجاهلية أكْثَم بن صَيْفيّ وحاجِب بن زُرَارَةَ والأقْرَع بن حَابِس ورَبِيعة بن مُخَاشِن وضَمْرة ابن ضَمْرة غير أنّ ضَمْرة حَكم فأخذ رِشْوة فغَدَر. وحُكّام قَيس عامر بن الظَرِب وغَيْلان بن سَلَمة الثَقَفْي وكانت له ثلاثة أيام يَوْم يحكُم فيه بين الناس ويوم يُنْشد فيه شِعْره ويوم ينظر فيه إلى جَمَاله وجاء الاسلام وعنده عَشْر نِسْوة فخيَّره

النبي صلى الله عليه وسلم فاخْتار أرْبَعًا فصارت سنّة. وحُكّام قُرَيش عبد المُطَّلِب وأبو طالب والعاصي بن وَائِل. وحَكِيمات العَرَب صَخْرة بنت لُقْمان وهِند بنْتُ الخُسّ وجُمُعَة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب الذي يقال له ذو الحِلْمِ قال المُتَلَمِسّ يُرِيدُه

لِذِي الحِلْم قَبْلَ اليَوْم ما تُقْرِع العَصَا   وما عُلِّم الانْسان إلّا لِعَلَمَا

والمَثَل يُضْرب لِمَن اذا نُبّه انْتَبه

أيَّاك أعْني واسْمَعي يا جَارَة

أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَرَازِيّ وذلك أنه خرج يريد النعمان فمرّ ببعض أحْياء طَيِّئ فسأل عن سيّد الحَيّ فقيل له حارثة بن لأم فَأَمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهدا فقالت له أُخْتُه انْزِل في الرَّحْب والسَعَة فَنَزَل فأكْرَمَتْه ولاطَفَتْه ثم خَرَجَتْ مِن خِبَائها فَرَأى أجْمَل أهْلِ دَهْرَها وأكْمَلَهم وكانت عَقِيلةَ قَوْمِها وسيّدة نِسائها فوقَعَ في نفسه منها شئ فجعل لا يَدْرِي كيف يُرِسْل إليها ولا ما يُوَافِقها من ذلك فَجَلس بِفِناء الخِباء يوما وهي تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول

يا أُخْت خَيْر البَدو والحَضَارَةْ   كَيْفَ تَرَيْنَ في فَتَى فَزَارَة

أصْبَحَ يَهْوي حُرَّة مِعْطَارَة   ايّاكِ أعْني واسْمِعِي يَا جَارَة

فلما سمِعت قولَه عَرَفَت أنّه ايّاها يَعْني فقالت ماذا بقَوْل ذِي عَقْل أرِيب ولا رأيٍ مُصِيب ولا أنْفٍ نَجيب فَاقِم مَا أقَمْت مكْرَمًا ثم ارْتَحِل متى شئتَ مُسَلَّما ويقال أجَابَتْه نَظْمًا فقالت

اِنّي أقول يا فَتَى فَزَارَةْ لا أبْتَغي الزَوْجَ ولا الدّعَارَةْ
ولا فِرَاقَ أهل هذِي الجارَةْ فارْحَلْ إلى أهْلِك باستِخارَةْ

فاسْتَحْيا الفَتَى وقال ما أرَدْت مُنْكَرا واسَوْأتَاه قالت صَدَقْت فكأنها اسْتَحْيا من تَسَرُّعِها إلى تُهَمَته فارْتَحَل فأتى النُعمانَ فَحَيّاه وأكْرَمَه فلما رَجَع نَزَلَ على أخِيها فَبَيْنَا هو مُقِيم عندهم تَطَلَّعَتْ إليه نفسُها وكان جَمِيلا فأسَلَتْ إليه أن اخْطُبْنِي ان كانَ لك إلىّ حاجَة يَوْما من الدهْر فانِيّ سَريعةٌ إلى ما تُريد فَخَطَبها وتَزَوّجَها وسارَ بها إلى قَوْمِه يُضْرَب لِمَن يَتَكَلَّم بكلام ويُرِيد به شيئا غَيْرَه

انْ كُنتَ كَذوبا فَكُنْ ذكُورًا

يُضْرَب للرَجُل يكذِب ثم يَنْسَى فَيُحَدِّث بخلاف ذلك

اذا اشْتَرَيْتَ فاذْكُر السوق

يعني اذا اشْتَرَيت فاذكر البَيْع لِتَجْتَنِب العُيُوب

بَلَــغ السَيْــل الزُبَى

هى جمع زُبْية وهى حُفْرة تُحْفَر للاَسَد اذا أرادُوا صَيْدَه وأصْلُها الرَّابِية لا يَعْلُوها الماءُ فاذا بَلَغَها السّيْل كان جَارِفا مُجْحِفا يُضْرَب لِمن جَاوَزَ الحَدّ قال المُؤَرَّج حدّثني سعيد بن سِمَاك بن حرب عن أبيه عن ابن المُعْتَمِر قال أَتى مَعاذ بن جبل بثلاثة نَفَر قَتَلَهُم أسَد في زُبْيَة فلم يَدْر كيف يُفْتِيهم فسأل عَليًّا رضى الله عنه وهو مُحْتَب بِفِناء الكَعْبة فقال قُصّوا عَلَيّ خَبَرَكُم قالوا صِدْنا أسدا في زُبْيَة فاجْتَمَعْنا عليه فَتَدافعَ الناسُ عليه فَرَمَوْا برَجُل فيها فَتَعَلّق الرجُلُ بآخَرَ فَهَوَوْا فيها ثَلَاثَتُهُم فَقَضَى فيها عَليّ رضى الله عنه أنّ للاوّل رُبَع الدِّيَة وللثاني النصف وللثالث الديَة كُلّها فأخْبرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم بقَضَائه فقال لَقَدْ أرْشَدَك اللهُ للحقّ

تطْلُب أثرا بَعْدَ عَيْن

العَين المُعَايَنَة يُضْرَب لمن تَرَك شيئا يَرَاه ثم تَبع أثَرَه بعد فَوْت عَيْنِه قال البَاهِلي أوّلُ من قال ذلك مَالك بن عمرو العَامِلي وفي كتاب أبي عُبَيد

مالك بن عمرو البَاهِلِيّ قال وذلك انّ بعض مُلُوك غَسَّان كان يَطْلُب في عَامِلَةَ ذَحْلا فأخَذ منهم رَجُلَين يقال لهما مالِك وسِمَاك ابْنَا عَمْرو فاحْتَبَسَهُما عنده زَمَانًا ثم دَعَاهُما فقال لَهُما انيّ قَاتِلٌ أحَدَكُما فأيّكُما أقْتُل فَجَعَل كُلّ واحدٍ منْهُما يقول اقْتُلْني مَكان أخي فلما رَأى ذلك قَتَل سِمَاكا وخَلّى سبيل مَالِكٍ فقال سِمَاك حين ظَنَّ أنه مَقْتُول

أَلَا مَنْ شَجَتْ لَيْلَةٌ عَامِدَهْ   كما أبَدًا لَيْلَةٌ واحدَه

فأبْلِغْ قُضَاعَةً إن جئْتَهُم   وخُصَّ سَرَاةَ بَني سَاعَدَهْ

وأبْلِغ نِزَارا على نَأيِها   بأنّ الرِمَاح هى العَائده

وأقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مالِكا   لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَه

برأس سَبيلٍ على مَرْقَبٍ   ويومًا على طُرقُ وارِدَه

فأمُّ سماكٍ فلا تَجْزَعي   فَلِلْمَوْت ما تَلِد الْوَالدَه

وانصرف مالك إلى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان رَكْبا مَرُّوا وأحَدُهُمْ يَتَغَنّى بهذا البيت

وأَقْسم لو قَتَلُوا مَالِكا   لكنتُ لهم حَيَّة راصده

فسمعت بذلك أَمّ سِمَاك فقالت يا مَالِك قَبّح اللهُ الحَياةَ بَعدَ سِمَاك اخْرُجْ في الطَلَب بأخيك فَخَرَج في الطَلَب فَلَقي قَاتِلَ أخيه يَسير في ناسٍ من قومه فقال مَنْ أحَسّ لِي الجَمَلَ الأحْمَرَ فقالوا له وعَرَفوه يا مَالكُ لَكَ مِئَةٌ مِن الإبِل فَكُفّ فقال لا أطْلُب أثَرا بعد عَين فذهبت مثلا ثم حَمَل على قاتِل أخيه فَقَتَله وقال في ذلك

يا رَاكبَا بَلّغَا ولا تَدَعَا بَني قُمَيْر وانْ هُمُوا جَزِعُوا

فَلْيَجِدُوا مثل ما وَجَدْتُ فَقَدْ كُنْتُ حَزِينا قد مَسّني وَجَعُ

لا أسْمَعُ اللَهْوَ في الحديث ولا يَنْفَعُني في الفراشِ مُضْطَجَعُ

لَاوَجْدَ ثَكْلى كما وَجَدْتُ ولا وَجْدَ عَجُولٍ أضَلَّها رُبَعُ

ولا كبير أضَلَّ ناقَتَه يَوْمَ تَوافَى الحَجيجُ واجتمعوا

يَنْظُرُ في أوْجُه الرِكَاب فلا يَعْرِف شيئا والوجْهُ مُلْتَمِع

جَلَّلْتُه صَارِمَ الحديدَة كالْ مِلْحِ وفيه سَفَاسِقٌ(1)[4] لُمَعُ

بَيْنَ ضُمَيْر وباب جِلّق في أثوابه من دمائه بَقَعُ

أضْرِبُه بَادِيًا نَوَاجِدُه يَدْعُو صَدَاهُ والرَّأس مُنْصَدِع

بَني قُمَيْر قَتَلْتُ سَيّدَكُم فاليومَ لاَرَنّة ولا جَزَع

فاليوم قُمْنا على السَوَاءِ فانْ تَجْوَوْا فَدَهْري ودَهْرُكم جُرَع

[4] (1) السفاسق جمع سفسقة بفتحتين أو كسرتين بينهما سكون فرند السيف وهى نقاط تلمع في صفائه

جَاوِرِينا واخْبُرِينا

قال يونُس كان رَجُلَانِ يَتَعَشّقَانِ امرأةً وكان أحَدُهما جَمِيلا وَسِيما وكان الآخر دَمِيما تَقْتَحِمه العَين فكان الجَميلُ منهما يقول عَاشِرِينا وانْظُري إلينا وكان الدَميم يقول جَاوِرِينا واخْبُرِينا فكانت تُدْنِي الجميل فقالت لأَخْتَبِرَنَّهُما فقالت لكل واحد منهما أن ينحر جَزُورًا فَأَتَتْهُما مُتَنكّرة فَبَدَأتْ بالجَميل فَوَجَدَتْه عند القدْر يَلْحَس الدَسَم ويَأكُلُ الشَحْم ويقول احتفِظوا كُلّ بَيْضَاءَ لِيَهْ يعني الشَحْم فاسْتَطْعَمَتْه فأمَرَ لها بِثِيل الجَزُور فَوُضِع في قَصْعَتها ثم أتَتْ الدَمِيم فاذا هو يَقْسِم لَحْم الجَزُور ويُعْطِي كُلّ مَنْ سأله فَسَأَلَتْه فأمَرَ لها بأطايِب الجَزُور فَوُضِع في قَصْتَها فَرَفَعَت الذي أعْطَاها كُل واحدٍ منهما على حِدَةٍ فلما أصْبحَا غَدَوْا إليها فَوَضَعَتْ بين يَدَىْ كُلِّ واحدٍ منهما ما أعْطَاها وأقْصَت الجَميل وقَرَّبت الدَميم ويقال انها تَزَوَجَتْه يُضْرَب في القَبيح المَنْظَر الجَميل المَخْبَر

الجَرْعُ أرْوَى والرَشيفُ أنقَعُ

الرَشْف والرَشيف المَصّ للماء والجَرْع بَلْع والنَقْع تَسْكين الماء للعَطش أي أنّ الشَّراب الذي يُتَرَشّف قليلا قليلا أقْطَعُ للعَطش وأنْجَع وان كان فيه بُطْء وقوله أروى أي أسْرَع رِيًّا وقوله أنْقع أي أثْبَت وأدْوَم رِيًّا من قولهم

سُمٌّ ناقع أي ثابِت يُضْرَبُ لِمَنْ يَقَع في غَنِيمة فَيُؤْمَرُ بالمُبَادَرَة والاقتِطاعِ لِمَا قَدَر عليه قبل أن يأتِيَه مَن يُنَازِعه وقيل معناه ان الاقتصاد في المَعِيشة أبْلَغ وأدْوَم من الإِسراف فيها

الجَارُ ثمَّ الدَّارُ

هذا كقولهم الرّفيق قبل الطَرِيق وكلَاهُما يُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو عُبَيد كان فُقَهاء أهل الشام يُحَدِّث بهذا الحديث ويقول معناه اذا أرَدْتَ شِراء دارٍ فَسَلْ عن جِوَارِها قبل شِرائها

حَسْبُكَ من شَرّ سَمَاعُه

أي اكْتَفِ من الشَرّ بسَمَاعه ولا تُعايِنْه ويجوز أن يُريد يَكْفيك سماعُ الشَرّ وان لم تُقْدِم عليه ولم تُنْسَب إليه قال أبو عبيد أخْبَرَني هشَام بن الكَلْبي أنّ المَثَل لأمّ الرَبيع ابن زِيَاد العَبْسِيّ وذلك أن ابْنَها الرَبيع كان أخذ من قيس بن زُهَير بن جَذِيمة دِرْعا فَعَرض قيس لأمّ الربيع وهى على رَاحِلتها في مَسِير لها فأرَادَ أنْ يَذْهب بها لَيرْتَهِنَها بالدّرْع فقالت له أيْن عَزَب عَنْك عَقْلُك يا قيس أتُرَى بَني زيَاد مُصَالِحيك وقد ذَهَبْت بأمّهم يَمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا أو شاؤُا وانّ حَسْبَك مِن شَرٍّ سَمَاعُه فَذَهَبَتْ كَلِمَتُها

مَثَلاً تقول كَفَى بالمَقَالَة عَارًا وان كان باطلا يُضْرَب عند العَارِ والمَقَالة السيّئة وما يُخَاف منها وقال بعض النساء الشواعر

سَائل بِنَا فِي قَوْمِنا وليَكْفِ مِن شَرٍ سَمَاعُهْ

وكان المُفَضّل فيما حُكِي عنه يَذْكُر هذا الحَديث ويُسَمِّي أمّ الرَبيع ويقول هى فاطمة بنتُ الخُرْشُب من بني أنْمار بن بَغِيض

حِلْمي أصَمُّ وأذني غَيْرُ صَمَّاءِ

أي أَعْرِض عن الخَنا بحِلْمي وان سَمِعْتُه بأذُني

حَسْبُكَ من غِنىً شِبَعٌ وَرِيّ

أي اقْنَعْ من الغِنى بما يُشْبعك ويُرْوِيك وجُدْ بما فَضَل وهذا المثل لامرئ القيس يَذْكر مِعْزًى كانت له فيقول

اذا ما لم تَكُنْ إبِلُ فَمِعْزًى كَأنّ قُرُون جلّتها العِصِيُّ

فَتَمْلأُ بَيْتَنا أقِطا وسَمْنا وحَسْبُك مِن غِنًى شِبَع ورِوىٌّ

قال أبو عبيد وهذا يحتمل معنيين أحدهما يقول أعطْ كلَّ ما كان لك وراءَ الشِبع والرِيّ والآخَرُ القَنَاعة باليسير يقول اكتف به ولا تَطْلُب ما سِوَى ذلك والاوّل الوَجْه لقوله في شِعْر له آخَرَ وهو

ولو أنّما أسْعَى لأدْنَى مَعيشة كفاني ولم أطْلُبْ قليلٌ من المال
ولكنّما أسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّل وقد يُدْرِك المَجْدَ المُؤَثَّلَ أمْثالي
وما المَرْء مادامَتْ حُشَاشَة نَفْسه بمُدْرِك أطْرَاف الخُطوبِ وَلَا آلِ

الحَديثُ ذو شُجُون

أي ذو طُرُق الواحد شَجْن بسكون الجيم والشَوَاجِن أوْدِيَةٌ كثيرة الشجَر الواحدة شَاجِنة وأصْل هذه الكلمة الاتصال والالتفاف ومنه الشجنة والشِجْنة الشَجَرة المُلْتَفّة الاَغْصان يُضرب هذا المثل في الحديث يُتَذَكَّر غَيْرُه وقد نظم الشيخ أبو بكر علي بن الحسين القِهِستاني هذا المَثَل ومَثَلا آخَرَ في بيت واحد وأحسَنَ ما شاء وهو

تَذَكَّرَ نَجْدًا والحَديث شُجُون فَجَنّ اشتياقا والجُنُون فُنُون

وأوّل مَن قال هذا المثل ضَبّة بن أدِّ بن طابِخَة بن الْيَاس بن مُضَرَ وكان له ابْنَانِ يُقال لأحَدِهما سَعْد وللآخَر سُعيد فَنَفَرت إبِل لِضَبّة تحت الليل فوجّه ابْنَيه في طَلَبها فَتَفَرّقا فَوَجَدَها سَعْد فَرَدَّها ومَضَى سُعَيد في طَلَبِها فلَقِيَه الحارث بن كَعْب وكان على الغلام بُرْدَانِ فسأله الحارث إيّاها فأبَى

عليه فَقَتَله وأخذ بُرْدَيْه فكان ضَبّة اذا أمسى فرَأى تَحْت الليل سوادًا قال أسَعْد أمْ سُعَيد فذهب قوله مثلا يُضْرب في النَجَاح والخَيْبة فمكَثَ ضَبَّة بذلك ما شاء الله أن يَمْكُث ثم انه حَجَّ فَوَافَى عُكَاظَ فَلَقِيَ بها الحارثَ بن كَعْب ورأى عليه بُرْدَى ابْنِه سُعَيد فعَرَفَهُما فقال له هل أنْتَ مُخْبِري ما هذان البُرْدَانِ اللّذان عليك قال بَلَى لَقِيتُ غُلَاما وهُمَا عليه فسألْتُه ايّاهُما فأبَى عَلَيّ فَقَتَلْتُه وأخَذْت بُرْدَيه هذين فقال ضَبّة بسَيفك هذا قال نعم فقال فأعْطِنِيه أنْظُر إليه فاني أظُنُّه صارِما فأعطاه الحارث سيفَه فلما أخَذَه من يَده هَزّه وقال الحديث ذُو شُجون ثم ضَرَبه به حتى قَتَله فقيل له يا ضَبّة أفِي الشَهْر الحرام فقال سَبَق السّيفُ العَذَل فهو أول من سارت عنه هذه الامثال الثلاثة قال الفرزدق

لا تأمَنَنَّ الحَرْبَ انّ اسْتعارَها كَضَبّة اذْ قال الحديث شُجُون

خطبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه يوم السَّقِيفة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيُّها الناس نحنُ المهاجرون أولُ الناس اسلاما وأكْرَمُهم أحْسابا وأوْسَطُهم دَارًا وأحْسَنُهُم وُجُوها وأكْثَر الناس وِلادَةً في العَرَب وأمَسُّهم رَحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسْلَمْنا قَبْلكم وقُدّمنا في القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى والسابِقون الاوّلون من المهاجرين والأنْصار الذين اتَّبَعُوهم

باحسان فنحن المهاجرون وأنتم الانصار اخْوانُنا في الدّين وشُرَكَاؤُنا في الْفَيء وأنْصَارُنا على العَدُوّ آويْتُمْ ووَاسَيْتُمْ فجزاكم الله خيرا فنحن الأُمَرَاء وأنتم الوُزَرَاء لا تَدِين العَرَب الّا لهذا الحَيّ من قريش فلا تَنْفَسُوا على اخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله

خطبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

أيُّها الناسُ من كان يَعْبُد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبدُ الله فان الله حَيٌّ لا يموت وان الله قد تَقَدّم إليكم في أمْرِه فلا تَدَعوه جَزَعا وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على عندكم وقَبَضه إلى ثوابه وخَلّف فيكم كِتَابَه وسُنَّةَ نبيه فَمَنْ أخَذَ بِها عُرِف ومَن فَرّق بينهما أنكر يأيُّها الذين آمنوا كُونُوا قَوَّامِين بالقِسْط ولا يَشْغَلَنّكُم الشَيطانُ بمَوْتِ نبيَكم ولا يَفْتِنَّنكم عن دينكم فعاجِلُوه بالذي تُعْجزونه ولا تَسْتَنْظِروه فيلحق بكم

عهد أبي بكر رضى الله عنه موته

مما رُوِى عنه رضى الله عنه حيث عَهِد عند موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه

وسلم عند آخِر عَهْده بالدُّنْيا وأوَّل عهده بالآخرة في الحال التي يُؤْمِن فيها الكافر ويَتَّقي فيها الفَاجِر انّي اسْتَعْمَلْتُ عليكم عُمَر بنَ الخطاب فان بَرَّ وعَدَلَ فذلك عِلْمِي به ورَأْيِي فيه وانْ جارَ وبَدَّل فلا عِلْم لي بالغَيْب والخَيْرَ أرَدْتُ ولِكُلّ امْرِئٍ ما اكْتَسَب وسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا أي مُنْقَلَب يَنْقَلِبُون

ومما يُؤْثر من هذه الآداب ويُقَدَّمُ قولُ عُمَر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في أول خُطْبَةٍ خَطَبَها قال العُتْبِي لم أر أقلَّ منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى حَمِدَ الله وأثْنَى عليه بما هو أهله وصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيُّها الناس انّه والله ما فيكم أحَدٌ أقْوَى عِندي من الضَعِيف حتى آخُذَ الحَقّ له ولا أضْعَفُ عندي من القَوِيّ حتى آخُذَ الحق منه ثم نَزَل

قال أبو الحَسَن قد رَوَينا هذه الخطبة التي عَزَاها إلى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح قال أبو العَبّاس ومِن ذلك رسالَتُه في القَضَاء إلى أبي موسى الأشْعَرِيّ وهى التي جَمَع فيها جُمَل الاحكام واخْتَصَرها بأجْوَد الكلام وجعل الناسُ بعدَه يَتَّخِذونها إماما ولا يَجِدُ مُحِقٌّ عنها مَعْدِلا ولا ظالِمٌ عن حدودِها مَحِيصا

رسالة عمر رضى الله عنه في القضاء لأبي موسى الأشعري

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عُمَر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس سلامٌ عليك أما بعد فانّ القضاء فريضة مُحكّمة وسُنّة مُتَّبَعة فافْهَمْ اذا أُدْلِيَ إليك فانّه لا يَنْفَع تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لا نَفاذَ له آسِ بين الناس في وَجْهك وعَدْلك ومَجْلِسك حتى لا يَطْمَع شَريف في حَيْفك ولا يَيْأس ضَعِيف مِن عَدْلك البَيّنةُ على من ادّعى واليمين على مَن أنكر والصُلْحُ جائز بين المسلمين الّا صُلْحًا أحَلّ حراما أو حَرَّم حلالا لايَمْنَعَنَّك قضاءٌ قَضَيْتَه اليومَ فَرَاجَعْت فيه عقلَك و هُدِيت فيه لرُشْدك ان تَرْجِع إلى الحَقّ فان الحَقّ قَدِيم ومُراجَعةُ الحق خيرٌ من التَمادِي في الباطل الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تَلَجْلَج في صَدْرك مما ليس في كِتاب ولا سُنَّة ثم اعْرِف الأشْياء والاَمْثال فَقس الامُور عند ذلك واعْمِد إلى أقْرَبِها إلى الله وأشْبَهِها بالحَقّ واجْعل لمن ادَّعى حَقّا غائِبا أو بَيّنَة أمَدًا يَنتهي إليه فان أحْضَر بَيّنَتَه أخَذْت له بحَقّه والّا اسْتَحْلَلْتَ عليه القَضِيّةَ فانه أنْفَى للشَكّ وأجْلى للعَمَى المسلمون عُدُول بعضُهم على بعض الّا مَجْلُودا في حَدّ أو مُجَرَّبا عليه شَهادةُ زُور أو ظَنِينا في وَلاءٍ أو نَسَب فان الله تَوَلَّى منكم السَرائر ودَرأ بالبَيّنات والأَيْمان وإياك والغَلَق والضَجَر والتَأذِّي بالخُصُوم والتَنَكُّر عند الخُصُومات فانّ الحَقّ في مَواطِن الحَقّ يُعْظِم اللهُ به الأجْر ويُحْسن به الذُّخْر فمن صَحَّت نيَّتُه وأقْبَل على نَفْسِه كفاهُ اللهُ ما بَيْنَه وبين الناس ومن تَخَلَّق للناس بما يَعْلم اللهُ أنَّه ليس مِن نَفْسه شانَه اللهُ فما ظَنُّك بثَوابِ غير الله عز وجل في عاجِل رِزْقه وخَزائن رَحْمَتِه والسلام

خطبة لسيدنا علي

تحدثَ ابنُ عائشة في اسنادٍ ذَكَره أنّ عليا رضى الله عنه انتهى إليه أنَ خَيْلا لمُعاوِية وَرَدَت الأنْبَار فَقَتَلوا عامِلًا له يقال له حَسَّان بن حسّان مُغْضَبا يَجُرّ ثَوْبَه حتى أتَى النُخَيْلَةَ واتَّبَعَه الناسُ فَرَقِى رَباوَةً من الارض فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجِهادَ بابٌ من أبواب الجنة فمن تَرَكَه رَغْبَةً عنه ألْبَسَه اللهُ الذُّلّ وسِيماءَ الخَسْف ودُيّث بالصّغار وقد دَعَوْتُكم إلى حَرْب هؤلاء القَوم ليلا ونهارا وسِرّا واعلانا وقلت لكم اغْزوهم مِن قَبْل أن يَغْزُوكم فو الذي نَفْسي بيده ما غُزِي قومٌ قَطُّ في عُقْر دارِهِمْ الَّا ذَلُّوا فَتَخَاذَلْتُمْ وتَوَاكَلْتُم وثَقُل عليكم قَوْلِي واتَّخَذْتُمُوه وراءكُم ظِهْرِيا حتى شُنَّت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد ورَدَت خَيْله الأنْبَار وقَتَلُوا حَسّان ابن حَسّان ورجَالا منهم كثيرا ونساء والذي نَفْسي بيده لقد بَلَغَني انه كان يُدْخَل على المرأة المسلمة والمُعاهَدة فتُنْتَزَع أحْجالهُما ورِعاثُهما ثم انْصَرَفوا مَوْفُورينَ لم يُكْلَمْ أحَدٌ منهم كَلْمًا فلو أنّ امْرَأ مسلما مات من دُون هذا أسَفًا ما كان عندِي فيه مَلُوما بل كان به عندي جَدِيرا يا عَجَبَا كُلّ العَجَب عَجَبٌ يُميت القَلْب ويَشْغَل الفَهْم ويُكْثر الأحْزَانَ مِن تَضَافُر هؤلاء القوم على باطِلِهم وفَشَلِكُمْ عن حَقّكم حتى أصْبَحْتُم غَرَضًا تُرْمَوْن ولا تَرْمُون ويُغار عليكم ولا تَغِيرون ويُعْصَى اللهُ عز وجل فيكم وتَرْضَوْن اذا قلت لكم اغْزُوهُمْ في الشّتاء قُلْتُم هذا أوان قَرٍّ وصِرّ وان قلت لكم اغزوهم في الصَيف قلتم هذا حَمَارَّة القَيظ أنْظِرْنا يَنْصَرِم الحَرُّ عَنَّا فاذا كنتم من الحَرّ والبَرْدْ تَفِرُّون فأنتم والله

من السَّيْف أفَرّ يا أشْباهَ الرّجال ولا رجال ويا طَغَام الاَحْلام ويا عُقُول رَبّات الحِجال والله لقد أفْسَدْتم عَلَيّ رأيِي بالعصْيان ولقد مَلَأْتُم جَوْفِي غَيْظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لا رَأْىَ له في الحَرْب لله دَرُّهُم ومن ذا يكون أعلم بها مِنّي أو أشَدّ لها مِراسا فو الله لقد نَهَضْت فيها وما بَلَغْت العشرين ولقد نَيّفْت اليومَ على السِّتّين ولكن لا رَأىَ لمن لا يُطاع يقولها ثلاثا فقام إليه رجُل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يُعْرَفان بابْنَيْ عَفيف من الانصار) فقال يا أميرَ المؤمنين أنَا وأخِي هذا كما قال الله تعالى رب إِنِّي لا أمْلِك الّا نَفْسي وأخِي فَمُرْنا بأمْرِك فو الله لَنَنْتَهِيَنّ إليه ولو حال بَيْنَنا وبينه جَمْرُ الغَضَى وشَوْك القَتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأيْنَ تَقَعان مما أريد ثم نَزَل

تواضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه

بَلَغ عُمَر بنَ الخطاب رضى الله عنه أنّ قَوْمًا يُفضِّلُونه على أبي بكر الصديق رضى الله عنه فوَثَبَ مُغْضبا حتى صعِد المِنْبر فحمد الله وأثْنَىَ عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيُّها الناس انِي سَأُخْبرِكم عَنِّي وعن أبي بكر انه لما تُوُفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارْتَدّت العَرَب ومَنَعَتْ شاتَها وبَعِيرهَا وأجْمَع رَأْيُنا كُلُّنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قُلْنا له يا خَلِيفة رسول الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُقَاتِل العَرَب بالوَحْي والملائكة يُمِدُّه اللهُ بهم وقد انْقَطَع ذلك اليومَ فالْزَم

بَيْتَك ومَسْجدَك فانه لا طاقةَ لك بقتال العَرب فقال أبو بكر الصديق أوَكُلّكم رأيُه على هذا فقلنا نَعَم فقال واللهِ لَأن أخِرّ من السماء فَتَخَطَّفَني الطيرُ أحَبُّ إليّ من أن يكون هذا رأيي ثم صعِد المنبرَ فحمِد الله وكَبَّرَه وصَلَّي على نبيّه صلى الله عليه وسلم ثم أقْبَل على الناس فقال أيُّها الناس مَن كان يعبدُ محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبُدُ الله فان الله حَيٌّ لا يموت أيها الناس أإنْ كَثُر أعداؤُكم وقَلَّ عددُكم رِكبَ الشيطان منكم هذا المَرْكَب والله لَيُظْهِرنّ اللهُ هذا الدينَ على الأدْيان كلِّها ولو كَرِه المشركون قولُه الحقُّ ووعْدُه الصِدْق بل نَقْذِفُ بالحق على الباطل فَيَدْمَغُه فاذا هو زاهِقٌ وكَمْ مِن فئةٍ قليلة غلَبَت فئةً كثيرةً باذن الله واللهُ مع الصابرين والله أيها الناس لو أُفْرِدْتُ من جميعكم لجاهَدْتُهم في الله حَقَّ جِهادِه حتى أُبْلِي بنَفْسي عُذْرًا أو أُقْتَلَ قَتْلًا والله أيها الناس لو مَنَعوني عقالا لجاهَدْتُهم عليه واسْتَغَنْتُ عليهم الله وهو خيرُ مُعِين ثم نَزَل فجاهد في الله حق جهاده حتى أذْعَنَت العَرب بالحق

وكتب أبو عُبَيْدة بن الجَرَّاح ومُعاذ بن جَبل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يَنصَحانه رضى الله تعالى عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب سلام عليك فانّا نَحْمَد إليك الله الذي لا اله هو (أما بعد) فانّا عَهِدناك وأمرْ نفسِك لك مُهِمّ فأصْبَحْتَ وقد وَلِيتَ أمْرَ هذه الأمّة أحْمَرِها وأسْوِدِها يَجْلِس بين يديك الصَديق والعَدوّ والشريف والوضيع ولكلٍّ حصَّةٌ من العدل فانْظُر كيف أنت ياعمر عند ذلك وانا نُحَذِّرُك يومًا تَعْنُو فيه الوجوه وتَجِب له القلوب وتَنْقَطِع فيه الحُجَج بحُجَّة مَلِكٍ قَهَرَهم بجَبَرُوته والخَلْقُ داخِرون له يَرْجُون رَحْمَتَه ويخافون عِقابَه وانّا كنّا نتحدّث انّ أمرْ هذه الأمّة يرجع في آخر زمانِها أن يكون إخْوان العَلانِية أعداءَ السَريرة وانّا نَعُوذ بالله أنْ تُنْزِل كِتابَنا سوى المَنْزِل الذي نَزَل من قلوبنا فانّا انما كَتَبْنا إليك نصيحةً لك والسلام فكتب إليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل سلام عليكما أحمد إليكما الله الذي لا اله الا هو (أما بعد) فقد جاءني كتابُكما تَزْعُمان أنه بَلَغَكما أنّي وَلِيتُ أمر هذه الأمّة أحْمَرِها وأسْوَدِها

يجلس بين يديّ الصديقُ والعدُوّ والشريف والوضيع وكتبتما أن انْظُر كيف أنتَ ياعُمَر عند ذلك وانه لا حول ولا قوة لِعُمر عند ذلك الا بالله كتبتُما تُحَذِّراني ما حُذِّرَت به الأُمَمُ قَبْلَنا وقديما كان اختلافُ الليل والنهار بآجال الناس يُقَرِّبانِ كلَّ بعيدٍ و يُبْلِيَان كلَّ جديد ويأتِيان بكلِّ موعود حتى يَصير الناسُ إلى منازِلِهم من الجنة أو النار ثم تُوَفَّى كلُّ نَفْس بما كسبت ان الله سريع الحساب كَتَبْتُما تَزْعُمان أنَّ أمْرَ هذه الأمّة يَرْجع في آخر زَمانِها أن يكون إخْوان العَلانِيَة أعْداءَ السَريرة ولَسْتم بذاك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمانُ ذلك حين تَظْهَر الرَغْبة والرَهْبة وكَتَبْتُما تَعُوذان بالله أن أنْزِل كتابكما مِنّي سِوى المَنْزِل الذي نَزَل مِن قلوبكما وانما كَتَبْتُما نصيحة لِي وقد صَدَقْتُما فَتَعَهَّد اني منكما بكتاب ولا غِنًى بِي عنكما والسلام عليكما

خطبة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

انّ لكلْ شئ آفة وان لكل نعمة عاهة وان آفة هذه الأمّة وعاهة هذه النعمة عَيَّابُون طَنَّانون يُظْهِرون لكم ما تُحِبُّون ويُسِرّون ما تَكْرَهون يقولون لكم وتقولون طَغام مِثْل النَعام يَتْبَعون أوَلَ ناعِق أحبّ مَوَارِدِهم إليهم النازح لقد أقْرَرْتم لابن الخطاب بأكثَرَ مما نَقَمْتُم عَلَيَّ ولكن وَقَمَكم وقَمَعكُم وزَجَرَكم زَجْرَ النَّعام المُخَزَّمة والله انِيّ لَأَقْرب ناصِرًا وأعَزّ نَفَرًا وأقْمَن ان قُلْتُ هَلُمّ أن تُجاب دَعْوَتي مِن عمرَ هل تَفْقِدون مِن حُقُوقكم شيئا فما لِي لا أفْعَل في الحَق ما أشاء اذاً فَلِمَ كُنْتُ إماما

ومن كلام سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام في التحريض على الحرب كان يقوله لاصحابه في بعض أيام صفّين

معاشرَ المسلمين استشعِروا الخَشْية وتَجَلْبَبوا السَكينة وعَضُّوا على النَواجِذ فانه أنْبَى للسُّيُوف عن الهَامِ وأكْملُوا اللّأْمّة وقَلْقِلُوا السيوف في أغْمادها قَبْلَ سَلّها والحَظُوا الخَزْر واطْعَنُوا الشَزْر ونافِحُوا بالظُبا وصِلُوا السُيوف بالخُطَا واعملوا أنكم بعَين الله ومع ابن عَمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعاوِدُوا الكَرّ واسْتَحْيُوا من الفَرّ فانه عارٌ في الأَعْقاب ونارٌ يومَ الحساب وطِيبُوا عن أنْفسُكم نَفْسا وامْشُوا إلى المَوْت مَشْيا سُجُحًا وعليكم بهذا السَواد الأَعْظم والرِواق المُطَنَّب فاضربُوا بثجَبَه فانّ الشيطان كامِنٌ في كِسْرِه قد قَدَّمَ للْوَثْبة يَدًا وأخَّر للنُّكُوص رِجْلا فصَمْدًا صَمْدًا حتى يَنْجَلي لكم عَمُود الحَقّ وأنْتُمُ الأَعْلَوْن والله مَعَكم ولن يَترِكُمْ أعْمَالَكُمْ

ومن كلام له عليه السلام

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال نَهَيْتَنا عن الحكومة ثم أمَرْتَنا بها فلم نَدْرِ أيّ الأَمْرَين أرْشَدَ فَصَفَق عليه السلام أحْدَى يَدَيْه على الأُخْرَى ثم قال هذا جَزَاءُ مَن تَرَكَ العُقْدة أمَا والله لَوْ أنّي حين أمَرْتُكُمْ بما أمرتكم به حَمَلْتُكم على المَكْرُوه الذي يَجْعل اللهُ فيه خَيْرا فان اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتكُم وان

اعْوَجَجْتُم قَوَّمْتُكم وان أبَيْتُم تَدارَكْتُكُمْ لكانت الوُثْقَى ولكن بمن وإلى من أُرِيد أنْ أداوِىَ بكم وأنتم دائي كناقِش الشوكّة بالشوكة وهو يعلم أنّ ضِلَعَها معها اللهم قد مَلَّتْ أطِبّاء هذا الداء الدَّوِي وَكَلَّتْ النَزَعَةُ بأشطان الرّكِي أينَ القومُ الذين دُعُوا إلى الاسلام فَقَبِلوه وقرؤا القرآن فأحْكَموه وهِيجُوا إلى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقاح إلى أوْلادها وسَلَبُوا السيوفَ أغْمادَها وأخَذوا بأطراف الارض زَحْفًا زَحْفًا وصَفًّا صَفًّا بَعْضٌ هَلَكَ وبَعْضٌ نَجَا لايُبَشَّرُون بالأَحْياء ولا يُعَزَّوْن بالمَوْتَى مُرْهُ العيون من البُكاء خُمْص البُطون من الصِيام ذُبْل الشِفاه من الدُّعاء صُفْرُ الألْوان من السَهَر على وجُوههم غَبَرَة الخَاشِعِين أولئك اخْواني الذاهُبون فَحقّ لنا أنْ نَظْمَأ إليهم ونَعَضّ الأيْدي على فِراقهم انّ الشيطانَ يُسَنّى لكم طُرُقَه ويُريد أن يَحُلّ دِينكم عُقْدَةً عقدة ويُعْطِيَكم بالجماعة الفُرْقة فاصْدِفُوا عن نَزَغاته ونَفَثاته واقْبَلوا النصيحة ممن أهْداها إليكم واعْقوها على أنْفُسِكم

ومن كلام له عليه السلام لعُمَرَ بن الخطاب
وقد استشاره في غَزْوة الفُرْس بنفْسه

انّ هذا الأمر لم يكن نَصْرُه ولا خِذْلانُه بكَثْرةٍ ولا قِلّة وهو دين الله الذي أظْهَرَه وجُنْدُه الذي أعَدّه وأمَدّه حتى بلغ ما بلغ وطَلَع حَيْثُما طَلَعَ ونحن على مَوْعود مِن الله واللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَه وناصِرٌ جُنْدَه ومكانُ القَيّم بالامر مكانُ النِظام مِنَ الخَرَز يَجْمعُه ويَضُمّه فاذا انْقَطع النِظام تَفَرّق الخَرَز وذهب

ثم لم يَجْتَمع بِحَذافِيره أبَدًا والعَرَبُ اليومَ وان كانوا قَليلا فَهُمْ كثيرون بالاسلام عَزِيزُون بالاجتِماع فكن قُطْبًا واسْتَدِر الرَّحَى بالعَرَب وأصْلِهِمْ دُونَك نارَ الحَرْب فانك ان شَخصْتَ من هذه الارض انْتَقَضَتْ عليك العَرَب من أطْرافِها وأقْطارِها حتى يكون ما تَدَع وراءَك من العَوْرات أهَمّ إليك مما بين يَدَيك انّ الاعاجم انْ يَنْظُروا إليك غَدًا يقولوا هذا أصل العرب فاذا قَطَعْتُمُوه اسْتَرَحْتُم فيكون ذلك أشدّ لِكَلَبهم عليك وطَمَعِهِم فيك فأمّا ما ذَكَرْت من مَسِير القوم إلى قتال المسلمين فانّ الله سُبحانه هو أكْرَه لِمَسِيرِهِم منك وهو أقْدَر على تَغْيير ما يَكْرَه وأمّا ماذَكَرْت من عَدَدِهم فانّا لم نكن نُقاتِل فيما مضى بالكثْرَة وانّما كُنّا نُقاتِل بالنَصْر والمَعُونة

ومن خطبةٍ له عليه السلام خَطَبها بصِفِّين

أما بعد فقد جَعَل اللهُ لِي عليكم حَقّا بولايَة أمْرِكم ولكم عَلَيّ من الحق مثل الذي لِي عليكم فالحَقّ أوسَع الاشياء في التَواصُف وأضْيَقُها في التَناصُف لايَجْرِي لأحدٍ الا جَرَى عليه ولا يَجْرِي عليه الّا جَرَى له ولو كان لأحد أنْ يَجْرِي عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خَلْقه لقُدْرته على عباده ولعَدْلِه في كل ما جَرَت عليه صُرُوفُ قَضائه ولكنه جَعَلَ حَقّه على العباد أن يُطيعوه وجَعَل جزاءَهم عليه مُضاعَفة الثَواب تَفَضُّلا منه وتَوَسُّعا بما هو من المَزِيد أهْله ثم جَعَل سبحانه من حُقوقه حُقُوقا افْتَرضَها لبعض الناس

على بَعْض فَجَعَلها تَتَكافَأ في وُجُوهها ويُوجِب بعضُها بعضا ولا يُسْتَوجَب بعضُها الّا ببعْض وأعْظُم ما اْفَتَرض سبحانه من تلك الحُقُوق حقّ الوالِي على الرّعِيّة على الوالي فريضة فرضها سبحانه لكلٍّ على كُلٍّ فَجَعَلها نِظاما لأُلْفَتِهم وعِزًّا لدينهم فليست تَصْلُح الرّعية الّا بصَلاح الوُلاة ولا تَصْلح الوُلاة الّا باستقامة الرَعيّة فاذا أدَت الرّعيّة إلى الوالي حَقَّه وأدَّى الوالي إليها حَقّها عَزَّ الحَقَّ بينهم وقامت مناهج الدّين واعْتَدَلَتْ معالِمُ العَدْل وجَرَت على أذْلالِها السُّنَنُ فَصَلَح بذلك الزمان وطُمِع في بقاء الدولة ويَئِسَتْ مَطامعُ الأعْداء واذا غَلَبَت الرّعيّةُ وإليها وأجْحَف الوالي برَعِيّته اخْتَلَفَتْ هنالك الكَلمة وظَهَرَت مَعالِمُ الجوْر وكَثُر الإدْغال في الدين وتُرِكَت مَحاجّ السُّنَن فعُمِل بالهَوى وعُطِّلت الأحكام وكثُرت عِلَل النُّفوس فلا يُسْتَوْحَش لِعظيم حقّ عُطِّل ولا لِعظيم باطل فُعِل فهنالك تَذلُّ الأبْرار وتَعِزّ الأشْرار وتَعْظُم تَبِعاتُ الله عند العباد فعليكم بالتَناصُح في ذلك وحُسْن التعاوُن عليه فليس أحد وان اشْتَدّ على رضاءِ الله حِرْصُه وطال في العمل اجتهادُه ببالغ حقيقة ما اللهُ أهلُه من الطَاعة ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جُهْدهم والتعاوُن على اقامة الحق بينهم وليس امْرُؤٌ وان عَظُمَت في الحق مَنْزلَتُه وتقدَّمت في الدِين فضيلته بِفَوْقَ أن يُعانَ على ما حَمَّله اللهُ من حَقّه ولا امْرُؤ وان صَغّرَتْه النُّفوس واقْتَحَمَتْه العُيون بدون أن يُعِينَ على ذلك أوْ يُعانَ عليه

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يُكْثِر فيه الثَناءَ عليه ويَذْكر سَمْعه وطاعتَه فقال عليه السلام انّ مِن حق مَن عَظُم جلالُ الله في نفسه وجَلَّ موضِعهُ من قَلْبِه أن يَصْغُر عنده لِعِظَم ذلك كلُّ ماسواه وانّ

أحَقّ مَن كان كذلك لَمَنْ عَظُمَتْ نِعمةُ الله عليه ولَطُفَ احسانُه إليه فانه لم تَعْظُم نعمةُ الله على أحد الا ازْداد حقُّ الله عليه عِظَما وان من أسْخَف حالاتِ الوُلاة عند صالح الناس أن يُظَنّ بهم حُبُّ الفخر ويُوضَعَ أمْرُهم على الكِبْر وقد كَرِهْتُ أن يكون جالَ في ظَنّكم أنيّ أُحِبّ الِاطْراء واستماعَ الثَناء ولَسْتُ بحَمْد الله كذلك ولو كنتُ أُحِبّ أن يقال ذلك لترَكْتُه انْحِطاطا لله سبحانه عن تَناوُل ما هو أحَق به من العَظَمة والكبرياء وربما اسْتَحْلَى الناسُ الثناءَ بعد البَلاء فلا تُثْنُوا عليّ بجميل ثَناءٍ لِإخْراجي نفسي إلى الله وإليكم من التَّقِيّة في حقوقٍ لم أفْرُغْ مِن أدائها وفرائضَ لابُدّ من إمْضائِها فلا تُكَلّمُوني بما تُكَلَّم به الجَبابرة ولا تتحفَّظوا منّي بما يُتَحَفَّظ به عند أهل البادرة ولا تُخالِطوني بالمُصانعة ولا تَظُنُّوا بِي استثقالا في حقٍ قيل لي ولا الْتِماس إعْظامٍ لنفسي فانه مَن اسْتَثْقَل الحقّ أن يقال له أو العَدلَ أن يُعْرَض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تَكُفّوا عن مقالةٍ بحق أو مَشُورة بعَدْل فانيّ لَسْت في نفسي بفَوْقَ أنْ أُخْطِئ ولا آمَنُ ذلك مِن فِعلي الّا أن يَكفِيَ اللهُ مِن نفسي ما هو أمْلَك به مني فانما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لَربٍّ لاَرَبَّ غيره يَملِك مِنّا مالا نملَك من أنفسِنا وأخْرَجَنا ممّا كُنّا فيه إلى ما صَلَحْنا عليه فأبْدَلَنا بعد الضلالة بالهُدى وأعطانا البصيرة

ومن وصية له عليه السلام وصَّى بها

جيشا بعثه إلى العدوّ

فاذا نَزَلْتم بعَدُوٍ أو نزَل بِكُم فليكُن مُعَسْكَرُكُم في قَبيل الأشْراف وسفاح الجبال أو أثْناء الانْهار كَيْما يكون لكم رِدْءا ودونَكُم مَرَدًّا ولْتَكُنْ مُقاتَلَتكُم من وجهٍ واحدٍ أو اثنين واجعلوا لكم رُقَباء في صَياصي الجبال ومنَاكب الهِضاب لئلا يأتِيَكم العدوّ من مكانِ مخافةٍ أو أمْنٍ واعلموا أنّ مُقدّمة القوم عيونُهم وعيونُ المقدّمة طَلائعُهم وايّاكم والتَفَرُّق فاذا نَزَلتم فانزِلوا جميعا واذا ارْتَحلْتم جميعا واذا غَشِيَكم الليلُ فاجعلوا الرماح كَفّة ولا تَذُوقوا النَوْمَ الّا غِرارًا أو مَضْمضة

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكَرْنا هنا جُمَلا منها ليُعْلَم بها انه كان يقيم عِماد الحق ويَشْرَع أمثلةَ العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها

انْطَلق على تَقْوَى الله وحده لا شريك له ولا تَرُوعَنّ مسلما ولا تَجْتازَنّ عليه كارِها ولا تَأخُذَنّ منه أكثَر من حق الله في مالِه فاذا قَدِمْتَ على الحيِّ فانْزِلْ بمائهم من غير أن تُخالِطَ أبياتَهم ثم امْضِ إليهم بالسكينة الوَقار حتى تقومَ بينهم فتسَلّم عليهم ولا تَخْدِج بالتحية لهم ثم تقول عبادَ الله أرْسَلَني إليكم وليُّ الله وخليفتُه لِآخُذَ منكم حق الله في أموالكم فهل لله أموالكم من حق فَتُؤَدُّوه إلى وَليّه فان قال قائل لا فلا تُراجعْه وان أنْعَمَ لك مُنْعِمٌ فانْطَلِق معه من غير أن تُخيفَه وتُوعِدَه أو تَعْسِفه أو تُرْهِقه فَخُذْ ما أعْطالك

من ذهبٍ أو فضة فان كان له ماشِية أو إبِل فلا تَدْخُلْها الا باذنه فانّ أكْثَرَها له فاذا أتَيْتَها فلا تَدْخُل عليها دُخولَ مُتَسَلِّطٍ عليه ولا عَنيف به ولا تُنَفِّرَنّ بهيمة ولا تُفْزِعَنَّها ولا تَسوءنّ صاحبَها فيها واصْدَع الباقي صَدْعَين ثم خَيِّره فاذا اخْتار فلا تَعَرَّضَنّ لما اختارَه ثم اصْدَع الباقي صَدْعين ثم خَيِّره فاذا اختار فلا تَعَرَّضَنّ لما اخْتاره فلا تَزال بذلك حتى يبْقَى ما فيه وَفاءٌ لحق الله في مالِه فاقبِضْ حق الله منه فان اسْتَقالَك فأقِلْه ثم اخْلِطْهما ثم اصْنع مِثْل الذي صَنعْت أوّلا حتى تأخذ حق الله في مالِه ولا تأخُذَنّ عَوْدا ولا هَرِمة ولا مكسورةً ولا مَهْلوسة ولا ذاتَ عَوارٍ ولا تَأمَنَنَّ عليها الّا مَن تَثِق بِدينِه رافِقا بمال المسلمين حتى يُوَصّلِه إلى وَلِيّهم فيَقْسمه بينهم ولا تُوَكِّلْ بها إلّا ناصِحا شفيقا وأمينا حفيظا غيرَ مُعَنّف ولا مُجْحف ولا مُلْغِب ولا مُتْعِب ثم احْدُه إلينا ما اجْتَمَع عندك نُصَيّرْهُ حيثُ أمَرَ اللهُ فاذا أخَذَها أمينُك فأوْعِزْ إليه أن لا يَحُول بيْن ناقةٍ وبين فَصيلها ولا يَمْصُر لَبَنهَا فَيَضُرّ ذلك بوَلَدِها ولا يَجْهَدَنَّها رُكوبًا ولْيَعْدِل بيْن صَواحِباتها في ذلك وبيْنَها وليُرفّه على اللاغِب ولْيَسْتَأْنِ بالنَّقِب والظالِع ولْيُورِدْها ما تَمُرُّ به من الغُدُر ولا يَعْدِل بها عن نَبْت الارض إلى جَوَادّ الطُرُق ولُيَرَوِّحْها في الساعات ولُيمْهلها عند النِطاف والأعْشاب حتى تأتينَا باذن الله بُدْنا مُنْقِياتٍ غير مُتْعَبَاتٍ ولا مجهودات لنَقْسِمَها على كتاب الله وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله فان ذلك أعظم لِأجْرك وأقْرَب لرُشْدك ان شاء الله

وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا أيُّها الذّامُّ للدُّنْيا المُغْتَرّ بغُرُورها المَخْدوع بأبَاطِيلِها ثم تَذُمّها أتَغْتَرّ بالدُّنْيا ثم تَذُمّها أنْتَ المُتَجَرّم عليها متى اسْتَهْوَتْكَ أمْ متى غَرَّتْك أبمِصَارِع آبائك من البِلَى أم بمَضَاجِع أمَّهاتِك تَحْتَ

الثَّرَى كم عَلَّلْت بكَفَّيْك وكم مَرَّضْتَ بِيَدَيْك تَبْغِي لهم الشِفَاء وتَسْتَوْصِف لهم الأطِباء لم يَنْفَع أحَدَهم إشْفَاقُك ولم تُسْعَف بطَلِبتَك ولم تَدْفَع عنه بقُوَّتك قد مَثَّلَت لك به الدُّنْيا نَفْسَك وبمَصْرَعه مَصْرَعَك انّ الدُّنْيا دَارُ صِدْق لِمَن صَدَقها ودارُ عافِيَةٍ لِمَن فَهِم عنها ودارُ غِنًى لمن تَزَوَّدَ منها ودارُ مَوْعِظَةٍ لمن اتَّعَظَ بها مَسْجد أحِبّاء الله ومُصَلِّى ملائكة الله ومَهْبَط وَحْي الله ومَتْجَرُ أولياء الله اكْتَسَبُوا فيها الرَحْمة ورَبِحوا فيها الجَنّة فَمنْ ذا يذَمُّهُا وقد آذَنَتْ بِبَيْنِها ونادَتْ بفراقها ونَعَتْ نَفْسَهَا وأهْلَها فَمَثَّلتْ لهم بِبَلائِها البَلاء وشَوّقَتْهم بسُرُورِها إلى السُّرُوُر راحَتْ بِعَافِية وابْتَكَرَتْ بفَجيعة تَرْغِيبا وتَرْهِيبا وتَخْوِيفا وتَحذيرا فَذَمَّها رِجالٌ غَدَاةَ النَدَامَة وحَمِدها آخُرون يوم القيامة ذَكَّرَتْهم الدُّنْيا فَتَذَكَّروا وحَدَّثَتْهم فَصَدَّقوا ووَعَظَتْهم فاتَّعَظُوا

عهد أمير المؤمنين الامام علي كرم الله وجهه ورضى عنه للاشْتر النَخعي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمَرَ به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارِث الاشْتَر في عَهْده حين ولَّاه مِصْر جِبايَةَ خَرَاجِها عَدُوِّها وإصْلاحَ أهْلِها وعِمارَة بلادها أمَرَه بتَقْوَى الله وايثَار طاعَته واتّبِاع ما أمَر به في كتابه مِن فرائضه وسُنَنه التي لا يَسْعَد الاّ باتّباعها ولا يَشْقَى الا مع جُحُودها واضَاعَتِها أنْ يَنْصُر الله

سبحانه بِيَدِه وقَلْبه ولسَانه فانه جلّ اسْمُه قد تَكَفَّل بنَصْر مَن نَصَره وإعْزازِ مَن أعَزّه وأمَرَه أن يَكْسِر من نفسه عند الشَهَوات ويَزَعَها عند الجَمحَات فانّ النَفْسَ أمّارَةٌ بالسُوء إلّا ما رَحِم اللهُ ثم اعْلَمْ يا مالُك أنيّ قد وَجَّهْتُك إلى بلاد قد جَرَتْ عليها دُوَلٌ قبلك من عَدْلٍ وجَوْرٍ وأن الناس يَنْظُرون من أمُورِك في مُثْل ما كُنْتَ تنظر فيه من أمور الوُلَاة قبلك ويقولون فيك كما كُنْتَ تقول فيهم وانما يُسْتَدَلّ على الصالحين بما يُجْري الله لهم على ألْسِنَة عباده فَلْيَكُنْ أحَبّ الذَخائِر إليك ذَخيرة العَمَل الصالح فامْلِك هَوَاك وشُحّ بنفسك عَمّا لا يَحِلّ لك فانّ الشُحّ بالنفس الانصاف منها فيما أحَبَّتْ أو كَرِهَتْ وأشْعِر قلبَك الرَّحْمَة للرَّعِيّة والمَحَبّة لهم واللُّطْف بهم ولا تكونَنّ عليهم سَبُعًا ضارِيًا تَغْتَنِمُ أكْلَهم فانهم صِنْفانِ إمّا أخٌ لك في الدِّين وإمّا نظيرٌ لك في الخَلْق يَفْرُط منهم الزَّلَل وتَعْرِض لهم العِلَل ويُؤْتَى على أيديهم في العَمْد والخَطَأ فأعْطهم من عفْوك وصَفْحك مِثْل الذي تُحِبّ وتَرْضَى أن يُعْطيَك اللهُ من عفْوه وصَفْحه فانك فَوْقَهم ووَالِي الأمْرِ فَوْقَك واللهُ فوق مَن ولّاك وقد اسْتَكْفَاك أمْرَهُم وابْتَلاك بهم ولا تَنْصِبَنّ نَفْسَك لحَرْب الله فانه لايَدَىْ لك بنقْمته ولا غِنًى بك عن عفوه ورحمته ولا تَنْدَمَنّ على عفو ولا تَبَجَّحَنّ بعُقوبه ولا تُسْرِعَنّ إلى بادِرَة وجَدْت عنها مَنْدوحة ولا تقولَنّ اني مُؤَمَّرٌ آمر فأُطاع فان ذلك إدغْال في القلب ومَنْهَكة للدِّين وتَقَرُّبٌ من الغيرَ واذا أحْدَث لك ما أنتَ فيه من سُلْطانك أبَّهَةً أو مَخِيَلةً فانظر إلى عِظَم مُلْك الله فَوْقك وقُدْرته منك على ما لا تَقْدِر عليه من نفسك فان ذلك يُطامِن إليك من طِماحك ويكُفّ عنك من غَرْبك ويُفئ إليك بما عَزَب عنك من عَقْلك واياك ومُسَاماة الله في عَظَمته والتَشَبُّه به

في جَبَرُوته فان الله يُذِلّ كُلَّ جَبّار ويُهين كّلّ مُخْتال أنْصِفِ الله وأنصف الناسَ من نفسك ومن خاصّة أهلك ومَن لك فيه هَوًى من رَعيَّتك فانك ان لا تَفْعَلْ تَظْلِمْ ومن ظَلَم عبادَ الله كان اللهُ خَصْمه دون عبَاده ومن خاصَمَه اللهُ أدْحَضَ حُجَّتَه وكان لله حَرْبا حتى يَنْزِع ويَتُوب وليس شئ أدْعَى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقْمته من اقامة على ظُلْم فان الله سَميعٌ دعوةَ المظلومين وهو للظالمين بالمِرْصاد ولْيَكُنْ أحَبَّ الامور إليك أوْسَطها في الحق وأعَمّها في العَدْل وأجْمَعها لرِضَا الرعيَّة فان سُخْط العامّة يُجْحِف برِضا الخاصّة وانّ سُخْط الخاصّة يُغْتَفَر مع رِضَا العامّة وليس أحَدٌ من الرعية أثْقَل على الوالي مَؤُنَةً في الرَخاء وأقَلّ مَعُونَة في البَلاءْ وأكْرَه للأنْصاف وأسْأل بالالْحاف وأقَلّ شُكْرا عند الإعْطَاء وأبْطَأ عُذْرا عند المَنْع وأخَفّ صَبْرا عند مُلِمّات الدَهْر من أهْل الخاصَّة وانما عِمَاد الدين وجماع المسلمين والعُدّةُ للاَعْدَاء العامّةُ من الأمّة فليكُن صَفْوُك لهم ومَيْلُك معهم ولْيَكُن أبْعَدَ رَعيّتك منك وأشْنأَهم عندك أطْلَبهم لِمَعايب الناس فانّ في الناس عُيُوبا الوالي أحَقّ مَن سَتَرَها فلا تَكْشِفن عما غاب عنك منها فانما عليك تَطْهير ما ظهر لك واللهُ يَحْكُم على ما غاب عنك فاسْتُر العَوْرَة ما اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ الله منك ما تُحِبّ سَتْرَهُ من رعيّتك أطْلقِ عن الناس عُقْدَة كُلّ حِقْدٍ واقْطَع عنك سببَ كِلَ وَتْر وتَغَابَ عن كل مالا يَصحُّ لك ولا تَعْجَلَنّ إلى تصديقِ ساع فان الساعي غاشّ وان تَشَبَّه بالنَّاصحين ولا تُدْخِلَنّ في مَشُورَتِك بَخيلا يَعْدِل بك عن الفضل ويَعِدُك الفَقْر ولاجَبانًا يُضْعِفك عن الامور ولا حَريصا يُزَيّن لك الشَرَةَ بالجَوْر فانّ البُخْل والجُبْن والحِرْص غَرَائز شَتَّى يَجْمَعُهما سوءُ الظّنّ بالله انّ شَرّ وُزَرَائك مَن كان قبلَك

للاَشْرَار وَزيرا ومن شَرِكَهُمْ في الآثام فلا يكونَنّ لك بِطانة فانهم أعْوان الأثَمَة واخْوان الظَلَمة وأنت واجِدٌ منهم خَيْر الخَلَف ممن له مِثْل آرائهم ونَفَاذهم وليس عليه مِثْل آصارِهم وأوْزَارِهِم ممن لا يُعاوِن ظالِما على ظُلْمه ولا آثما على اثْمه أولئك أخَفّ عليك مَؤُونَةً وأحْسَنُ لك مَعُونة وأحْنَى عليك عَطْفا وأقَلّ لغيرك إلْفا فاتَّخِذْ أولئك خاصَّةً لِخَلَواتِك وحَفَلَاتك ثم لِيَكُن آثَرَهُم عندك أقْوَلُهم لك بِمُرِّ الحَقّ وأقَلُّهم مساعدة فيما يكون منك مما كَرِه اللهُ لأوْلِيائه واقِعًا ذلك من هَواك حيث وَقَعَ والْصَقْ بأهل الورعَ والِصّدْق ثم رُضْهُمْ على أن لا يُطْرُوك ولا يُبَجّحوك بباطل لم تَفْعَله فان كَثْرة الاِطْراء تُحْدِث الزَهْو وتُدْني من العِزَّة ولا يكونَنّ المُحسِن والمُسِئ عندك بمَنْزلة سَواء فانّ في ذلك تَزْهيدا لأهْل الاحسان في الاحسان وتَدْريبا لأهل الاساءة على الاساءة وألْزِم كُلاً منهم ما ألْزَم نفسه واعْلَمْ أنه ليس شئ بأدْعَى إلى حُسْن ظنّ وَالٍ برَعيّته من احْسانِه إليهم وتَخْفيفه المَؤُونات عليهم وتَرْك استِكْرَاهِه إيَّاهُم على ما ليس له قِبَلَهم فَلْيَكُنْ منك في ذلك أمْر يَجْمَع لك حُسْن الظَنّ بِرَعيّتك فانّ حُسْن الظَنّ يَقْطَع عنك نَصَبا طويلا وانّ أحَقّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّك به لمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُك عنده وانّ أحَقّ من ساءَ ظَنُّك به لمَنْ ساءَ بلاؤك عنده ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صالِحَة عَمل بها صُدُور هذه الأُمّة واجْتَمَعَتْ بها الألْفة وصَلَحَتْ عليها الرعية ولا تُحْدِثَنّ سُنَّة تَضُرّ بشئ مما مضى من تلك السُّنَن فيكون الأجْرُ لِمَن سَنَّها والوِزْر عليك بما نَقَضْتَ منها وأكْثِر مُدَارسة العُلَماء ومناقشة الحُكماء في تَثْبيت ما صَلَح عليه أمْر بلادك واقامة ما اسْتَقام به الناس قَبْلك واعْلَم أنّ الرعية طبقات لا يصلُح بعضُها الّا ببعض ولا غنًى ببعضها عن بعض فمنها جُنودُ الله

ومنها كتَّاب العامّة والخاصة ومنها قُضَاةُ العدل ومنها عُمّال الانصاف والرِفْق ومنها أهلُ الجزْية والخَرَاج من أهل الذمّة ومُسْلِمة الناس ومنها التجَّار وأهلُ الصِناعات ومنها الطَبَقة السُفْلَى من ذَوى الحاجة والمَسْكَنة وكُلًّا قد سَمَّى اللهُ سَهْمَه ووضَع على حَدّه فريضةً في كتابه أو سُنَّة نبيه صلى الله عليه وآله عَهْدًا منه عندنا محفوظا فالجُنود باذن الله حُصُون الرعية وزَيْن الوُلاة وعِزّ الدين وسُبلُ الأمْن وليس تَقوم الرعية الّا بهم ثم لاقِوامَ للجُنود الّا بما يُخْرِج الله تعالى لهم من الخَرَاج الذي يَقْوَوْن به في جِهاد عَدُوِّهم ويعتمدون عليه فيما يُصْلِحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قِوامَ لهَذَيْن الصِنفين الا بالصِّنْف الثالث من القُضَاة والعُمّال والكتَّاب لمَا يُحْكِمون من المَعَاقِد ويَجْمَعون من المنافع ويُؤْتَمَنون عليه من خَواصّ الامور وعَوَامّها ولا قِوامَ لهم جميعا الا بالتّجّار وذَوي الصّناعات فيما يجتمعون عليه من مَرَافِقهم ويُقيمونه من أسْواقهم ويكْفُونهم من التَّرَفّق بأيْديهم ما لا يَبْلُغ رفْق غيرهم ثم الكبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يَحُقُّ رِفْدُهم ومَعُونتهم وفي الله لكُلٍّ سَعَةٌ ولكُلٍّ على الوالي حَقّ بِقَدْر ما يُصْلِحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألْزَمه اللهُ من ذلك الّا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نَفْسه على لزومه الحقّ والصبر عليه فيما خَفّ عليه أو ثَقُل فَوَلّ من جُنودك أنْصَحَهم في نَفْسك لله ولرسوله ولامامِك وأطْهَرَهُمْ جَيْبًا وأفْضَلَهم حِلْما ممن يُبْطِئ عن الغضب ويَسْتَريح إلى العُذْر ويَرْأفُ بالضُعَفاء ويَنْبُو على الاَقْوِياء ممن لا يُثِيره العُنْف ولا يَقْعُد به الضّعْف ثم الْصَقْ بذوِي الْمُرُآت والاَحْساب وأهل البُيوتات الصالحة والسوابق الحَسَنة ثم أهل النَجْدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم

جِماعٌ من الكَرَم وشُعَب من العُرْف ثم تَفَقّد من أمورهم ما يتفَقّده الوالِدانِ من ولدهما ولا يتفَاقَمَنّ في نفسك شئ قَوّيْتَهم به ولا تَحْقِرَنّ لُطْفا تتعاهَدهُم به وان قَلّ فانّه داعِيةٌ إلى بَذْل النَصيحة لك وحُسْن الظَنّ بك ولا تَدَع تَفَقُّد لطيف أمورهم اتّكالا على جَسِيمها فلن لليَسير مِن لُطْفك مَوْضِعا يَنْتَفِعُون به ولِلْجَسِيم مَوْقِعًا لا يَسْتَغْنُون عنه وليكن آثَرَ رؤوس جُنْدِك عندك مَن وَاساهُمْ في مَعُونته وأفْضَل عليهم مِن جِدَتِه بما يَسَعُهم ويَسَع من وراءهم مِن خُلُوف أهْلِهم حتى يكون هَمُّهم هَمًّا واحدا في جِهاد العدوّ فان عَطْفَك عليهم يُعَطّف قُلُوبَهم عليك وان أفْضَل قُرّة عين الوُلاة اسْتِقامة العَدْل في البلاد وظُهُورا مَوَدّة الرَّعيّة وانه لا تَظْهر مَوَدّتُهم الا بسلامة صدروهم ولا تَصِحّ نصيحتهم الا بِحِيطتهم على وُلاة أمورهم وقِلّة استِثقال دُوَلِهم وتَرْك استِبطاء انقطاع مُدّتهم فافْسَحْ في آمالهم وواصِل في حُسْن الثَنَاء عليهم وتَعْديد ما أبْلَى ذوو البلاء منهم فانّ كَثْرَةَ الذِكر لِحُسْن فعَالِهم تَهُزّ الشُجاع وتُحَرّضُ الناكِلَ ان شاء اللهُ تعالى ثم اعْرِف لِكُلّ امْرِئ منه ما أبْلَى ولا تُضيفَنّ بلاءَ امرِئ إلى غيره ولا تُقَصّرَنّ به دون غاية بلائه ولا يَدْعُونّك شَرَفُ امرئ إلى أن تُعَظِّم من بَلائه ما كان صغيرا ولا ضَعَةُ امرئ أنْ تَسْتَصْغِر من بَلائه ما كان عظيما وارْدُدْ إلى الله ورسوله ما يُضْلِعك من الخُطوب ويَشْتَبِه عليك من الأمور فقد قال سبحانه لِقَوْم أحَبَّ ارْشادَهم (يأيها الذين آمنوا أطِيعوا اللهَ وأطِيعوا الرسولَ وأُولِي الأمْر منكم فان تَنَازَعْتُمْ في شئ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرسول) فالرَّدُّ إلى الله الأخذ بمُحْكَم كتابه والرَّدُ إلى الرسول الأخْذ بسُنَّته الجامعية غيَرَ المُفَرَّقه ثم اخْتَرْ لِلْحُكْم بين الناس أفْضَل رَعيّتك في نَفْسك ممَّن لا تَضِيق به الامور ولا

تُمَحِّكُه الخُصُوم ولا يَتَمادى في الزَّلة ولا يَحْصَر عن الفَيْءِ إلى الحَقّ اذا عَرَفه ولا تُشْرِف نَفْسُه على طَمَع ولا يَكْتَفِي بأدْنىَ فَهْم دون أقصاه أوْقَفَهم في الشُبُهات وآخَذَهم بالحُجَج وأقَلَّهم تَبَرُّما بمراجعة الخَصْم وأصْبَرَهم على تَكْشيف الأُمور وأصْرَمَهم عند اتّضاح الحُكم ممن لا يَزْدَهِيه إطرَاء ولا يَسْتَمِيله اغْراء وأولئك قَلِيل ثم أكْثِرْ تَعاهُد قَضائه وافْسَح له في البَذْلِ ما يُزيح علَّته وتَقلّ معه حاجَتُه إلى الناس وأعْطه من المنزلة لدَيكَ مالا يَطْمَع فيه غيرُه من خاصتِك لتأمن بذلك اغتِيال الرِجال له عِندَك فانْظُر في ذلك نَظَرا بَلِيغا فانّ هذا الدِّين قد كان أسيرا في أيْدي الاشْرار يُعْمل فيه بالهَوى وتُطْلب به الدُّنيا. ثم انْظُرْ في أمُور عُمَّالِك فاستَعْمِلْهُم اخْتبارًا ولا تُوَلِّهِم مُحاباةً وأثَرَةً فانهم جِماعُ من شُعَب الجَوْر والخِيانة وتَوَخَّ منهم أهل التَجْربة والحَياء من أهل البيُوتات الصالحة والقِدَم في الاسْلام فانهم أكْرَمُ أخْلاقا وأصَحّ أعْراضا وأقَلّ في المطامع اشرَافًا وأبلغُ في عواقِب الأمور نَظَرًا ثم أَسْبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوّةٌ لهم على اسْتِصْلاح أنْفُسِهم وغِنًى لهم عن تَناوُلِ ما تحت أيْديهم وحُجّة عليهم ان خالَفُوا أمْرَك أو خانُوا أمانَتَك ثم تَفَقَّدْ أعمالَهم وابْعَث العُيُون من أهل الصِدقْ والوفاء عليهم فانّ تَعاهُدك في السّر لأمورهم حَدْوةٌ لهم على اسْتعمال الامَانة والرِفْق بالرَّعِيّة وتَحَفّظ من الاعوان فانْ أحدٌ منهم بَسَط يَدَه إلى خِيانة اجْتَمَعَتْ بها عليه عندك أخْبار عُيُونك اكْتَفَيْتَ بذلك شاهدًا فَبَسَطْتَ عليه العُقُوبة في بَدَنه وأخَذْتَه بما أصابَ من عملِه ثم نَصَبْتَه بمقام المَذلّة ووَسَمْته بالخِيانة وقَلَّدتَه عارَ التُّهَمَة. وتَفَقَد أمر الخَرَاج بما يُصْلح أهلَه فان في صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن سِواهم ولا صَلاحَ لمن سِواهم الّا بهم لان الناس كُلّهم عيالٌ

على الخَرَاج وأهْلِه وليكن نظرُك في عمارة الارض أبْلَغَ من نَظَرك في اسْتجْلاب الخَراج لأن ذلك لا يُدْرَك الّا بالعمارة ومَن طلبَ الخرَاج بغير عمارة أخْرَب البلادَ وأهلك العِباد ولم يَسْتَقم أمْرُه الّا قَليلا فانْ شَكَوْا ثِقَلًا أو عِلّة أو انْقطاع شِرْبٍ أو بالَّةً أو احالةَ أرض اغْتَمَرها غَرَقٌ أو أحْجَف بها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عنهم بما تَرْجو أن يَصْلُح به أمْرُهم ولا يَثْقُلَن عليك شئٌ خَفَّفْت به المُؤونة عنهم فانه ذُخءر يَعُودون به عليك في عِمارة بَلَدِك وتَزْيين ولايَتِك مع استجلابك حُسْنَ ثنائهم وتَبَجُّحك باستفاضة العَدْل فيهم مُعْتمدًا فَضْلَ قُوَّتهم بما ذَخَرْت عندهم من اجْمامِك لهم والثِقة منهم بما عَوّدْتَهم من عَدْلك عليهم في رِفْقك بهم فربما حَدَث من الأمور ما اذا عُوّلَ فيه عليهم من بَعْدُ احْتَمَلُوه طَيّبَة أنْفُسُهُم به فان العُمْران يَحْتمِل ما حَمَّلْته وانما يأتي خَراب الارض من اعْواز أهْلِها وانما يُعوْز أهْلُها لإِشْراف أنْفُس الوُلاة على الجمع وسُوء ظَنّهِم بالبَقاء وقلّة انتِفاعِهم بالعِبرَ. ثم انْظُر في حال كُتّابك فَوَلِّ على أمُورِك خَيْرَهم واخْصُصْ رَسائلَك التي تُدْخل فيها مكائدَك وأسرارَك بأجمعِهم لوُجوه صالح الاخْلاق ممن لا تُبْطره الكَرامة فَيَجْتَرئ بها عليك في خِلافٍ لك بحَضْرة مَلأ ولا تُقَصِّر به الغَفْلة عن ايراد مكاتَبات عُمّالِك عليك واصدار جَواباتِها على الصَواب عنك فيما يأخُذُ لك ويُعْطى منك ولا يُضْعِف عَقْدًا اعْتَقَده لك ولا يَعْجِز عن اطلاق ما عُقد عليك ولا يَجْهَل مَبْلَغ قَدْر نفسه في الأمور فان الجاهل بقَدْر نفْسه يكون بقدر غيره أجْهلَ ثم لا يكن اختيارُك ايّاهم على فِراستك واستنامتك وحُسْن الظن منك فانّ الرجال يَتَعَرَّفون لِفِراسات الوُلاة بتصَنُّعِهم وحُسن خِدمتهم وليس وراءَ ذلك من النصيحة والأمانة شئ

ولكن اخْتَبِرْهم بما وَلُوا للصالحين قَبْلك فاعْمد لِأحْسنِهم في العامّة أثَرًا وأعْرَفِهم بالآمانة وَجْهًا فان ذلك دليلٌ على نصيحتك لله ولمن وَليتَ أمْرَه واجعل لرأس كلٍّ من أمورك رأسا منهم لا يَقْهَره كبيرُها ولا يَتَشتَّت عليه صغيرُها ومهما كان في كُتّابك من عَيب فَتَغابَيْتَ عنه الْزِمْتَه. ثم اسْتَوْص بالتجّار وذَوي الصناعات وأوْصِ بهم خيرا المُقيم منهم والمُضْطرِب بمالِه والمُتَرَفّق ببَدنه فانهم مَوادّ المنافع وأسباب المَرَافق وجُلَّابُها من المَباعِد والمَطارِح في بَرِّك وبَحْرِك وسَهْلك وجَبَلك وحيث لا يَلْتَئم الناسُ لمواضعِها ولا يَجْتَرؤون عليها فانهم سِلْمٌ لا تُخَافُ بائقَتُه وصُلْحٌ لا تُخْشَى غائلُته وتَفَقَّدْ أمورَهم بحضْرتك وفي حَواشي بلادك واعْلَم مع ذلك انّ في كثير منهم ضِيقا فاحشًا وشُحًّا قبيحًا واحتكارا للمنافع وتَحَكُّما في البِياعات وذلك بابُ مَضَرّةٍ للعامّة وعَيبٌ على الوُلاة فامْنَع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله مَنَع منه وليكن البيع بيعا سَمْحا بموازين عَدْلٍ وأسْعارٍ لا تُجْحِف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارَف حُكْرَةً بعد نَهْيِك إيّاه فَنَكّلْ به وعاقِب في غير إسْرافٍ ثم الله الله في الطَبَقة السُّفلَى من الذين لا حيلةَ لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البُؤْسَ والزَّمْنَي فان في هذه الطبقة قانِعًا ومُعْتَرًّا واحْفَظ لله ما اسْتَحْفَظَك من حَقّه فيهم واجعل لهم قِسْما من بَيْت مالِك وقِسْما من غَلَّات صَوافي الاسلام في كل بلد فان للاَقْصى منهم مِثل الذي للاَدْنَى وكُلٌّ قد اسْتُرْعِيتَ حقَّه فلا يَشْغَلَنّك عنهم بَطَرٌ فانك لا تُعْذَر بتَضْييعك التافِهَ لِاحْكامِك الكثيرَ المُهمّ فلا تُشْخِصْ هَمّك عنهم ولا تُصَعِّر خَدَّك لهم وتَفَقَّد أمورَ مَن لا يَصِلُ إليك منهم ممن تَقْتَحِمه العيون وتَحْتَقرهُ الرجال ففَرّغ لأولئك ثِقَتَك من أهل الخَشْية والتواضُع فلْيَرْفَع

إليك أمورَهم ثم اعْمَل فيهم بالاعْذار إلى الله سبحانه يوم تَلْقاه فان هؤلاء من بين الرَعيّة أحْوَجُ إلى الانْصاف من غيرهم فاعْذِرْ إلى الله في تأدِية حقه إليه وتَعَهَّد أهلَ اليتْمْ وذَوى الرّقَّة في السّنّ ممن لا حِيلَة له ولا يَنْصِب للمسألة نَفْسه وذلك على الوُلاة ثَقيل والحَقّ كُلُّه ثَقيل وقد يُخَفِّفه اللهُ على أقوام طَلَبوا العاقبَة فَصَبَّرُوا أنْفُسَهم ووَثِقوا بصدق مَوعُود الله لهم واجْعَلْ لِذَوي الحاجات منك قَسْما تُفَرِّغُ لهم فيه شَخْصك وتَجْلِس لهم مَجْلِسا عامّاً فتتواضَع فيه لله الذي خَلَقَك وتُقْعد عنهم جُنْدَك وأعوانَك من أحْرَاسك وشُرطَك حتى يُكَلِّمك متكلِّمُهم غيْرَ مُتَتَعْتِع فانِيّ سمِعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول في غير مَوْطِن (لن تُقَدَّس أمَةٌ لا يُؤْخَذ للضعيف فيها حقُّه من القَوِيّ غير مُتَتَعْتع) ثم احْتَمِل الخُرْق منهم والعِيّ وسَنّح عنهم الضِيق والأنَفَ يَبْسُط اللهُ عليك بذلك أكْنافَ رحمته ويُوجِبْ لك ثوابَ طاعِته وأعِط ما أعْطَيْتَ هنيأ وامْنعْ في إجْمالٍ وإعْذارٍ. ثم أمورٌ من أمُورك لابُدَّ لك من مُباشَرتِها منها إجابةُ عُمَّالك بما يَعْيْأ عنه كُتَّابك ومنها اصْدارُ حاجات الناس يومَ وُرودِها عليك مما تَحْرَج به صدورُ أعوانك وأمْض لكل يوم عَمَلَه فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت وأجْزَلَ تلك الأقسام وان كانت كُلّها لله اذا صَلَحَتْ فيها النِيّة وسَلَمَت منها الرِعيّة وليكن في خاصّة ما تُخْلِص لله به دِينَك إقامةُ فرائِضة التي هى له خاصة فأعْطِ الله من بَدَنِك في لَيْلِك ونَهارِك ووَفِّ ما تَقَرّبْتَ به إلى الله سبحانه من ذلك كاملا غيرَ مَثْلُوم ولا منقوص بالِغا مِن بَدَنِك ما بَلَغ واذا قُمْتَ في صلاتك للناس فلا تكوننّ مُنَفِّرا ولا مُضَيِّعا فان في الناس من به العِلّة وله الحاجة وقد سألتُ رسول الله صلى الله عليه

وآله حين وَجَّهَني اليَمَن كيف أصَلّي بهم فقال (صَلِّ بهم كصلاة أضْعَفهِم وكُنْ بالمؤمنين رحيما) وأمّا بعدُ فلا تُطَوِّلَنَّ احتِجابَك عن رَعيَّتك فانّ احتجابَ الوُلاة عن الرعية شُعْبة من الضيق وقِلّة عِلْمٍ بالأمور والاحتجاب منهم يَقْطَع عنهم عِلْمَ ما احتَجَبوا دونه فيَصْغُر عندهم الكبير ويَعْظُم الصغير ويَقْبُح الحَسَن ويَحْسُن القبيح ويُشاب الحق بالباطل وانما الوالي بَشَرٌ لا يَعْرِف ما تَوارَى عنه الناسُ به من الأمور وليست على الحق سِماتٌ تُعْرَف بها ضُروب الصِق من الكذب وانما أنتَ أحد رَجُلين إمّا امْرُؤٌ سَخَت نفسك بالبَذْل في الحق ففيمَ احتجابُك مِن واجِب حقٍ تُعْطيه أو فِعْل كريم تُسْدِيه أو مُبْتَلًى بالمَنْع فما أسْرَع كَفّ الناس عن مَسألِتك اذا أيِسُوا من بَذْلِك مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك مما لا مَؤُنة فيه عليك من شَكاةِ مَظْلَمة أو طَلَب انصاف في مُعامَلة. ثم انّ لِلوالي خاصةً وبِطانة فيهم اسْتِئْثار وتَطاوُلٌ وقلة إنْصافٍ في معُاملة فاحْسِم مادة أولئك بقَطع أسباب تلك الاحوال ولا تُقْطِعَنّ لأحدٍ من حاشِيَتِك وخاصَّتِك قطيعة ولا يَطْمَعَنّ منك في اعتقادِ عُقْدةٍ تَضُرُّ بمن يَليها من الناس في شِرْبٍ أو عَمَل مشتَرَكٍ يَحْمِلون مَؤونَتَه على غيرهم فيكون مَهْنَأً ذلك لهم دونك وعيبُه عليك في الدنيا والآخرة وألْزِم الحقّ من لَزِمه من القريب والبعيد وكُن في ذلك صابِرًا محتسبا واقِعا ذلك من قَرابتك وخاصَّتك حيثُ وَقَع وابْتَغ عاقِبَتَه بما يَثْقُل عليك منه فانذ مغبَّة ذلك محمودة وان ظَنَّت الرعية بك حَيفًا فأصْحِرْ لهم بُعذْرِك واعْدِلْ عنك ظُنُونَهم بِاصْحارك فانّ في ذلك رِياضَةً منك لنفسك ورِفْقًا برعيتك وإعْذَارًا تَبْلُغ به حاجَتَك من تَقْويمهم على الحقّ ولا تَدْفَعَنّ صُلْحا دَعَاك إليه عَدُوّك ولله فيه رِضًا فانّ في الصُّلْح دَعَةً لجُنُودك وراحةً

من هُمُومك وأمنًا لبلادك ولكن الحَذَر كلَّ الحَذَر من عَدُوّك بعد صُلْحه فانّ العَدُوّ رُبَّما قارَبَ لِيَتَغَفَّل فخذ بالحَزْم واتّهِم في ذلك حُسْن الظَّنّ وان عَقَدْتَ بَيْنك وبين عَدُوّك عُقْدة أو أَلْبَسْته منك ذِمّة فَحُطْ عهدَك بالوَفَاء وارْعَ ذِمّتَك بالأمانة واجعل نفسك جُنَّة دون ما أعطيتَ فانه ليس من فرائض الله شئٌ الناسُ أشَدُّ عليه اجتماعا مع تَفَرُّق أهْوَائِهِم وتَشَتُّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعُهود وقد لَزِم ذلك المُشْرِكون فيما بيْنَهم دونَ المسلمين لِمَا اسْتَوْبَلُوا من عَوَاقب الغَدْر فلا تَغْدِرَنّ بِذمّتك ولا تَخِيسَنّ بعَهدك ولا تَخْتِلَنّ عَدُوّك فانه لا يَجْتَرِئ على الله الا جاهِل شقِي وقد جعل اللهُ عَهْدَه وذِمّتَه أمْنًا أفْضَاه بين العباد برحمته وحَرِيما يَسْكُنُون إلى مَنَعَتِه ويَسْتَفِيضون إلى جِوَارِه فلا إدْغال ولا مُدَالَسَة ولا خِدَاع فيه ولا تَعْقِدْ عَقْدًا تَجوز فيه العِلَلُ ولا تُعَولَنّ على لَحْن قَوْلٍ بعد التأكيد والتَوْثِقَة ولا يَدْعُوَنّك ضِيق أمْرٍ لَزِمَك فيه عَهْدُ الله إلى طلب انْفِسَاخه بغير الحقّ فانّ صَبْرَك على ضيق أمرٍ تَرْجُو انْفِراجَه وفَضْلَ عاقِبَتِه خَيْرٌ من غَدْر تَخَاف تَبِعَتَه وأن تُحِيط بك فيه من اللخ طَلَبَةٌ فلا تَسْتَقِيل فيها دُنْياك ولا آخِرَتك إيّاك والدّماءَ وسَفْكَها بغير حِلّها فانه ليس شئ أدْعى لِنِقْمَةٍ ولا أعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ولا أحْرَى بزَوَال نِعْمة وانقطاع مُدة من سَفْك الدِّماء بغير حَقّها واللهُ سبحانه يَتَوَلّى الحُكْم بين العباد فيما تَسَافَكوا من الدِّماء يومَ القيامة فلا تُقَوّيَنّ سُلْطَانَك بسَفْك دَم حَرَام فانّ ذلك مما يُضْعِفُه ويُوهِنُه بل يُزِيلُه ويَنْقلُه ولا عُذْرَ لك عند الله ولا عندي في قَتْل العَمْد لأنّ فيه قَوَدَ البَدَن وان ابْتُلِيت بخَطأ وأفْرَط عليك سَوْطُك أو سيفُك أو يدُك بعُقُوبة فانّ في الوَكْزَة فما فوقها مَقْتَلة فلا تَطْمَحَنّ بك نَخْوَة سُلْطانِك عن أن تُؤَدّي إلى

أولياء المَقْتول حَقَّهم وايّاك والاعْجَاب بنفسك والثِقَةَ بما يُعْجبك منها وحُبَّ الاطْراء فانّ ذلك من أوْثق فُرَص الشَيطان في نفسه ليَمْحَقَ مايكون من احسان المحسنين وايّاك والمَنَّ على رَعِيَّتِك باحسانك أو التَزَيُّد فيما كان من فِعْلِك أو أن تَعِدهُم فَتُتْبِع مَوْعِدَك بِخُلْفِك فانّ المَنّ يُبْطِل الاحسانَ والتَزَيُّد يَذْهب بنور الحق والخُلْفَ يوجب المَقْت عند الله والناس قال الله سبحانه (كَبُرَ مَقْتًا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) وإيّاك والعَجَلة بالأمور قبلَ أوانِها أو التَّسَقُّط فيها عند إمكانها أو اللّجاجَة فيها اذا تَنَكَّرَتْ أو الوَهْنَ عنها اذا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أمْرٍ مَوْضِعَه وأوْقِعْ كُلَّ عَمَل مَوْقِعَه وايّأك والاستئثار بما الناسُ فيه أسْوَةٌ والتَّغَابِي عما يُعْنَى به مما قد وضَحَ للعُيُون فانه مأخوذٌ منك لغَيرك وعما قَليلٍ تَنْكشف عنك أغْطِيَةُ الأمور ويُنْتَصَف منك للمظلوم إمْلِكْ حَمِيَّةَ أنْفِك وسَوْرةَ حَدّك وسَطْوَةَ يَدِك وغَرْب لسانِك واحْتَرِس من كل ذلك بكَفّ البادِرة وتأخير السَطْوة حتى يسكُن غَضَبُك فَتَمْلِكَ الاخْتيارَ ولَن تَحْكُم ذلك من نفسك حتى تَكثُرَ هُمُومُك بذكْر المَعَاد إلى رَبّك والواجبُ عليك أن تَتَذَكَّر مامضى لِمَن تَقَدَّمك من حكومةٍ عادلةٍ أو سُنَّةٍ فاضِلة أو أثَرٍ عن نَبِيّنا صلى الله عليه وآله أو فريضة في كتاب الله فَتَقْتَدِي بما شاهَدْت مما عَملْنا به فيها وتَجْتَهِد لنفسك في اتّباع ما عَهِدْت إليك في عَهْدي هذا واسْتَوْثَقْتُ به من الحُجَّة لنفسي عليك لكَيْلا يكونَ لك عِلّة عند تَسَرُّع نفسك إلى هَواها وأنا اسأل الله بسعَة رَحْمته وعَظيم قُدْرته على إعْطاء كُلّ رَغْبة أن يُوَفِّقَني وايّاك لِمَا فيه رِضاهُ من الاقامة على العُذْر الواضِح إليه وإلى خلْقه مع حُسْن الثَنَاء في العباد وجميل الأثَر في البلاد وتمام النّعمة وتَضْعيف الكرامة وأن يَخْتِمَ لي

ولك بالسَعَادة والشَهَادَة إنا إلى الله راغبون والسلامُ على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيّبين الطّاهرين ومن ظريف أخبار ابن أبي عَتيق أن عثمان بن حيّان المُرّي لما دخل المدينة والِياً عليها اجْتَمع الأشْراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لا تعمَل عملا أجْدى ولا أولى من تحريم الغِناء والرثاء ففعل وأجّلهم ثلاثا فقِدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فَحَطّ رَحْلَه بباب سَلامة الزَرْقاء وقال لها بَدَأتُ بِك قبل أن أصير إلى مَنْزلي فقالت أو ما تَدْرِي ما حَدَث وأخْبَرَتَهْ الخَبَر فقال أقيمي إلى السَحَر حتى ألْقاه فقالت إنّا نَخَاف أن لا تُغْنِيَ شيئا ونُنْكَظ (أي نُعْجَل) فقال انه لا بأس عليك ثم مضى إلى عثمان فاستأذَنَ عليه فأخْبَرَه أن أخَذّ ما أقْدَمه عليه حُبّ التسليم عليه وقال له انّ من أفْضَل ما عَلِمت به تحريمَ الغِناء والرِثاء فقال ان أهْلَك أشارُوا عليّ بذلك قال فانك قد وُفّقْت ولكني رسول امرأةٍ إليك تقول قد كانت هذه صناعتي فَتُبْتُ إلى الله منها وأنا أسألُك أيُّها الامير أن لا تَحُول بينها وبين مُجَاورَة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان إِذَنْ أدَعها لك قال إِذَنْ لا يدَعَها الناس ولكن تَدْعو بها فَتَنْظُر إليها فان كانت ممن يُتْرَك تَرَكْتها قال فادْعُ بها قال فأمَرَها ابن أبي عتيق فَتَقَشَّفَتْ وأخَذَتْ سُبْحَة في يَدها وصارت إليه وحدَّثَتْه عن مآثر آبائه ففَكِه لها فقال لها ابن أبي عتيق اقْرَئي للامير فَفَعَلَتْ فأعْجِبَ بذلك فقال لها فاحْدي للامير فحرَّكه حُدَاؤها ثم قال لها غيّري للامير فجعل يُعْجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سَمِعتها في صِناعتها فقال له قُلْ لها فَلْتَقُلْ فأمَرَها فَتَغَنَّتْ

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لَمّا دَخَلْنَه بكُلِّ لَبَانٍ واضح وجَبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله ما مِثْلُك يُخْرَجُ عن المدينة فقال له ابن أبي عتيق اذًا يقول الناسُ أذِنَ لسَلامة في المُقام ومَنع غيْرَهَا فقال له عثمان قد أذِنْتُ لهم جميعا

بعض أخبار الحجّاج لما ولى العراق

قال التَّوَّزي بَيْنما نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسَنَة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى آتٍ فقال هذا الحجاج قد قدِم أميرا على العِراق فاذا به قد دخل المسجد مُعْتَما بعمامة قد غَطّى بها أكْثَر وَجْهه متقلّدا سيفا متَنكّبا قَوسا يَؤُم المِنبر فقالم الناس نَحْوَه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بني أمَيْة حيث تستعمِل مثلَ هذا على العِراق حتى قال عُمَير بن ضابئ البُرْجُمِيُّ ألَا أحْصِبُه لكم فقالوا أمْهِلْ حتى نَنْظر فلما رأى عيونَ الناس إليه حَسَرَ اللثام عن فيه ونَهَض فقال

أنا ابْنُ جَلَا وطَلّاع الثَنايا   متى أضع العِمامة تعِرفوني

ثم قال يأهل الكوفة إنّي لأرى رُؤوساء قد أيْنَعَتْ وحان قطافُها وانّي لَصاحِبُها وكأنّي انْظُر إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى ثم قال

هذا أوان الشَدّ فاشتَدّي زِيَمْ   قد لَفَّها الليل بسَوّاق حُطَمْ

ليس براعي ابِلٍ ولا غنم   ولا بجَزّار على ظَهْرِ وضَمْ

ثم قال

قد لَفّها الليلُ بعَصْلَبِيّ   أرْوَعَ خَرّاج من الدّوِّيّ

" مُهاجِر ليس بأعْرابِيّ "

وقال

قد شَمَّرَتْ عن ساقها فشُدّوا وجَدّت الحَرْبُ بكم فَجِدّوا
والقَوْس فيها وتَرٌ عُرُدّ مِثْلُ ذراع البَكْر أو أشَدّ

لابُدّ مما ليس مِنه بُدّ

إنّي والله يأهْل العِراق ما يُقَعْقَع لي بالشِنان ولايُغْمِز جانِبِي كَتَغْمازَ التِين ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء وفُتّشْت عن تَجْربة وان أمير المؤمنين أطال اللهُ بقاءه نَثَر كِنانَتَه بين يديه فَعجَم عِيدانَها فَوَجَدني أمَرَّها عُودًا وأصْلَبَها مَكْسَرا فرَما كم بِي لأنّكم طالَ ما أوْضَعْتُم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحْزِمَنَّكم حَزْم السَلَمَة ولأضْرِبَنَّكم ضَرْبَ غرائب الإِبِل فانكم لَكَأهْل قَرية كانت آمِنة مُطْمئنة يأتيها رزقُها رَغَدًا من كل مكان فكَفَرَت بأنْعُم الله فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجوع والخوف بما كانو يصنعون وانّي والله ما أقول الّا وَفّيت ولا أهُمّ الّا أمْضَيت ولا أخْلُق الّا فَرَيتُ وان أمير المؤمنين أمَرَني باعطائكم أعْطِياتكم وأنْ أُوَجّهكم لمحاربة عدوّكم مع المُهَلّب بن أبي صُفْرة واني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلّف بعد أخْذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عُنُقَه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى مَن بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يَقُل أحد منهم شيئا فقال الحجاج اكفُف يا غلام ثم أقبلَ على الناس فقال أسَلَّم عليكم أمير المؤمنين فلم تَرُدُّوا عليه شيئا هذا أدَب ابن نهْيَة أمَا والله لأُؤَدِّبَنّكم غيرَ هذا الأدب أو

لتَسْتَقيمُنّ اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يَبْق في المسجد أحَد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام

(زَعَم أبو العباس أن ابن نَهية رجل كان على الشُرْطة بالبصرة قَبْل الحَجّاج) ثم نزل فوضع للناس أعطياتِهم فجلعوا يأخذون حتى أتاه شيخ يَرْعَش كِبَرا فقال أيُّها الأمير انيّ من الضَعْف على ما ترى ولِي ابْنٌ هو اقْوَى على الأسْفار مِنّي فقال له الحجاج نَفْعَل أيها الشيخ فلما وَلّى قال له قائل أتَدْرِي مَن هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عُمَير بن ضابئ البُرْجُمِي الذي يقول أبوه

هَمَمْتُ ولم أفْعَل وكدتُ وَليْتَني تَركتُ على عثمان تبكِي حَلائلُهْ

ودخل هذا الشيخ على عثمان مَقْتُولا فوطِئ بَطْنَه فكسر ضِلعَيْن من أضلاعه فقال رُدُّوه فلما رُدّ قال له الحَجّاج أيُّها هَلّا بَعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمان بَدَلًا يومَ الدار انّ في قَتْلِك أيها الشيخ لَصَلاحا للمسلمين يا حَرَسِيُّ اضْرِبا عُنُقَه فَجَعَل الرجل يَضِيق عليه أمْرُه فَيَرْتَحِل ويأمُرُ وَلّيه أنْ يَلْحَقَه بزادِه ففي ذلك يقول عبد الله بن الزَّبِير الاَسَدي

تَجَهَّز فامّا أنْ تَزُور ابنَ ضابئ عُمَيرًا وإمّا أنْ تَزُورَ المُهَلَّبَا
هما خُطَّتَا خَسْفٍ نَجاؤُك منها رُكُوبُك حَوْلِيًّا من الثَلْج أشْهَبَا
فأضْحَى ولو كانت خُرَاسانُ دونَه رآها مكانَ السوق أو هى أقْرَبَا

خُطْبَةُ طارق قبلَ فُتوح الاَندَلُس

لَمَّا بَلَغ طارقًا دُنُوّ لَذَرِيق قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حثّ المسلمين على الجهاد ورغّبهم ثم قال أيها الناس أين المَفَرّ البَحْرُ من ورائكم والعدوّ أمَامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضْيَع من الأيتام في مَأدُبة اللئام وقد استَقْبَلَكم عَدُوّكم بجيشه وأسْلِحته وأقْواتُه مَوْفُورة وأنْتُمْ لا وَزَر لكم الا سُيُوفكم ولا أقْوات الّا ما تستخلِصونه من أيدي عدوّكم وان امتدّت بكم الايام على افتقاركم ولم تُنْجزوا لكم أمْرًا ذهب رِيحُكم وتعوّضت القلوبُ من رُعْبها عنكم الجُرْأَةَ عليكم فادفعوا عن أنفسكم خِذْلان هذه العاقبة من أمركم بمُناجرة هذا الطاغية فقد ألقَت به إليكم مَدِيَنتُه الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لَمُمكْنٍ ان سَمَحْتم لانفسِكم بالموت وانّي لم أحَذِّركَم أمْرًا أنا عنه بَنْجوةٍ ولا حَمَلْتكم على خُطّة أرْخَصُ متاع فيها النفوسُ أبْدَأ بنفْسي واعلموا انكم ان صَبَرتم على الاشَقّ قليلا اسْتَمْتَعتم بالأرْفَه الألَذّ طويلا فلا تَرْغَبوا بأنفسكم عن نفسي فما حَظُّكم فيه بأوْفَرَ من حَظّي وقد بَلَغكم ما أنشأتْ هذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيَكُم لمُلوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثِقَةً منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حَظُّه (منكم ثوابَ الله على اعلاء كلمته واظهار دِينه بهذه الجزيرة) وليكون مغْنَمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سِواكم والله تعالى ولُّي إنْجادكم على ما يكون لكم ذِكرًا في الدارين واعلموا أنيّ أوّل

مُجيب إلى ما دَعَوْتكم إليه واني عند مُلْتَقَى الجَمْعين حامِلٌ بنفسي على طاغِية القوم لَذَريق فقاتِلُه ان شاء اللهُ تعالى فاحمِلوا معي فان هَلَكْتُ بعده فقد كُفيتم أمْرَه ولم يُعْوِزْكم بَطَل عاقل تُسْنِدون أمورَكم إليه وان هلكتُ قبل وصولي إليه فاخلُفوني في عزيمتي هذه واحمِلوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله

صفة الامام العادل

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما وَلِيَ الخلافة إلى الحسن ابن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الامام العادل فكتب إليه الحسن رحمة الله

اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قِوامَ كل مائل وقَصْد كل جائر وصَلاح كل فاسِد وقوّة كل ضعيف ونَصَفَة كل مظلوم ومَفْزَع كل ملهوف والامام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبِله الرفيق الذي يَرْتاد لها أطيبَ المَرْعَى ويَذُودُها عن مَرائع المَهْلكة ويَحْميها من السِباع ويكْنُفُها من أذَى الحرّ والقَرّ والامام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلِّهم كبارا يكتسب لهم في حياته ويَدَّخرلهم بعد مماته والامام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البَرّة الرفيقة بولدها حَمَلتْه كُرْها ووضعته كرها ورَبَّتْه طِفلا تسهَر بسَهَرِه وتَسْكُن بسكونه تُرْضِعُه تارةً وتَفْطِمُه أخْرَى وتفرح بعافيته وتَغْتَمّ بِشكايتِه والامام

العدل يا أمير المؤمنين وصِيّ اليتامى وخازن المساكين يُرَبِّي صغيرَهم ويمُون كبيرهم والامام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجَوانح تَصْلح الجوانح بصلاحه وتفسُد بفساده والامام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يَسْمع كلام الله ويُسْمعهم ويَنظر إلى الله ويُريهم وينقاد إلى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلّكك الله كعبدٍ ائْتَمنه سيّده واسْتَحْفَظَه مالَه وعيالَه فَبَدّد المالَ وشَرّد العيال فأفقَرَ أهلَه وفَرَّق مالَه واعلم يا أمير المؤمنين ان الله أنزل الحُدودَ ليَزْجرَبها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها مَن يَليها وان الله أنزل القصاص حياةً لعباده فكيف اذا قَتَلَهُم من يَقْتَصّ لهم واذكر يا أمير المؤمنين الموتَ وما بعده وقلة أشْياعِك عنده وأنصارك عليه فَتَزَوَّدْ له ولِما بَعْدَه من الفَزَع الاكبر واعلم يا أمير المؤمنين ان لك منزلا غيرَ منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثَواؤُك ويُفارِقك أحبَّاؤُك يُسْلِمونك في قَعْرِه فريدا وحيدا فتَزَوُّدّ له ما يَصْحَبك يومَ يَفِرُّ المَرْءُ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبَنيه واذكر يا أمير المؤمنين اذا بُعْثر مافي القُبور وحُصّل مافي الصدور فالأسْرَار ظاهرة والكتاب لا يُغادِر صغيرةً ولا كبيرة الّا أحْصاها فالآن يا أمير المؤمنين في عباد الله بحُكم الجاهلين ولا تَسْلُك بهم سبيل الظالمين ولا تُسَلِّط المستكبرين على المستضعَفين فانهم لا يَرْقُبون في مؤمِنٍ إلًّا ولا ذِمَةً فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثْقالًا مع أثقالك ولا يَغُرَّنَّك الذين يتَنَعَّمون بما فيه بُؤْسُك ويأكلون الطيبات في دُنياهم بإذهاب طيّباتِك في آخرتِك لا تَنْظُر إلى قُدْرتك اليومَ ولكن انظر إلى قدرتك غدًا وأنتَ مأسورٌ في حبائل الموت وموقوف بين يدي الله في مجْمَع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عَنَت الوجوه للحيّ

القيُّوم انّ يا أمير المؤمنين وان لم أبْلُغْ بِعظتِي ما بَلَغَه أولو النُّهَي من قَبْلِي فَلَمْ آلُكَ شفقةً ونصحًا فأنْزِل كتابي إليك كمُداوي حبيبه يَسْقيه الأدْوية الكريهة لِمَا يَرْجُو له في ذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

وللفرزدق في وصف الامام زين العابدين

رضى الله تعالى عنه

هذا الذي تَعْرِف البَطْحاءُ وطْأتَه — والبيتُ يعرفه والحِلّ والحَرَمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم — هذا الّتِّقِى النَّقِيّ الطاهر العَلُم
اذا رأته قريش قال قائلها — إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يُنْمىَ إلى ذِرْوة العِزّ التي قَصُرت — عن نَيْلها عَرَب الاسلام والعجم
يَكاد يُمْسكه عرفانَ راحته — رُكْنُ الحَطيم اذا ما جاء يَسْتِلم
في كفّه خَيْزُرانٌ ريحُه عبِقٌ — من كَفّ أرْوَع في عِرْنِيه شَمَم
يُغضِي حَياءً ويُغْضَى من مَهابتَه — فما يُكَلَّم إلَّا حين يَبْتَسم
يَنْشَقُّ نور الهُدَى من نُور غُرَّته — كالشمس يَنْجاب عن إشْراقها القَتَم
مُشْتَقَّة من كِرامِ القوم نَبْعَتُه — طابَت عَناصِره والخِيمُ والشِيَمُ
هذا ابن فاطمةٍ ان كنتَ جاهِلَة — بجَدِّه أنْبِياءُ الله قد خُتِموا
اللهُ شرَّفَه قَدْرًا وعَظّمه — جَرَى بذك له في لَوْحِه القَلَمُ
وليس قَوْلُك مَن هذا بضائرِه — العُرْب تَعْرف مَن أنكرتَ والعَجَم

كلْتا يَديه غِياثٌ عَمَّ نَفْعُهُما   يُسْتَوْكَفَانِ ولا يَعْرُوهما عَدَم

سَهْل الخَلِيقة لاتُخْشَى بَوَادِرُه   يَزِينه اثنان حُسْن الخَلْق والشِيمَ

حَمْال أثْقال أقْوامٍ اذا افْتَرَضوا   حُلْو الشَمَائل يَحْلو عنده نَعَمٌ

ما قال لا قطُّ الّا في تَشَهُّده   لولا التَشَهُّد كانت لاؤه نَعَم

عَمَّ البَرِيّة بالاحسان فانْقَشَعَتْ   عنها الغَياهِب والإِمْلاق والعَدَم

من معشرٍ حُبُّهم دينٌ وبُغْضُهُمُ   كُفْرٌ وقُرْبُهُم مَنْجًى ومُعْتَصَم

ان عُدَّ أهلُ التُقى كانوا أئمتَهم   أو قيل مَن خَيْرُ أهلِ الأرض قيل هُمُ

لا يَسْتَطيع جوابا بعد غايتهم   ولا يُدانيهِم قومٌ وان كَرُمُوا

هُمُ الغُيوثُ اذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْ   والأَسْدُ أَسْدُ الشَرَى والبَأْسُ مُحْتَدِم

لا يَنْقُصُ العُسْرُ بَسْطًا من أكُفِّهم   سِيَّانِ ذلك إن أثْرَوْا وان عَدِموا

مُقَدَّمٌ بعد ذكْر الله ذكْرُهُمُ   في كُلِّ بَدْءٍ ومَخْتوم به الكَلِم

يَأْبَى لَهُمْ أنْ يَحُلَّ الذَّمُّ ساحَتَهُمْ   خُلْقٌ كَرِيمٌ وأيِدْ بالنَدَى هُضُم

أيُّ الخلائق ليست في رِقابِهِم   لأوّلِيَّة هذا أوْلَهُ نِعَمُ

من يَعْرِف الله يَعْرِف أوّليّة ذا   فالدِّين من بيتِ هذا نالَهُ الامم

وخطَب واصل بن عطاء وكان ألْثغ بالراء
فكان لذلك يَتجنَّبُها في كلامه

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي عَلَا في دُنُوّه ودَنا في عُلُوّه فلا يَحْويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يَؤُودُه حِفْظُ ما خَلَق ولم يَخْلُقْه على مِثالٍ سَبَق بل أنْشَأه ابتداعا وعَدَّلَه اصطِناعا فأحْسَنَ كُلّ شئ خَلَقَه وتَمّم مَشيئَتَه وأوضح حِكْمَتَه فَدَلّ على ألوهِيّته فسبحانه لا مُعقّبَ لحُكْمه ولا دافِع لقضائه تواضَع كُلُّ شئ لعَظَمته وذَلّ كلُّ شئ لسلطانه ووسِعَ كلَّ شئ فَضْلُه لا يَعْزُب عنه مِثْقال حبَّة وهو السميع العليم وأشهد أن لا اله الا الله وحده الها تقدَّسَت أسماؤه وعَظُمت آلاؤه عَلَا عن صفات كلّ مخلوق وتَنَزّهَ عن شَبيه كل مصنوعٍ فلا تَبْلُغه الأوهام ولا تُحيط به العقول ولا الافهام يُعصَى فَيَحْلُم ويُدْعَى فَيَسْمَع ويَقْبَل التوبة من عباده ويَعْفُو عن السيآت ويَعْلَم ما يفعلون وأشْهَدُ شهادةَ حَقٍّ وقَوْلَ صِدق باخلاص نِيّة وصِحّة طوِيّة أن محمد بن عبد الله عبده ونبِيه وخالِصَته وصَفِيّه ابْتَعَثَه إلى خَلْقه بالبَيّنة والهُدَى ودين الحقّ فَبَلَغ مَأْلُكَته ونَصَحَ لأمتّه وجاهَدَ في سبيل الله لا تأْخُذه في الله لَومةُ لائم ولا يَصُدُّه عنه زَعْمُ زاعم ماضِيا على سُنَّته مُوفِيا على قَصْده حتى أتاه اليَقين فصلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضلَ وأزكى وأتم وأنمى وأجلّ وأعلى صلاةٍ صلّاها على صَفْوَة أنْبِيائه وخالِصة ملائكتِهِ وأضْعافَ ذلك انه حميد مجيد أُوصيكم عبادَ الله مع نفسي بتقوى الله والعَمَل بطاعته والمُجَانبة لمعصيته وأحُضّكم على ما

يُدْنيكم منه ويُزْلِفكم لَدَيْه فان تقوى الله أفضلُ زاد وأحسن عاقبة في مَعَاد ولا تُلْهِيَنّكم الحياةُ الدنيا بزِينَتِها وخَدْعها وفَوَاتِن لذَّاتِها وشَهَوات آمالِها فانها متاعٌ قليل ومُدَّةٌ إلى حين وكلُّ شئ منها يَزُول فكم عايَنْتُم من أعاجيبها وكم نَصَبَتْ لكم من حَبَائلها وأهْلَكَتْ ممن جَنَح إليها واعْتَمَدَ عليها أذاقتْهم حُلْوا ومَزَجَت لهم سُمّا أين الملوك الذين بَنُوا المَدَائن وشَيّدوا المصانع وأوثَقُوا الأبواب وكاثفوا الحِجَاب وأعَدُّوا الجِيادَ ومَلكوا البلاد واسْتَخْدَموا التِلاد قَبَضَتْهُم بمَجْمَلِها وطَحَنَتْهُم بكَلْكَلها وعَضَّتهم بأنْيابِها وعاضَتْهُم من السَعة ضيقا ومن العِزّة ذُلا ومن الحَياة فَنَاء فَسَكَنُوا اللّحُود وأكَلَهُم الدُّود وأصْبَحُوا لا تَرىَ الّا مَسَاكنهم ولا تجد الّا مَعَالِمَهم ولا تُحِسّ منهم من أحد ولا تَسْمَع لهم نَبْسا فَتَزَوَّدُوا عافاكم اللهُ فانّ أفْضَلَ الزَاد التَقْوىَ واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون جَعَلَنا اللهُ وايّاكم ممن يَنْتَفِع بمَوَاعِظِه ويَعْمَل لَحَظِّه وسَعَادَته وممن يَسْتَمِع القولَ فَيَتَّبِع أحْسَنَه أولئك الذين هَداهُم الله وأولئك هم أولو الألباب انّ أحْسن قَصَص المؤمنين وأبْلَغ مَوَاعِظ المُتَّقين كتابُ الله الزَّكِيّة آياتُه الواضِحة بَيّناته فاذا تُلِي عليكم فَأنْصِتُوا له واسْمَعُوا لعلكم تفلحون أعوذ بالله القَوِيّ من الشيطان الغَوِيّ انّ الله هو السميع العليم قل هو الله أحَد اللهُ الصَمَد لم يَلدْ ولم يُولَدْ ولم يكن له كفوا أحد ثم قال – نَفَعنا اللهُ واياكم بالكتاب الحكيم والوَحْي المُبين وأعاذَنَا واياكم من العذاب الأليم وأدْخَلنَا واياكم جنّات النعيم

كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر
إلى بعض اخوانه يعاتِبه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد عاقَني الشَكّ في أمْرِك عن عَزيمة الرأي فيك وذلك أنك ابْتَدَأتَني بلُطْفٍ عن غير خِبْرَة ثم أعْقَبْتَني جَفَاءً عن غير جَريرة فأطْعَمَني أوَّلُك في اخائك وأيأْسَني آخِرُك عن وَفَائك فلَا أنا في اليَوْم مُجْمِع لك اطّراحا ولا أنا في غَدٍ وانتظاره منك على ثِقَة فسبحان مَن لو شاء كَشَفَ بايضاح الرّأي في أمْرِك عن عَزيمة الشّكّ فيك فاجْتَمَعْنا على ائْتِلاف أو افْتَرَقْنا على اختلاف والسلام

وكتب وهو في السجن إلى أبي مسلم
صاحب الدعوة يَسْتَعْطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأسِير في يَدَيه بِلا ذَنْبٍ إليه ولا خِلافٍ عليه (أما بعد) فآتاك الله حِفْظَ الوَصِيّة ومَنَحك نَصيحةَ الرَّعِيّة وألْهَمَك عَدْل القَضِيّة فانك مُسْتَوْدَع الوَدائع ومُولِي الصَنائع فاحفظْ ودائعَك بحسن صَنائعك فالودائع عارِيَّة

والصانع مَرْعِيّة وما النِّعَمُ عليك وعلينا فيك بمَنْزُورٍ نَدَاها ولا بمَبْلُوغ مَدَاها فَنَبّه للتّفْكير قلبَك واتَّق الله رَبّك واعْطِ مِنْ نفسك مَن هو تَحْتَك ما تُحِبّ أن يُعْطيَك من هو فوْقَك من العَدْل والرّأفة والأمْن من المخافة فقد أنعم الله عليك بأن فوّض أمْرَنا إليك فاعْرِفْ لنا لِينَ شُكْر المَوَدَّة واغتِفار مَسّ الشِّدّة والرضا بما رَضِيتَ والقناعة بما هَوِيتَ فان علينا مِن سَمْك الحدِيد وثِقْله أذى شدِيداً مع مُعالجة الأغْلال وقلّة رحمة العُمال الذين تَسْهيلُهم الغِلْظة وتَيْسيرهُم الفظاظة وايرادُهم علينا الغُموم وتَوْجيهُهُم إلينا الهموم زِيارتُهم الحِراسة وبِشارَتُهم الإِياسة فإليك بعد الله نَرْفَع كُرْبَةَ الشَكْوَى ونَشْكو شدّة البَلْوى فَمَتَى تُمِلْ إلينا طَرْفًا وتُوَلِنا منك عَطْفًا تجد عندنا نُصْحا صَريحا ووُدًّا صحيحا لا يُضَيّع مثلُك مثلَه ولا يَنْفِي مثلك أهلَه فارْعَ حُرْمة مَن أدْرَكْتَ بحُرْمته واعْرِف حُجّة من فَلَجْت بحُجّته فان الناسَ مِن حَوْضِك رِوَاء ونَحْن مِنه ظِماء يمشون في الابراد ونحن نَحْجِل في الأقْياد بعد الخير والسَعة والخَفْض والدَّعة واللهُ المُستعانُ وعليه التُّكْلان صَرِيح الأخبار مَنْجي الأبْرار الناسُ من دَوْلَتنا في رَخاء ونحن منها في بَلاء حين أمِن الخائفون ورَجَع الهارِبُون رَزَقنا اللهُ منك التَّحَنُّن وظاهَرَ علينا من التَمَنُّن فانك أمِينٌ مُسْتَوْدع ورائدٌ مُصْطَنَع والسلام ورحمة الله

رسالة عبد الحميد الكاتب التي أوصى فيها الكُتّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حَفِظكم اللهُ يأهل صِناعة الكتابة وحاطَكم ووفَّقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعلَ الناسَ بعد الانبياء والمرسلين صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين ومِن بَعْد الملوك المكرَّمين أصْنافا وان كانوا في الحقيقة سواءً وصَرَّفَهم في صُنُوف الصِناعات وضُروب المحاولات إلى أسباب معاشِهم وأبواب أرزاقهم فجعلهم معشَر الكُتّاب في أشْرَف الجهات أهل الأدَب والمُرُوات والعِلْم والرَزانة بكم تنتظِم للخلافة مَحاسنُها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يُصْلِحُ اللهُ للخلق سلطانَهم وتَعْمُر بلْدانُهم لا يَسْتَغْني المَلِك عنكم ولا يُوجَد كافٍ الّا مِنكم فَمَوْقِعكُم من المُلوك مَوْقعُ أسْماعِهم التي بها يَسْمَعون وأبْصارهم التي بها يُبْصِرون وألْسِنَتِهم التي بها يَنطقون وأيديهم التي بها يَبْطِشون فأمْتَعَكُم اللهُ بما خَصّكم من فَضْل صِناعَتكم ولا نَزَعَ عنكم ما أضْفاه من النّعْمَة عليكم وليس أحدٌ من أهل الصِناعات كلّ أحْوَجَ إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيّها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صِفَتكم فان الكاتب يَحْتاج في نفسه ويَحْتاج منه صاحِبُه الذي يثِق به في مُهِمّات أمُوره أن يكون حليما في موضع الحِلْم فهيما في موضع الاِحْجام مُؤْثِرًا للعَفاف والعَدْل والانصاف كَتُوم للاَسْرار وفِيًّا عند الشدائد عالِما بما يأتي من النوازل يَضَع الأُمُور مواضِعَها والطَوارِق في أمَاكنها قد نَظَر في كل فَنّ من

فُنون العِلْم فأحْكَمَه وان لم يُحْكِمْه أخَذ منه بمقدار ما يكْتَفِي به يَعْرِف بغريزة عَقْله وحُسْن أدَبه وفَضْل تَجْرِبَته ما يَرد عليه قبلَ ورُوده وعاقبَةَ ما يَصْدُر عنه قبلَ صُدُوره فيُعِدّ لِكل أمْرٍ عُدّته وعَتادَه ويُهَيّئ لكل وجهٍ هيئتَه وعادَته فتَنَافسُوا يا معشر الكتاب في صُنوف الآذاب وتَفَهَّموا في الدِين وابدؤُا بِعلْم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العَرَبية فانها نفَاق ألْسِنَتكم ثم أجِيدُوا الخَطَّ فانه حِلْيَة كُتُبِكم وارْوُوا الاشْعار واعرِفوا غَرِيبَها ومَعانِيها وأيّام العَرَب والعَجَم وأحادِيثَها وسِيَرَها فان ذلك مُعِين لكم على ما تسْمُو إليه هَمِمُكم ولا تُضَيّعوا النَظَر في الحِساب فانه قوام كُتّاب الخَراج وارْغَبُوا بأنْفُسكم عن المَطامع سَنّيها ودَنّيها وسَفْساف الامور ومَحاقرها فانها مَذَلّة للرِّقاب مَفْسَدة للكُتّاب ونَزّهوا صِناعَتكم عن الدَناءة وارْبَؤُا بأنْفُسكم عن السِعايَة والنَميمة وما فيه أهل الجَهالات واياكم والكْبر والسُخْف والعَظَمة فانها عَداوة مُجْتَلَبة من غير إحْنَةٍ وتَحابُّوا في الله عز وجل في صناعتكم وتَوَاصَوْا عليها بالذي هو ألْيَق لأهل الفضل والعدل والنُبْل مِن سَلَفكم وإنْ نَبَا الزمانُ برجُل منكم فاعْطِفُوا عليه وواسُوه حتى يرجع إليه حالُه ويَثُوب إليه أمْرُه وان أقْعَد أحدًا منكم الكِبَرَ عن مَكْسَبه ولِقاءِ اخْوانِه فَزُوروه وعظِّموه وشاوِروُه واسْتَظْهروا بفَضْل تَجْرِبَتِه وقَديم مَعْرِفَتِه ولْيَكُن الرجُل منكم على مَن اصْطَنَعَه واسْتَظْهر به لِيَوْمِ حاجَتِه إليه أحْوَطَ منه على وَلدِه وأخِيه فان عَرَضَت في الشُغْل مَحْمَدَةٌ فلا يَصْرِفْها الّا إلى صاحبه وان عَرَضَتْ مَذَمّة فَلْيَحْمِلْها هو مِن دونه ولْيَحْذَر السَقْطة والزّلّة والمَلَل عند تغيُّر الحال فان العَيب إليكم مَعشر الكتاب أسْرَعُ منه إلى الفِرَاء وهو لكم أفْسَد منه لها فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صَحِبَه مَن يَبْذُل له من

نَفْسه ما يَجِب له عليه من حَقّه فواجبٌ عليه أن يعقد له من وفائه وشُكْره واحتماله ونصيحته وكتمان سرّه وتدبير أمره ما هو جزاءٌ لِحَقّه ويصدّق ذلك فِعْلُه عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرَخاء والشدّة والحِرْمان والمُواساة والاحسان والسَّراء والضَّراء فنِعْمَت الشِيمة هذه لمن وُسِم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا وَلِيَ الرجلُ منكم أو صُيِّر إليه من أمْر خَلْق الله وعِيالِه أمْرٌ فليُراقب الله عز وجل وليُؤْثِرْ طاعته وليكُن على الضعيف رفيقا وللمظلوم مُنْصفا فانّ الخَلْقَ عِيالُ الله وأحبُّهم إليه أرفقُهم بعياله ثم ليكُنْ بالعَدْل حاكما وللاَشْراف مُكْرِمًا وللْفَئ مُوَفِّرا وللبلاد عامِرا وللرَعيّة مُتأَلِفًا وعن أذاهم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه دقيقا واذا صَحِبَ أحدُكم رجلا فَلْيَخْتَبِرْ خَلائقَه فاذا عَرَف حَسَنَها وقبيحَها أعانه على ما يوافقه من الحَسَن واحتال على صَرْفه عَمّا يَهْواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البَهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التَمَس معرفةَ أخْلاقها فان كانت رَمُوحا لم يَهِجْها اذا رَكِبَها وان كانت شَبوبا اتّقاها من بين يديها وان خاف منها شُرودا تَوَقّاها من ناحية رأسِها وان كانت حَرُونا قَمَع برفْقٍ هَواها في طُرُقها فان استمرت عَطَفَها يسيرا فيَسْلِس له قِيادُها وفي هذا الوصف من السياسة دلائلُ لِمَن ساسَ الناسَ وعامَلَهم وجَرّبهم وداخَلَهم والكاتِب لفَضْل أدَبِه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويَفْهم عنه أو يَخاف سَطْوتَه أوْلَى بالرِّفْق لصاحبه ومُداراته وتقويم أوَدِه مِن سائس البهيمة التي لا تُحِير جوابا ولا تَعْرف صوابا ولا تَفْهم

خطابا الّا بقدر ما يُصَيّرُها إليه صاحبُها الراكب عليها ألا فارْفُقوا رحمكم اللهُ في النظر وأعْمِلوا ما أمكنكم فيه من الرَّوِيّة والفِكر تَأْمَنُوا باذْن الله ممَّن صَحِبْتُموه النَبْوَةَ والاستثقال والجَفْوة ويصير منكم إلى الموافقة وتصيروا منه إلى المُؤاخاة والشفقه ان شاء اللهُ ولا يُجاوِزَنَّ الرجلُ مِنكم في هيئة مجلِسه ومَلْبَسِه ومَرْكَبِه ومَطْعَمه ومَشْربِه وخَدَمِه وغير ذلك من فنون أمْرِه قدر حقّه فانكم مع ما فضَّلكم اللهُ به من شَرف صَنْعَتكم خَدَمة لا تُحْمَلون في خِدْمتكم على التقصير وحفَظَةٌ لا تُحْتَمَلُ منكم أفعالُ التَضييع والتبذير واستعينوا على أفعالكم بالقَصْد في كل ما ذَكَرْتُهُ لكم وقَصَصِتْهُ عليكم واحذَروا مَتالِف السَرَف وسوءَ عاقبة التَرَفَ فانهما يُعْقبان الفقر ويُذِلَّان الرِّقابَ ويَفْضَحان أهْلَهُما ولا سيما الكُتّاب وأرباب الآداب وللأُمور أشباء وبعضُها دليل على بعض فاسْتَدِلّوا على مُؤْتَنَف أعمالكم بما سبقت إليه تَجْرِبَتُكم ثم اسْلُكُوا مِن مَسالِك التدبير أوْضَحَها مَحَجّة وأصدَقَها حُجّة وأحْمَدَها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفةً مُتْلفة وهو الوَصْف الشاغِل لصاحبه عن إنْفاذ عِلْمه ورَوِيَّته فليَقْصد الرجل منكم في مجلِسه قَصْد الكافي في مَنْطِقه ولْيُوجِزْ في ابتدائه وجوابِه ولْيأخُذ بمَجامع حُجَة فأن ذلك مصلحة لِفِعْلِه ومَدْفَعة للشاغل من إكْثاره ولْيَضْرَع إلى الله في صِلة توفيقه وامْدادِه بتسديده مَخافة وقُوعه في الغَلَط المُضِرّ ببدنه وعَقْله وأدَبه فانه إنْ ظَنَّ منكم ظانٌّ أو قال قائل إنّ الذي بَرَز من جميل صَنْعته وقوّة حركته انما هو بفَضْل حيلته وحُسْن تدبيره فقد تَعَرَّض بحُسْن ظَنّه أو مَقالته إلى ان يَكِلَه اللهُ عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كافٍ وذلك على مَن تأمّله غيرُ خاف ولا يَقُلْ أحَدٌ منكم إنه أبْصَر بالأمور أحْمَل لِأَعْباء التدبير من

مُرافِقة في صِناعته ومُصاحبه في خدمته فانّ أعْقل الرجُلين عند ذَوي الألباب مَن رَمَى بالعُجْب وراءَ ظهره ورأى انّ أصحابَه أعْقَلُ مِنه وأجْمَلُ في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يَعْرف فضْلَ نِعَم الله جلّ ثناؤه من غير اغترار برأيِه ولا تزْكِية لنفسه ولا يُكاثِر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعَشيره وحمدُ الله واجَبٌ على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلُّل لِعزّته والتَحَدّث بنعمتِه وأنا أقول في كتابي هذا ما سَبق به المَثَل مَن تَلْزَمه النصيحة يَلْزَمه العَمَل وهو جوهر هذا الكتاب وغُرَّة كلامه بعد الذي فيه مِن ذِكْر الله عز وجل عز وجل فلذلك جعلْتُه آخِرَه وتَمَّمْتُهُ به تولّانا الله وايّاكم يا معشر الطَلَبة والكَتَبَة بما يَتَوَلَّى به مَن سَبَق عِلْمُه بِاسْعاده وإرْشاده فان ذلك إليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مُشاورة المَهْدي لاهل بيته في حَرْب خُراسان

قال ابن عبد ربه في العِقد الفريد

هذا ما تَرَاجَع فيه المهدي ووزراؤُه وما بينَهم من تدبير الرأي في حرب خراسان أيّام تَحَامَلَت عليهم العُمّال وأعْنَفَت فَحَمَلْتهم الدالّة وما تقدّم لهم من المكانة على أنْ نَكَثوا بيعَتَهم ونَقَضوا مَوْثِقَهُم وطَرَدُوا العُمّال والْتَوَوْا بما عليهم من الخراج وحَمَل المَهْدِي ما يُحِبَّ من مصلحتِهم ويكْرَهَ من عَنَتِهِم على أن أقال عَثْرَتَهَم واغْتَفَر زَلَّتهم واحتَمَل دالَّتهم تَطَوُّلًا بالفضل واتِّساعا بالعفو وأخْذًا بالحُجَّة ورِفْقا بالسياسة ولذلك لم يَزَل مُذْ حَمَلَه اللهُ أعْباءَ

الخلافة وقَلَّدَه أمورَ الرَّعيَّة رفيقا بمَدار سلطانه بصيرا بأهل زَمانه باسِطا للمَعْدَلة في رِعيّته تَسْكن إلى كَنَفه وَتأنَس بعَفوه وتَثِق بحِلْمه فاذا وَقَعت الأقْضِية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده هَوادة ولا إغْضاء ولا مُداهنة أثَرَةً للحق وقياما بالعدل وأخْذًا بالحَزْم فدَعَا أهلَ خُراسان الاغترِارُ بحِلْمِه والثِقة بعفوه أن كَسَّرُوا الخَراج وطَرَدُوا العُمّال وسألوا ما ليس لهم من الحق ثم خَلَطوا احتجاجا باعتذار وخُصومة باقرار وتَنَصُّلا باعتِلال فلما انتهى ذلك إلى المهدي خرج إلى مجلس خَلائه وبَعَث إلى نَفَرٍ من لُحْمته ووُزرائه فأعْلَمَهم الحال واستفهم للرعية ثم أمَرَ المَوالِيَ بالابتداء وقال للعباس بن محمد أي عَمّ تَعَقَّبْ قوْلَنا وكُنْ حَكَما بَيْننا وأرْسَل إلى وَلَدَيْه مُوسَى وهارُون فأحْضَرَهما الامْر وشارَكَهما في الرأي وأمَرَ محمد بن اللَّيث بحفْظ مُراجَعَتهم واثبات مَقَّالتهم في كتاب فقال سلّام صاحب المَظَالِم

أيُّها المهدي ان في كل أمر غاية ولكل قوم صناعة اسْتفْرَغَت رأيَهم واسْتَغْرَقَتْ أشغالَهم واسْتَنْفَدَتْ أعمارَهم وذَهَبُوا بها وذَهَبَت بهم وعُرِفوا بها وعُرِفت بهم ولهذه الأمور التي جَعَلْتَنا فيها غاية وطَلَبْتَ مَعُونتنا علِيها أقوام من أبناء الحَرْب وساسِة الأمور وقادَة الجُنود وفُرسان الهَزَاهِز واخوان التَجارِب وأبطال الوقائع الذين رشَّحَتْهُم سِجَالُها وفيّأَتْهُم ظِلالُها وعَضَّتْهم شَدَائدُها وقَرَمَتْهُم نَوَاجِذُها فلو عَجَمْتَ ما قَبِلَهم وكَشَفْتَ ما عندهم لَوَجَدْتَ نَظَائِر تُؤَيّدأمْرَك وتَجَارِبَ تُوَافِق نظَرَك وأحاديث تُقَوّي قَلْبَك فأمّا نَحْن مَعاشِرَ عُمّالِك وأصْحَاب دَوَاوِينك فحسَنٌ بِنَا وكثيرٌ مِنّا أن نقوم بِثقْل ما حَمَّلْتنَا من عَمَلك واسْتَوْدَعْتنا من أمانَتِك وشَغَلْتَنا به من امْضاء عَدْلك وانفْاذ حُكمكَ واظْهار حَقّك فأجابَه المهدي انّ في كلّ قَوْمٍ حِكْمة ولكُلّ

زمانٍ سِياسة وفي كُلّ حال تَدْبيرا يُبْطِل الآخِرُ الأوّلَ ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا قال نَعَمْ أيُّها المهدي أنْتَ مُتَّبَع الرَأي وثيق العُقْدة قَوى المُنّة بليغ الفِطْنَة مَعْصُوم النّيّة مَحْضُور الرّويّة مُؤَيَّد البَديهة مُوَفَّق العَزيمة مُعَان بالظَفَر مَهْدِىّ إلى الخَيْران هَمَمْتَ ففي عَزْمك مَوَاقع الظّنّ وان اجْتَمَعْت صَدَع فِعْلُك مُلْتَبِس الشّكّ فاعْزِم يَهْدِ اللهُ الصواب قَلْبَك وقُل يُنْطق الله بالحقّ لِسانَك فان جُنُودك جَمّة وخَزَائنك عامِرة ونفسك سَخِيّة وأمْرَك نافِذ فاجابه المهدي انّ المُشاورة والمُناظرة بَابَا رَحْمة ومِفْتاحَا برَكَة لا يَهْلك عليهما رأيٌ ولا يَتَغَيَّل مَعَهُما حَزْم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يَحْضُرُكم فاني من ورائكم وتوفيقُ الله من وراء ذلك

قال الربيع أيُّها المَهْدي انّ تصاريف وُجُوه الرَأْي كثيرة وان الاشارة ببعض مَعَاريض القول يسيرة ولكن خراسان أرضٌ بَعيدة المسافة مُتَرَاخِية الشُّقَّةُ مُتَفَاوِتة السَبيل فاذا ارْتَأيْتَ من مُحْكَم التَدْبير ومُبْرَم التقدير ولُباب الصواب رَأيَا قد أحْكَمَه نَظَرُك وقَلَّبه تَدْبيرك فليس وراءَه مَذْهَب طاعن ولا دُونه مَغْلَق لخُصومه عائب ثم أجَبْتَ البُرُد بِهِ وانطوت الرسل عليه كان بالحَرَي أن لا يصل إليهم مُحْكَمه إلا وقد حدث منهم ما ينقضه فما أيْسَرَ أن ترجع إليك الرسل وتردّ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أمورهم فتُحْدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه وقد انفرجت الحلقَ وتحللت العُقَد واسترخى الحِقَاب وامتد الزمان ثم لعلما موقع الآخرة كمصدر الاولى ولكن الرأي لك أيها المهدي وفقك الله ان تصرف اجالة النظر وتقليب الفِكَر جَمَعْتنا واستشرتنا فيه من التدبير لحَرْبهم والحِيَل في أمْرهم إلى الطَلَب لرَجُلٍ ذي دين فاضل وعقل كامل ووَرَع واسع ليس

موصوفا بهوًى في سواك ولا مُتَّهَما في أثَرة عليك ولا ظَنِينا على دُخْلةٍ مكروهة ولا مَنْسوبا إلى بِدْعة مَحْذورة فيَقْدَح في مُلْكك ويُربض الأمورَ لغَيرك ثم تُسْند إليه أمورَهم وتفوّض إليه حَرْبَهم وتأمره في عهدك ووصيتك ايّاه بلزوم أمرك ما لَزِمه الحَزم وخلاف نَهْيك اذا خالفه الرّأي عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التي يَنْقَضّ أمْرُ الغائب عنها ويَثْبُتُ رأيُ الشاهد لها فانه اذا فعل ذلك فواثَبَ أمْرَهم من قريب وسَقَط عنه ما يأتي من بعيد تمّت الحيلة وقَوِيَت المكيدة ونَفَذَ العَمَل وأُحِدّ النظر ان شاء اللهُ

قال الفضل بن العباس أيُّها المهديّ ان ولّ الامور وسائس الحروب رُبّما نَحيّ جُنودَه وفرّق امواله في غير ما ضِيقِ أمْر حَزَبَه ولا ضَغْطةِ حالٍ اضْطَرَّتْه فيَقْعد عند الحاجة إليها وبعد التفرقة لها عَدِيما منها فاقدا لها لا يثِق بقوّة ولا يَصُول بُعدّة ولا يَفْزَع إلى ثِقَة فالرأي لك أيها المهدي وفقك الله أن تُعْفي خَزَائنَك من الانفاق للاموال وجُنودَك من مُكابدة الاسفار ومُقارعة لما يسألون فيَفْسُد عليك أدَبُهم وتُجَرِّئ من رَعِيّتك غَيْرَهم ولكن اغْزُهم بالحيلة وقاتِلْهم بالمكيدة وصارِعْهم باللّين وخاتِلْهم بالرفْق وأبْرِقْ لهم بالقول وأرْعِدْ نحوَهم بالفِعل وابْعَث البُعُوث وجَنِّد الجنود وكَتِّب الكتائب واعقد الألْوِية وانصِب الرَايات وأظْهِر أنك مُوَجِّه إليهم الجُيوش مع أحْنَق قُوّادك عليهم وأسْوَئِهم أثَرًا فيهم ثم ادسُس الرُسُل وابْثُث الكُتُب وضَعْ بَعْضَهم على طَمَع من وَعْدك وبَعْضًا على خَوفٍ من وَعيدك وأوْقد بذلك وأشْباهِه نيران التَحَاسُد فيهم واغرِس أشجار التَنَافُس بينهم حتى تملَا القلوب من الوَحشة وتَنْطوي الصدور على البِغْضة ويَدخل كُلًا من كُلِّ الحَذَر والهَيْبَة فانّ مَرَام الظَفَر بالغِيلة والقتال بالحيلة والمُنَاصبة بالكتب والمُكايَدة بالرُسُل

والمُقَارَعة بالكلام اللطيف المُدْخَل في القلوب القَوِيّ المَوْقع من النفوس المَعقود بالحُجَج المَوْصول بالحِيَل المَبْني على اللين الذي يستميل القلوب ويسترقّ العقول والآراء ويستميل الهَوْاء ويستدعي المُواتاة أنْفَذُ من القتال بظُبَات السُيوف وأسِنَّة الرِّماح كما أنّ الوالِي الذي يستنزل طاعة رعيته بالحِيَل ويُرَّق كلمةَ عَدُوّه بالمُكايدة أحْكَم عَمَلًا وألطَف مَنْظَرا وأحْسَنُ سِياسةً من الذي لا يَنَال ذلك الّا بالقتال والاتْلاف للاموال والتَغرير والخِطَار ولْيَعلَم المهدي أنه ان وَجَّه لِقتالهم رَجُلا لم يَسِرْ لقتالهم الّا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتُقْدِم على أسفار ضيّقة وأموالٍ متفرقة وقُوّاد غَشَشَة ان ائتَمَنَهُمْ اسْتَنْفَدُوا مالَه وان اسْتَنْصَحَهم كانوا عليه لا لَهُ

قال المهدي هذا رأيٌ قد أسفر نُورُه وأبرق ضَوْءُه وتَمَثَّل صوابُه للعيون ومَجُد حَقُّه في القلوب ولكن فوق كل ذي علم عليم ثم نظر إلى ابنه عليّ فقال ما تقول قال عليّ أيها المهدي ان أهل خراسان لم يَخْلَعوا عن طاعتك ولم يَنْصِبوا من دونِك أحدًا يقدَح في تغيير ملكك ويُريض الأمورَ لفساد دولتك ولو فَعَلُوا لكان الخَطْبُ أيْسر والشأن أصْغَر والحالُ أذَلّ لأن اللهَ مع حقّه الذي لا يَخْذُله وعند موعِده الذي لا يُخْلِفه ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شِيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل العدل بينك وبينهم حاكما طَلبوا حَقّا وسألوا انصافا فان أجبتَ الذين دعوتهم ونَفَّستَ عنهم قبل أن يَتَلاحَم منهم حال أو يَحْدُث مِن عندِهم فَتْق أطَعْتَ أمرَ الرَّبّ وأطْفَأْتَ ثائرةَ الحَرْب ووَفّرتَ خزائن المال وطَرَحْتَ تَغْرير القتال وحَمَل الناسُ مَحْمَل ذلك على طبيعة جودك وسجيّة حِلْمِك واسْجاح خَلِيقتك ومَعْدَلة نَظَرك فأمنْتَ أنْ تُنْسَبَ إلى ضُعْف وان يكون ذلك فيما

بقى دُرْبَةً وان مَنَعْتَهم ما طلبوا ولم تُجِبْهُم إلى ما سألوا اعْتدلَتْ بك وبهم الحال وساوَيْتهم في ميدان الخطاب فما أرَبُ المهدي أن يَعْمِد إلى طائفةٍ من رعيته مُقَرّين بمَمْلكته مُذْعنين بطاعته لا يُخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يُبَرّؤنها من عبوديته فَيُمَلِّكَهُم أنْفُسَهم ويَخْلَع نفسه عنهم ويَقف على الحِيَل معهم ثم يجازِيهم السوءَ في حَدّ المُنازعة ومِضْمار المُخاطرة أيُريد المهدي وفّقه اللهُ الأموالَ فلَعمْري لا يَنالُها ولا يَظْفَر بها الا بانفاق أكثر منها مما يَطْلُب منهم أضْعاف ما يَدَّعِي قِبَلَهم ولو نالهَا فَحُمِلَتْ إليه أو وُضِعت بخَرائِطها بين يديه ثم تجَافَى لهم عنها وطال عليهم بها لكان مما إليه يُنْسَب وبه يُعْرَف من الجود الذي طَبَعه اللهُ عليه وجَعَل قُرّةَ عينه ونَهْمَة نفسه فيه فان قال المهدي هذا رأيٌ مستقيم سديد في أهل الخَراج الذين شَكَوْا ظُلْمَ عُمّالنا وتحامُلَ وُلَاتنا فأمّا الجنود الذين نَقضوا مواثيقَ العهود وأنْطَقوا لسان الإِرْجاف وفَتَحُوا بابَ المَعْصِية وكَسَّروا قَيْد الفِتْنَة فقد ينبغي لهم أن أجْعَلَهم نَكالاً لغيرهم وعِظَةً لِسواهم فيعلم المهدي انه لو أُتِيَ بهم مَغْلولِين في الحديد مُقَرّنين في الاصْفاد ثم اتَّسَع لِحَقْن دِمائِهم عَفْوُه ولِإقالَةِ عَثْرَتهم صَفْحُه واسْتَبْقاهم لما هم فيه من حِزْبه أو لمن بازائهم من عَدُوّه لما كان بِدْعا من رَأْيِه ولا مُسْتَنْكرًا من نظره لقد عَلِمت العَرَب انه أعْظَمُ الخُلَفاء والمُلوك عَفْوًا وأشَدُّها وَقْعا وأصْدَقها صَوْلة وأنه لا يتعاظمُه عَفْو ولا يتكاءَدُه صَفْح وانْ عَظُم الذَنْب وجلّ الخطب فالرَّأْيُ للمهدي وفّقه الله تعالى أن يَحُلّ عُقْدَة الغيظ بالرجاء لِحُسْن ثواب الله في العَفْو عنهم وأن يَذْكُر أُولَىَ حالاتهم وضَيْعَة عِيالاتهم بِرًّا بهم وتَوَسُّعا لهم فانهم اخوان دَوْلته وأركان دَعْوته وأساس حَقّه الذين بِعِزَّتهم يَصُول وبحُجَّتهم يقول وانما مثلُهم فيما

دَخَلوا فيه من مساخِطِه وتعرَّضوا له من معاصيه وانْطَوَوْا فيه عن اجابته ومَثَلُه في قلّة ما غَيَّرَ ذلك من رأيه فيهم أو نُقِل من حاله لهم أو تَغَيَّر من نعمته بهم كَمَثَل رجلين أخَوين مُتَناصِرَين مُتوازِرَيْن أصابَ أحدَهما خَبْلٌ عارض ولهوٌ حادِث فَنَهَض أخيه بالاذى وتحامَلَ عليه بالمكروه فلم يَزْدَد أخُوه إلّا رِقَةً له ولُطْفا به واحتِيالا لِمُداواة مَرَضه ومراجعة حاله عَطْفا عليه وبِرًّا به ومَرْحَمَة له فقال المهدي أمّا عَلِيّ فقد كَوَى سمت اللَّبَان وفَضّ القُلُوب في أهل خراسان ولِكلّ نَبَأ مُسْتَقَر فقال ما تَرَى يا أبا محمد يعني موسى ابْنَه

فقال موسى أيها المهدي لا تَسْكُنْ إلى حَلاوة ما يَجْرِي من القول على ألْسِنَتهم وأنت تَرَى الدِّماء تَسِيل من خَلَل فِعْلهم الحالُ من القوم يُنادِي بمَضْمَرة شَرّ وخَفِيّة حِقْد قد جعلوا المَعاذِير عليها سِتْرا واتَّخَذُوا العِلَل من دونها حِجَابا رَجاء أن يُدافعوا الايام بالتأخير والامورَ بالتَطويل فَيَكْسِروا حِيَل المهدي فيهم ويُفْنُوا جُنودَه عنهم حتى يتلاحم أمْرُهم وتتلاحق مادَّتُهم وتَسْتَفْحل حَرْبُهم وتستمرّ الامور بهم والمهديّ من قولهم في حال غرّة ولباس أمَنَة قد فَتَرَ لها وأنِس بها وسَكَن إليها ولولا ما اجْتَمَعَتْ به قلوبهم وبَرَدَتْ عليه جُلُودهم من المُنَاصبة بالقتال والاضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لَرُهِبوا عَوَاقَب أخْبار الوُلَاة وغِبّ سكون الأمور فَلْيَشدْد المهدي وفقه الله أزْرَه لهم ويُكَتّبْ كتَائبه نحوَهم ولِيْضَع الامر على أشَدّ ما يَحْضَره فيهم ولْيُوقن أنه لا يُعْطيهم خُطَّةً يريد بها صَلَاحَهم الا كانت دُرْبَة إلى فَسادهم وقُوّةً على مَعْصيَتهم وداعيةً إلى عَوْدَتهم وسَبَبًا لفَساد مَن بحَضْرته من الجنود ومَن ببابه من الوُفود الذين أقَرّهم وتلك

العادة وأجْرَاهم على ذلك الأَرَب ولم يَبْرَح في فَتْق حادِث وخلاف حاضر لا يَصلُح عليه دين ولا تستقيم به دُنْيا وان طَلَب تغييرَه بعد استحكام العادة واستمرار الدُرْبَة لم يَصل إلى ذلك الا بالعُقوبة المُفْرطة والمؤُنة الشديدة والرأيُ للمهدي وفقه الله أن لا يُقِيل عَثْرَتَهم ولا يَقْبَل مَعْذِرتهم حتى تَطَأَهم الجُيوش وتأخُذَهم السيوف ويَسْتَحِرّ بهم القَتْل ويُحْدق بهم المَوْت ويُحيط بهم البَلاء ويُطْبق عليهم الذّلّ فان فَعَل المهدي بهم ذلك كان مَقْطَعَةً لكل عادة سوء فيهم وهزيمةً لكل بادرة شرٍّ فيهم واحتمالُ المهدي في مَؤُونة غزوتِهم هذه تَضَع عنه غزَواتٍ كثيرة ونَفَقات عظيمة

قال المهدي قد قال القوم فاحكُم يا أبا الفضل

فقال العباس بن محمد أيها المهدي أما (المَوالِي) فأخَذوا بفُروع الرأْيِ وسَلَكوا جَنَبات الصَواب وتَعَدّوا أمُورًا قَصَّر بنَظَرهم عنها أنه لم تأت تَجارِبُهم عليها وأما (الفضل) فأشار بالاموال أن لا تُنْفق والجنود أن لا تُفَرَّق وبأن لا يعطَي القومُ ما طَلَبُوا ولا يُبْذَل لهم ما سألوا وجاء بأمرٍ بيْن ذلك استصغارًا لامْرهم واستِهانةً بحَرْبهم وانما يَهيج جَسيماتِ الأمور صِغارُها وأما (عليّ) فأشار باللِّين وإفْراط الرِفْق واذا جَرّد الوالي لمن غَمِط أمْرَه وسَفِه حقَّه اللينَ بَحْتًا والخَيْرَ مَحْضا لم يَخْلِطْهما بشِدّة تَعْطِف القلوب عن لِينِه ولا بشَرٍّ يَحْبِسهم إلى خيره فقد مَلَّكهم الخَلْع لِعُذْرِهم ووسَّع لهم الفُرْجة لِثَني أعناقهم فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدّة فَنَزْوَةٌ في رؤوسهم يستدعون بها البَلاء إلى انفسهم ويستصرخون بها رأي المهدي فيهم وان لم يَقْبلوا دعوتَه ويُسرِعوا لِاجابته باللّين المحض

والخير الصُّراح فذلك ما عليه الظن بهم والرأيُ فيهم وما قد يُشْبه أن يكون من مِثْلِهم لاَنَّ الله تعالى خَلَق الجنة وجَعل فيها من النعيم المقيم والمُلْك الكبير ما لا يَخْطُر على قلب بَشَر ولا تُدْرِكُه الفِكَر ولا تَعْلمه نَفْس ثم دعا الناسَ إليها ورغَّبهم فيها فلولا انه خَلَق نارا جَعلها لهم رحمةً يسوقُهم بها إلى الجنة لَمَا أجابوا ولا قَبِلوا وأما (موسى) فأشار بأن يُعْصَبوا بشِدةٍ لا لِين يَثْنيهم اشتدت الامور بهم وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين إما أن تَدْخُلهم الحَمِيّة من الشِدة والأَنَفَة من الذِلّة والامتعاضُ من القَهر فيدعوهم ذلك إلى التَمادي في الخلاف والاستبسال في القتال والاستسلام للموت وإما أن يَنْقادوا بالكُرة ويُذْعِنوا بالقَهْر على بِغْضةٍ لا زمة وعداوة باقية تُورِث النِفاق وتُعْقِب الشِقاق فاذا أمْكَنَتهم فُرْصة أو ثابَت لهم قُدرة أو قَوِيَت لهم حالٌ عاد أمْرُهم إلى أصْعب وأغْلَظ وأشد مما كان

وقال في قول الفضل أيها المهدي أكْفَى دليل وأوضح برهان وأبْيَنَ خبر بَانَ قد أجمع رأيه وحَزْمَ نَظَرَةُ على الارشاد بِبِعثة الجيوش إليهم وتوجيه البُعوث نحوَهم مع اعطائهم ما سألوا من الحق واجابتهم إلى ما سألوه من العدل

قال المهدي ذلك رأيٌ

قال هارون ما خُلطت الشدة أيها المهدي باللين فصارت الشدة أمَرَّ فِطامٍ لما تَكْرَه وعاد اللين أهْدَى قائِد إلى ما تُحِبّ ولكن أرَى غير ذلك قال المهدي لقد قلتَ قولا بديعا وخالفتَ فيه أهل بيتك جميعا والمرْ مُؤْتَمَن بما قال وظَنين بما ادّعى حتى يأتِيَ ببيّنة عادلة وحجة ظاهرة فاخُرج عما قلت قال هارون أيها المهدي انّ الحَرْب خُدَعة والاعَاجِم قوْمٌ مَكَرة وربما

اعْتَدَلت الحال بهم واتَّفَقَتْ الاهواء منهم فكان باطنُ ما يُسِرّون على ظاهر ما يُعْلنون وربما افترقَت الحالان وخالَف القلبَ اللسانُ فانطوَى القلبُ على محجُوبة تُبْطَن واسْتَسَرّ بمَدْخولة لا تُعْلَن والطبيب الرفيق بِطبّه البصير بأمْره العالِم بمُقَدَّم يدِه وموضع مِيسمِه لا يَتَعَجّل بالدواء حتى يَقَع على معرفة الداء فالرأيُ للمهدي وفقه الله أن يَفِرَّ باطِنَ أمورهم فَرَّ المُسنَّة ويَمْخَضَ ظاهرَ حالهم مَخْض السقاء بمُتَابعة الكُتب ومظاهَرة الرُسُل ومُوالاة العُيون حتى تُهْتَك حُجُب عيونهم وتُكْشَف أغْطِيةُ أمورهم فان انْفَرَجَت الحال وأفضَت الأمور به إلى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الاهواء عليه وانْقادَ الرجال إليه وامْتَدّت الاَعْناق نحوه بِدين يعتقدونه واثْم يستَحِلّونه عَصَبَهُم بشدّةٍ لا لِينَ فيها ورماهم بعقوبة لا عَفْوَ معها وان انْفَرَجَتْ العُيون واهْتُصِرت السُتور ورُفِعَتْ الحُجُب والحال فيهم مَرِيعة والامور بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها وأعمال يُنْكرونها وظُلامات يَدَّعونها وحقوقٍ يسألونها بماتَّةِ سابِقَتهم ودالّة مُناصَحَتِهم فالرّأي للمهدي وفَّقه اللهُ انْ يَتَّسِع لهم بما طَلَبوا ويَتَجَافى لهم عمل كَرِهوا ويَشْعَب من أمْرهم ما صَدَعوا ويَرْتَق من فَتْقهم ما قَطَعوا ويُوَّلِيّ عليهم من أحَبّوا ويُدَاوي بذلك مَرَض قلوبهم وفساد أمورهم فانما المهدي وأُمَّتُه وسَواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعي المُجَرّب الذي يحتال لمَرَابِض غَنَمه وضَوَالّ رعيته حتى يُبْرِئ المريضة من داء عِلّتها ويَرُدّ الصحيحة إلى أَنْس جَمَاعَتِها ثم ان خراسان بخاصّة الدين لهم دالّة محمولة وماتّة مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لأنهم أيدي دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله فَلَيْس من شأن المهدي الاضطِغان عليهم ولا المؤاخذة لهم

ولا التَوْغِير بهم ولا المكافأة باساءتهم لأنّ مُبادَرة حسم الامور ضعيفةً قبل أن تَقْوَى ومُحَاوَلَة قَطْع الأصول ضئِيلة قبل أن تَغْلُظ أحْزَمُ في الرأي وأصحّ في التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافُها إلى جُمْهورها

قال المهدي مازال هارون يَقَع وَقْع الحيا حتى خُرُوج القِدْح من الماء وانْسَلّ انسلال السيف فيما ادّعى فدَعُوا ما سَبَق موسى فيه اته هو الرأي وثنّى بعده هارون ولكن مَن لِأعنَّة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللّجاج وأفرطت بهم الدالة

قال صالح

لسنا نَبْلُغ أيَّها المهدي بدوام البَحْث وطُول الفِكْر أدْنىَ فِرَاسة رَأيك وبَعْضَ لحَظات نَظَرك وليس يَنْفَضّ عنك من بُيُوتات العرب ورجال العجم ذُو دِين فاضل ورأي كامل وتدبير قوي تُقَلّده حَرْبك وتستودعه جُنْدَك ممن يَحْتَمل الأمَانة العظيمة ويَضْطَلع بالأعْباء الثَقيلة وأنْتَ بحمد الله مَيْمون النَقيبة مبارك العَزيمة مَخْبور التَجَارِب محمود العواقب معصوم العَزْم فليس يَقَع اختيارُك ولا يقف نَظَرك على أحد تُوَلّيه أمْرَك وتُسْند إليه ثَغْرك الّا أراكَ اللهُ ما تُحبّ وجَمَع لك منه ما تريد

قال المهدي انّي لَأرْجُو ذلك لقَدِيم عادة الله فيه وحُسْن مَعُونَته عليه ولكن أُحبّ المُوَافقة على الرأي والاعْتبارَ للمشاورة في الأمر المُهِم

قال محمَد بن الليث

أهْلُ خُرَاسان أيها المهدي قَوْمٌ ذَوُ عِزّة ومَنَعة وشياطين خَدَعة زُروعُ الحَمِيّة فيهم نابتة وملابس الأنفة عليهم ظاهرة فالرَّوِيّة عنهم عازبة والعَجَلة عنهم حاضرة تَسْبِق سيولُهم مَطَرَهم وسُيُوفُهم عَذَلَهم لاَنّهم بين سِفْلَة لا يَعْدو مَبْلَغ عُقولِهم مَنْظَر عيونهم وبين رُؤَساء لا يُلْجَمون الّا بشدّة ولا يُفْطَمون الّا بالمُرّ وان ولّى المهدي عليهم وضيعا لم تَنْقَدْ له العُظَماء وان ولَّى أمْرَهم شريفا تَحَامَل على الضُعَفاء وانْ أخّر المهدي أمْرَهم ودافَع حَرْبَهم حتى يُصيب لنفسه من حَشَمه ومَوَاليه أو بَني عَمّه أو بَني أبيه ناصِحا يتّفِق عليه أمْرُهم وثِقَةً تجْتَمع له أمْلاؤُهم بِلا أنفة تَلْزَمُهم ولا حَمِيّة تَدْخُلهم ولا مُصيبة تُنَفّرهم تَنَفَّست الايام بهم وتراخت الحال بأمرهم فَدَخَل بذلك من الفساد الكبير والضَّياع العظيم ما لا يَتَلَافاه صاحبُ هذه الصفة وان جَدّ ولا يَسْتَصْلِحُه وان جَهَد الّا بَعْد دَهْر طويل وشرّ كبير وليس المهدي وفّقه اللهُ فاطِما عاداتهم ولا قارعا صَفَاتهم بمثْل أحد رَجُلين لا ثالث لهما ولا عَدْلَ في ذلك بهما أحدُهما لسانٌ ناطق موصول بسَمْعك ويَدٌ مُمَثّلة لِعَينك وصَخْرة لا تُزَعْزَع وبهْمَة لا تُثْنَى وبازِلٌ لا يُفْزِعه صوْتُ الجُلْجُل نَقّي العِرْض نَزيه النفس جَلِيل الخَطَر قد اتّضَعَتْ الدُنيْا عن قَدْره وسَمَا نحوَ الآخرة بهمَّته فَجَعَل الغَرَض الاقْصى لِعَينه نُصْبا والغرَض الاَدْنى لِقَدَمه مَوْطِئا فليس يَقْبَل عَمَلا ولا يَتَعَدَّى أمَلا وهو رأس مَوَاليك وأنْصَح بَني أبيك رجل قد غُذّي بلطيف كرامتك ونبَتَ في ظِلّ دَولتك ونَشَأ على قوائم أدَبك فان قَلَّدْتَه أمْرَهم وحَمَّلْتَه ثِقْلَهم وأسْنَدْتَ إليه ثَغْرهم كان قُفْلا فتَحه أمْرُك وبابًا أغْلَقَه نَهْيُك فجعل العَدْل عليه وعليهم أمِيرا والانصافَ بينَه وبينهم حاكِما واذا حَكَم المَنْصَفة وسَلك المَعْدَلَة فأعطاهُم مالَهُم وأخذ منهم ما عليهم غَرَس في

الذي لك بين صُدورهم وأسكَن لك في السُوَيْدَاء داخل قلوبهم طاعةً راسِخةَ العُرُوق باسِقَةَ الفُرُوع مُتَمَاثِلةً في حَوَاشي عَوَامِّهم مُتَمَكِّنَة من قُلُوب خَوَاصِّهم فلا يبقى فيهم رَيْبٌ الّا نَفَوْه ولا يلزمهم حق الا أدّوه وهذا أحَدُهما والآخَرُ عُودٌ من غَيْضَتك ونَبْعةٌ من أُرُومَتك فَتِيّ السِّنّ كَهْلُ الحِلْم راجح العقل محمود الصَّرَامة مأمون الخِلاف يُجَرِّد فيهم سَيفَه ويبسط عليهم خَيْرَه بقدر ما يستَحِقون ولى حسب ما يَسْتَوْجِبون وهو فُلَان أيها المهدي فسلِّطْه أعَزّك اللهُ عليهم وَوَجِّهْهُ باجُيُوش إليهم ولا تَمْنَعْك ضَرَاعة سِنّه وحَدَاثة مَوْلِده فان الحِلْمَ والثِقَة مع الحَدَاثة خَيْرٌ من الشّكّ والجَهْل مع الكُهُولة وانما أحْدَاثُكُمْ أهلَ البيت فيما طَبَعكم اللهُ عليه واختَصّكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفِعَال ومَحَاسن الأمور وصواب التدبير وصَرَامة الأنفس كفِراخِ عتاق الطَيْر المُحكمة لأخْذ الصَيْد بِلا تَدْريب والعارِفة لُوجوه النَفْع بلا تأديب فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتُؤَدَة والرفْق ثابتٌ في صُدُوركم مَزْروع في قُلوبكم مُسْتَحْكم لكم مُتَكامل عندكم بطَبَائعَ لازمة وغَرائزَ ثابته

قال معاوية بن عبد الله

فِتَاءُ أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذُكر وأهلُ خراسان في حال عِزّ على ما وُصِف ولكن انْ وَلّى المهدي عليهم رَجُلا ليس بقديم الذِكْر في الجنود ولا بنَبِيه الصوت في الحروب ولا بطويل التجربة للامور ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الاعداء دخل ذلك أمرانِ عظيمانِ وخَطَران مَهُولان أحدُهما أن الاعداء يَغْتَمِزونَها منه ويحتقرونَها فيه ويجترؤون بها عليه

في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبارِ لأمْره والتَكَشّف لِحاله والعلم بِطباعه والأمر الآخر أنّ الجُنود التي يقود والجيوش التي يسوس اذا لم يختبروا منه البأس والنَجْدة ولم يعرفوه بالصِّيت والهَيْبة انكسرت شجاعتهم وماتت نَجْدَتهم واستأخرت طاعتهم إلى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم وربما وقع البَوَار قبل الاختبار وبباب المهدي وفقه الله رجل مَهيب نَبيه حَنيك صَيِّتٌ له نَسَب زاكٍ وصَوْت عالٍ قد قاد الجيوش وساس الحروب وتألف أهل خراسان واجتمعوا عليه بِالمَقة ووثقوا به كل الثِّقة فلو ولّاه المهدي أمْرَهم لكفاه الله شرهم قال المهدي جانَبْتَ قَصْد الرَمِيّة وأبَيْت الّا عَصَبِيّة اذ رَأيُ الحَدَث من أهل بيتنا كرأي عَشَرَة حُلَمَاء من غيرِنا ولكن أين تركتم وليّ العهد

قالوا

لم يَمْنَعْنا من ذِكره الّا كَوْنُه شَبِيه جَدّه ونَسِيج وَحْدِه ومن الدِين وأهلِه بحيث يَقْصُر القول عن أدنى فضله ولكن وجَدْنا الله عز وجل حَجَب عن خَلْقه وسَتَردون عباده عِلْمَ ما تختلف به الأيام ومعرفةَ ما تجري عليه المقادير من حوادث الأمور ورَيْب المَنُون المُخْتَرِمة لِخَوَالي القُرون ومَوَاضي المُلوك فكرِهْنا شُسُوعه عن مَحَلّة المُلْك ودار السلطان ومَقَرّ الإمامة والوِلاية وموضع المدائن والخزائن ومستَقَرّ الجُنود ومعدِن الجود ومَجْمَع الأموال التي جعلها الله قُطْبا لدار المُلْك ومِصْيَدة لقلوب الناس ومَثابة لاخوان الطَمَع وثُوّارِ الفِتَن ودواعي البِدَع وفرسان الضلال وأبناء الموت وقُلْنا انْ وجّه المهدي وليَّ عَهْده فحدث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل

من قبله لم يستطع المهديُّ ان يُعْقبهم بغيره الا أن يَنْهَدَ إليهم بنفسه وهذا خَطَر عظيم وهَوْل شديد ان تنفست الأيام بمقامه واستدارت الحال بامامه حتي يقع عوض لا يستغنى عنه أو يحدث أمر لابد منه صار ما بعده مما هو أعظم هولا وأجل خطرا له تبعا وبه متصلا

قال المهدي

الخَطْب أيْسَرُ مما تذهبون إليه وعلى غير ما تَصِفون الأمْرَ عليه نحن أهلَ البيت نَجْري من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابقٍ من العلْم ومحتوم من الأمر قد أنْبَأتْ به الكُتُب ونَبّأَت عليه الرّسُل وقد تَنَاهى ذلك بأجْمَعه إلينا وتَكَامل بحَذَافيره عندنا فبه نُدَبِّر وعلى الله نتوكل انه لابد لوليّ عهدي ووليّ عهد عَقِبي بعدي أن يقود إلى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود أما الأول فانه يُقَدم إليهم رسله ويُعْمِل فيهم حِيَله ثم يخرج نَشِطا إليهم حَنِقا عليهم يريد أن لا يَدَع أحدا من اخوان الفِتن ودواعي البِدَع وفُرْسان الضلال الّا تَوَطَّأَهُ بحَرّ القتل وألبسَه قِناعَ القهر وقلده طَوق الذل ولا أحدا من الذين عملوا في قصّ جناح الفِتْنة واخماد نار البِدْعة ونُصْرة وُلاة الحقّ الا أجْرَى عليهم دِيمَ فَضْله وجَدَاوِل نَهْلِه فاذا خرج مُزْمِعًا به مُجْمِعًا عليه لم يَسِرْ الا قليلا حتى تأتيَه ان قد عَمِلَتْ حِيَلُه وكَدَحَت كُتُبه ونَفَذَت مكايِده فهدأت نافرة القلوب ووقَعَتْ طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضى فيمِيل نظرًا لهم وبرًا بِهِم وتَعَطُّفا عليهم إلى عَدُوّ قد أخاف سبيلَهم وقطع طريقهم ومنع حُجّاجَهم بيتَ الله الحرام وسَلَب تُجَّارَهم رِزْقَ الله الحلال وأما الآخَر فانه يوجه إليهم ثم تعتقد له الحجة عليهم باعطاء ما

يطلبون وبذل ما يسألون فاذا سَمَحت الفِرَق بقَرَاباتها له وجَنَح أهل النواحي بَاعْناقهم نحوه فأصْغَتْ إليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدِمت الوُفود قَصَدَ لأول ناحية نجعَتْ بطاعتِها وألْقت بأزمَّتِها فألْبَسها جَنَاح نِعْمَته وأنزْلَهَا ظل كرامته وخصَّها بعظيم حِبائه ثم عمّ الجماعة بالمَعْدَلة وتعطّفَ عليهم بالرحمة فلا تبقي فيهم ناحيةٌ دانِية ولا فِرْقة قاصِيَة الا دَخَلَتْ عليها بَرَكَتُه ووَصَلَتْ إليها مَنْفَعَتُه فأغْنَى فَقيرها وجَبَرَ كَسِيرَها ورَفَع وضِيعَها وزاد رَفِيعها ماخلا ناحيتَيْنِ ناحيةٍ يَغْلِب عليها الشَقَاء وتَسْتَمِيلهم الأهْواء فَتَسْتَخِفّ بدَعْوته وتُبْطِئ عن اجابته وتَتَثَاقَل عن حَقّه فتكون آخِرَ مَن يَبْعَث وأبْطَأَ مَن يُوَجّه فَيَصْطَلى عليها مَوْجودَه ويبتغي لها علّة لا يَلْبَث أن يَجِدَّ بحقٍ يلزمُهم وأمْرٍ يجب عليهم فَتَسْتَلْحِمهم الجُيوش وتأكلهم السُيوف ويَسْتَحرّ بهم القَتْل ويُحيط بهم الأسْر ويُفْنِيهم التَتَبُّع حتى يُخَرِّب البلاد ويُوتِمِ الأولاد وناحيةٍ لا يَبْسُط لهم أمانا ولا يَقْبل لهم عَهْدًا ولا يجعل لهم ذِمَّة لَانَّهم أولُ مَن فَتَح باب الفُرْقة وتَدَرَّع جِلْبابَ الفتنة ورَبَضَ في شَقّ العَصَا ولكنّه يَقْتُلُ أعْلَامَهم ويأْسِر قُوّادهم هُرَّابَهم فيث لُجَج البِحار وقُلَل الجِبال وحَميل الأوْدِيَة وبُطون الأرض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يَدَع الدِيارَ خرابا والنساءَ أيَامَى وهذا أمْرٌ لا نَعْرِف له في كُتُبِنا وَقْتا ولا نُصَحّحْ منه غيرَ ما قُلْنا تفسيرا وأما موسى وليّ عَهْدي فهذا أوانُ تَوَجُّهه إلى خراسان وحُلوله بجُرْجان وما قضى الله له من الشُخُوص إليها والمُقَام فيها خيْرٌ للمسلمين مَغَبَّةً له باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتدأب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس

قال محمد بن الليث

أيها المهدي ان وليّ عهدك أصبح لأمَّتك وأهل مِلّتك عَلَما قد تَثَنَّت نحوَه أعناقُها ومدَّتْ سمْتَه أبصارَها وقد كان لُقرْب داره منك ومحلّ جِواره لك عُطْل الحال غُفْل الاَمْر واسِعَ العُذْر فأما اذا انْفَرَد بنفسه وخَلا بنَظَره وصار إلى تدبيره فان من شأن العامة أن تَتَفَقَّد مَخَارِج رأيِه وتَسْتَنْصِت لِمَوَاقع آثارِه وتَسْأل عن حوادِث أحواله في بِرّه ومَرْحَمته وإِقْساطه ومَعْدَلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ثم يكون ما سَبَق إليهم أغْلَبَ الاشياء عليهم وأمْلَكَ الأُمور بهم وألْزَمَها لقلوبهم وأشدَّها استمِالةً لرأيِهم وعَطْفا لأهْوائهم فلا يَفْتأ المهدي وفّقه الله ناظرا له فيما يُقَوّي عَمَد مَمْلكته ويُسَدد أركان ولايته ويستجمع رضاء أمته بأمر هو أزْيَنُ لِحاله وأظْهَر لجماله وأفضل مَغَبّة لأمره وأجل موقعا في قلوب رعيته وأحمد حالا في نفوس أهل ملّته ولا أدفَع مع ذلك باستجماع الأهواء له وأبْلَغ في استعطاف القلوب عليه من مَرْحَمة تَظْهر من فعْلِه ومَعْدَلة تنتشر عن أثَره ومَحَبّةٍ للخَير وأهْلِه وان يختار المهدي وفقه الله من خيار أهل كل بَلْدة وفُقَهاء أهل كل مِصْر أقواما تَسْكُن العامّة إليهم اذا ذُكِروا وتأْنَس الرعيةُ بِهِم اذا وُصفوا ثم تُسَهّل لهم عِمارَةُ سُبُل الاحسان وفَتْح باب المعروف كما قد كان فُتح له وسُهّل عليه

قال المهدي صدقت ونصحت ثم بعث في ابنه موسى فقال

أي بُنَيّ انك قد أصْبَحْت لسَمْت وجوه العامة نُصْبا ولَمثْنَى أعطاف الرعية غايةً فحسَنَتُك شامِلة واساءتك نائية وأمرُك ظاهر فعليك بتقوى الله

وطاعته فاحتِملْ سُخْط الناس فيهما ولا تَطْلُب رِضاهُم بخلافهما فان الله عز وجل كافيكَ مَن أسْخَطَه عليك ايثارُك رِضاه وليس بكافيك من يُسْخطه عليك ايْثارُك رضا مَن سواه ثم اعلم أن لله تعالى في كل زمان فَترةً من رسله وبَقايا من صَفْوة خَلْقه وخَبايا لنُصرة حَقّه يُجَدّد حَبْلَ الاسلام بدعواهم ويُشَّيد أركانَ لبدين بنُصْرتهم ويَتَّخذ لأوْلياء دينه أنْصارًا وعلى اقامة عَدْله أعْوانًا يَسُدّون الخَلَل ويُقيمون المَيَل ويَدْفَعون عن الارض الفسادَ وان أهل خراسان أصْبَحوا أيْدي دولتنا وسُيوف دَعْوتنا الذين نَسْتَدفع المكَارهَ بطاعتهم ونَسْتَصرف نزُولَ العَظَائم بمُنَاصَحَتِهم ونُدَافِع ريبَ الزمان بعَزَائمهم ونُزَاحم رُكْن الدهر ببصائِرهم فَهُم عِماد الارض اذا أرْجَفَتْ لُفَفُها وخَوْف الاعداء اذا برزت صفحتها وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها قد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات أخْمَدَتْ نيرانَ الفِتَن وقَسَمتْ دواعي البِدَع وأذَلّت رِقاب الجَبّأرين ولم يَنْفَكُّوا كذلك ما جَرَوا مع ريح دولتنا وأقاموا في ظِلّ دَعْوَتنا واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعز الله بها ذاتَهم ورفَع بها ضَعَتَهم وجعلهم بها أربابا في أقطار الارض وملوكا على رقاب العالمين بعد لِباس الذُّلّ وقِناع الخوف وإطْباق البَلَا ومُحالَفة الأَسَى وجَهْد البأْس والضّرّ فظاهِرْ عليهم لِباسَ كَرَامتك وأنْزِلْهم في حدائق نعمتك ثم اعْرِفْ لهم حقّ طاعتهم ووسيلة دالَّتهم وماتَّةَ سابِقَتهم وحُرْمة مُناصَحتهم بالاحسان إليهم والتوسعة عليهم والاثابة لمُحسنهم والاقالة لمُسيئهم أيْ بُنَيَّ ثم عليك العامّة فاستدْعِ رِضاها بالعَدْل عليها واستجلِبْ مَوَدَّتَها بالانصاف لها وتَحَسّنْ بذلك لرَبّك وتَوَثّق به في عين رعيتك واجعلْ عُمّالَ العُذْر ووُلاةَ الحُجَجِ مُقَدّمةً بين عملك

ونَصَفَةً منك لرعيتك وذلك أن تأمر قاضيَ كُلّ بَلَد وخِيار أهل كل مصْر أن يختاروا لأنفسهم رَجُلًا تُوَلّيه أمْرَهُم وتَجْعَل العَدْل حاكما بَيْنَه وبَيْنَهم فانْ أحْسَنَ حُمِدتَ وان أساء عُذِرْتَ هؤلاء عُمّال العُذْر ووُلَاة الحُجَجِ فلا يَسْقُطَنّ عليك ما في ذلك اذا انْتَشَر في الآفاق وسَبَقَ إلى الاسماع من انعقاد ألْسِنة المُرْجِفين وكَبْت قُلوب الحاسدين وإطْفاء نيران الحُروب وسلامة عواقب الامور ولا يَنْفَكَّنَّ في ظِلّ كرامتك نازلا وبِعُرَى حَبْلِك مُتَعَلّقا رَجُلانِ أحدُهما كَريمة من كرائم رِجالات العَرَب وأعْلام بُيُوتات الشَرَف له أدب فاضل وحِلْم راجح ودِين صحيح والآخَر له دِين غيرُ مَغْمُوز ومَوْضِع غير مَدْخول يصيرٌ بتَقْليب الكلام وتَصْريف الرأي وأنْحاء العَرَب ووَضَعْ الكُتُب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخُطوب آدابا نافعة وآثاراً باقية من مَحَاسِنِك وتَحْسين أمرك وتَحْلِيه ذِكْرك فَتَسْتَشيرهُ في حَرْبك وتُدْخِله في أمرك فَرَجُلٌ أصَبْتَه كذلك فهو يأوِي إلى مَحَلّتي ويَرْعَى في خُضْرة جِنابي ولا تَدَعْ أن تختار لك من فقهاء البُلْدان وخِيار الأمْصار أقواما يكونون جِيرانك وسُمَّارَك وأهلَ مُشاوَرتك فيما تُورِد وأصحابَ مُناظَرتك فيما تُصْدِر فَسِر على برَكَة الله أصْحَبَك اللهُ من عَوْنه وتوفيقه دليلا يَهْدِي إلى الصواب قَلْبَك وهادِياً يُنْطِق بالخير لسانَك وكتب في شهر ربيع الآخِر سنة سبعين ومائة ببغداد

وقال ابراهيم بن المهدي يرثي ابنه وكان مات بالبصرة

نأىَ آخَر الأيام عنك حَبيب ... فللعين سَحّ دائِم وغُرُوب

دَعَتْهُ نَوًى لا يُرْتَجى أوْبَةٌ لها ... فَقَلْبُك مَسْلُوبٌ وأنت كئيب

يَؤُوب إلى أوطانه كلُّ غائب ... وأحمدُ في الغُيّاب ليس يَؤُوب

تَبَدَّلَ دارا غيرَ داري وجِيرةً ... سِوایَ وأحْداث الزمانِ تَنُوب

أقام بها مُسْتَوطِنا غيرَ أنه ... على طول أيام المُقام غَريب

كأنْ لم يَكُنْ كالغُصْن في مَيْعَة الضُّحَى ... سَقاهُ النَدَى فاهتزّ وهو رَطيب

كأنْ لم يكن كالدُّرّ يَلْمَع نُوره ... بأصْدافه لَمّا تَشِنْه ثُقُوب

كأنْ لم يكن زَيْن الفِناء ومَعْقِل ... النِساء اذا يومٌ يكونُ عَصيب

ورَيْحان صَدْري كان حين أشُمُّه ... ومُؤْنِس قَصْري كان حين أغيب

وكانت يَدِي مَلْأى به ثم أصْبَحَتْ ... بحمْدِ الهي وهي منه سَليب

قَليلا من الأيام لم يُرْوَ ناظري ... بها منه حتى أعْلَقَتْه شعوب

كظِلّ سَحابٍ لم يُقِمْ غيرَ ساعةٍ ... إلى أن أطاحَتْه فَطاح جَنوب

أو الشّمس لما من غَمامٍ تَحَسَّرَت ... مَساءً وقد وَلَّتْ وحانَ غُروب

سأَبْكيك ما أبْقَتْ دُمُوعي والبُكَى ... بعَيْنَيَّ ماءً يا بُنَيَّ يُجيب

وما غارَ نَجْمٌ أو تَغَنَّتْ حمامةٌ ... أو اخْضَرَّ في فَرْع الأراك قَضيب

حَياتِيَ ما دامَتْ حَياتي فانْ أَمُتْ ... ثَوَيْتُ وفي قلبي عليك نُدُوب

وأُضْمِرُ ان أنْفَدْتُ دمعيَ لوعةً ... عليك لها تحتَ الضُلوع وَجيب

دَعَوْتُ أطِبّاءَ العِراق فلم يُصب ... دواءَك منهم في البلاد طَبيب

ولم يَمْلك الآسُون دَفْعًا لمُهْجة ... عليها لأشْراك المَنُون رَقيب

قَصَمْتَ جَناحي بَعْدَ ما هَدَّ مَنْكِبِي أخُوكَ فَرَأْسِي قد عَلاه مَشيبُ
فأصْبَحْتُ في الهُلَّاك الّا حُشاشةً تُذَاب بنار الحُزْن فهى تَذُوب
تَوَلَّيْتُما في حِقْبَةٍ فَتَرَكْتُما صَدًى يَتَولّى تارةً ويَثُوب
فلا مَيْتَ الَّا دونَ رُزْئِك رُزْؤُه ولو فُتِّتَتْ حُزْنًا عليه قُلوب
واني وانْ قَدَّمْتَ قَبْلِي لَعَالِمٌ بأني وان أبطأتُ منك قريب
وانّ صَباحًا نَلْتَقِي في مَسائه صَباحٌ إلى قلبي الغَدَاة حَبيب

المأمون وراثي البرامكة

قال خادم المأمون طَلَبَني أمير المؤمنين ليلةً وقد مضى من الليل ثُلُثُه فقال لي خُذْ معك فلانا وفلانا وسَمَّاهُما لي أحدُهما عليّ بن محمد والآخر دينار الخادم واذهبْ مُسْرِعا لِمَا أقول لك فانه بَلَغَني أنّ شيخا يَحْضُر ليلا إلى آثار دُور البَرَامكة ويُنْشد شعراء ويذكرهم ذكرا كثيرا ويَنْدُبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامضِ أنت وعليّ ودينار حتى ترِدُوا تلك الخرِبات فاسْتَتِروا خَلْف بعض الجُدُر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكي ونَدَب وأنشد أبياتا فَأْتُوني به قال فأَخَذْتُهما ومَضَيْنا حتى أتَيْنَا الخَرِبات فاذا نحن بغُلامٍ قد أتى ومعَهُ بِساطٌ وكرسي حديد واذا شيخ قد جاء وله جَمَال وعليه مَهَابة ولُطْف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيتُ السَيْفَ جَنْدَل جعْفَرًا ونادى منادٍ للخليفة في يَحْيَى
بَكَيتُ على الدُّنْيا وزاد تأسُّفي عليهم وقلتُ الآن لا تنفع الدنيا

مع أبياتٍ أطالَها فلما فَرَغ قَبَضْنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فَزَعًا شديدا وقال دَعوني حتى أُوصي بوصيّةٍ فاني لا أوقِن بعدَها بحياةٍ ثم تقدّم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخَذَ ورقةً وكَتَب فيها وصيّة وسَلّمها إلى غلامه ثم سرْنا به فلما مَثَل بين يدي أمير المؤمنين قال حين رآهُ مَن أنتَ وبمَ اسْتَوْجَبَتْ منك البَرَامكة ما تفعلُه في خَرَائب دُورهم قال الشيخ يا أمير المؤمنين انّ للبرامكة أيادِىَ خَضِرةً عندي أفتأذَن لِي أن أُحَدّثَكَ بِحالي معهم قال قُلْ فقال يا أمير المؤمنين أنا المُنذر ابن المُغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عَنّي نِعْمتي كما تَزُول عن الرِّجال فلما رَكِبَني الدَيْن واحْتَجْتُ إلى بيع ما عَلَى رَأسي ورُؤُوس أهْلي وبَيْتِي الذي وُلِدْت فيه أشاروا عَلَيَّ بالخُروج إلى البرامكة فخرجتُ من دِمَشْقَ ومَعي نَيّفٌ وثلاثون رجلا من أهْلي وَوَلَدي وليس ما يُبَاع ولا ما يُوهَب حتى دَخَلْنا بَغْداد ونَزَلْنا في بعض المساجد فَدَعَوتْ ببعض ثيابٍ كنتُ أعْدَدْتُها لأسْتَتِر بها فَلَبِسْتُها وخَرَجْتُ وتَرَكْتُهم جِياعا لا شئ عندَهم ودَخَلْتُ شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فاذا أنا بمسجدٍ مزخرفٍ وفي جانبه شيخ بأحْسن زيٍّ وزينة وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعةٌ جُلُوسٌ فَطَمِعْتُ في القوم ودخلتُ المسجدَ وجلستُ بين أيديهم وأنا أُقَدِّم رِجْلا وأُؤَخِّر أُوْخْرَى والعَرَق يَسيل مني لانها لم تكن صِناعَتي واذا الخادمُ قد أقبلَ ودعا القومَ فقاموا وأنا مَعَهُم فَدَخَلُوا دارَ يَحْيى بن خالد فدخلتُ معهم واذا يحيى جالسٌ على دكةٍ له وسْط بُسْتان فَسَلَّمنْا وهو يَعُدُّنا مائة وَوَاحِدًا وبين يَدِه عشرة من وَلَدِه واذا بمائةٍ واثنى عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينيَّة فرأيتُ القاضيَ والمشايخ يَضَعُن الدنانير في أكمامهم ويَجْعَلون الصينيَّات تحتَ آباطِهم ويقوم الاوّل

فالاول حتى بَقِيْتُ وحدي لا أجْسُر على أخْذِ الصينية فَغَمَزَنِي الخادِم فَجَسرْتُ وأخَذْتُها وجعلتُ الذَهَبَ في كُمّي والصينيةَ في يَدي وقُمْتُ وجعلت أتَلَفَّتُ إلى وَرَائي مَخَافَةَ أن أُمْنَع من الذَهَاب فَوَصَلْتُ وأنا كذلك إلى صَحْن الدار ويحيَى يُلاحِظُني فقال للخادم ائتني بهذا الرَجُل فأتاني فقال ما لي أراكَ تَتَلَفَّت يمينا وشِمالا فَقَصَصْتُ عليه قِصَّتي فقال للخادم ائتني بوَلَدي موسى فأتاه به فقال له يا بُنَيّ هذا رَجُلٌ غريبٌ فَخُذْه إليك واحْفَظه بنفسِك ونِعْمتك فَقَبض موسى وَلَدُه على يَدِي وأدْخَلَني إلى دارٍ من دُوره فأكْرَمَني غايةَ الاكرام وأقَمْتُ عنده يَوْمي ولَيْلَتي في ألَذّ عَيْشٍ وأتَمّ سُرورٍ فلما أصْبَح دَعا بأخيه العباس وقال له الوزير أمَرني بالعَطْف على هذا الفَتَى وقد عَلِمْتَ اشتِغالي في بَيْت امير المؤمنين فاقبِضْه إليك وأكْرِمْه فَفَعَلَ ذلك وأكْرَمَني غاية الاكرام ثم لما كان من الغَدِ تَسَلَّمَني أخوه احمد ثم لم أزَلْ في أيْدي القوم يَتَدَاوَلُونَني مدةَ عشرة أيام لا أعْرِف خَبَرَ عِيالي وصِبْياني أفي الامْوات هُمْ أمْ في الاحْياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادِمٌ ومعَهُ جماعة من الخَدَم فقالوا قُمْ فاخْرُجْ إلى عِيالِك بسلام فقلت واويلاه سُلْبتُ الدَنانير والصينيّة وأُخْرَجُ على هذه الحالة إنَّا لله وانا إليه راجعون فَرُفِع السِتْر الاوّل ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رَفَع الخادم السِتْر الاخير قال لي مهما كان من الحوائج فارْفعْها إليَّ فاني مأمورٌ بقَضاء جميع ما تأمُرُني به فلما رُفِع السِتْر الأخير رأيتُ حُجْرة كالشمس حُسْنا ونورًا واسْتَقْبَلني منها رائحةُ النَّدّ والعود ونَفَحات المِسْك واذا بصِبْياني وعِيالي يَتَقَلّبون في الحرير والدِّيباج وحُمِلَ إليَّ مائةُ ألف دِرْهَم وعَشرة آلافِ دينار ومَنْشُورٌ بضَيْعَتَين وتلك الصينية التي كنت أخَذْتُها بما فيها من

الدَّنانير والبَنَادِق وأقَمْت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورِهم ثلاثَ عشرةَ سنة لا يعلمَ الناسُ أمِنَ البرامكة أنا أم رَجُلٌ غريب فلما جاءتهم البَلِّية ونَزَل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أجْحَفَني عَمْرو بن مَسْعدة وألْزَمَني في هاتين الضيعتين من الخَراج مالا يَفي دَخْلُهما به فلما تَحَامَل عليّ الدَهْر كنتُ في آخِرِ الليل أقْصِد خَرِبات دُورِهم فأنْدُبُهم وأذْكر حُسْن صُنْعِهم إلىَّ وأبكي على احسانِهم فقال المأمون عَلَيَّ بعمرو بن مسعدة فلما أَتِى به قال له تَعْرِف هذا الرَجُلَ قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألْزَمَتْتَه في ضَيْعَتَيْه قال كذا وكذا فقال لهُ رُدّ إليه كُلَّ ما أخَذْتَه منه في مُدّته وأفْرِغْهُا له ليكونا له ولعَقبه من بعده قال فَعَلَا نَحيبُ الرَجُل فلما رأى المأمونُ كَثْرَة بكائِه قال له يا هذا قد أحْسَنّا إليك فما يُبْكيك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صَنيع البرامكة لو لم آتِ خرباتهم فأبكيهم أنْدُبهم حتى اتّصل خَبَري إلى أمير فَعَل من أين كنتُ أصل إلى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن مَيْمون فرأيتُ المأمون وقد دَمَعَتْ عَيْناهُ وظهر عليه حُزْنُه وقال لَعَمْري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابْكِ وايَّاهُمْ فاشكُرْ ولهم فأوْفِ ولا حسانهم فاذْكُرْ

رسالة سهل بن هارون في البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلحَ اللهُ أمركم وجَمَع شملكم وعلّمكم الخير وجعلكم من أهله قال الاحْنَف بن قَيْس يا معشرَ بني تَميم لا تُسْرِعوا إلى الفِتْنة فانّ أسْرَع الناس إلى القتال أقلُّهم حياء من الفِرار وقد كانوا يقولون اذا أردتَ أن ترى العُيوب جَمَّةً فتأمَّلْ عَيَّابًا فانه انما يَعيب الناسَ بفَضْل ما فيه من العَيب ومن أعْيَب العَيْب أن تَعيب ما ليس بعَيب وقبيحٌ أن تَنْهَى مُرشدا وأن تُغْرَى بمُشْفِق وما أردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم واصلاحَ فاسِدِكم وابقاءَ النعمة عليكم وما أخطأنا سبيلَ حُسْن النّيّة فيما بيننا وبينكم وقد تَعْلَمون أنّا ما أوْصَيناكم الا بما اخْتَرْناه لكم ولأنْفُسنا قَبلكم وشُهرنا به في الآفاق دونكم ثم نقول في ذلك ما قال العَبْد الصالح لقومه (وما أريد أن أخالِفَكم إلى ما أنْهاكُمْ عنه إن أريد الا الِإصْلاحَ ما استطعتْ وما توفيقي الا بالله عليه توكلتُ) فما كان أحَقّنا منكم في حُرْمَتنا بكم أن تَرْعَوْا حقّ قصْدِنا بذلك إليكم على ما رَعَيْناه من واجب حَقّكم فلا العُذْرَ المبسوط بَلَغْتم ولا بواجب الحُرمة قمتم ولو كان ذكُر العيوب يُراد به فَخْرٌ لرَأَيْنا في أنفُسنا من ذلك شُغْلًا عِبْتُموني بقَوْلي لخادِمي أجِيدي العَجين فهو أطْيَبُ لُطْعِمِه وأزْيَد في رَيْعه وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمْلِكوا العَجين فانه أحدُ الرَيْعَيْنِ وعبتموني حين ختمت على ما فيه شئ ثمين من فاكهةٍ رَطْبة نَقيّة ومن رَطْبة غَريبة على عَبْدٍ نَهم وصَبيّ جَشِع وأمَةٍ لَكْعَاءَ وزَوْجةٍ مُضِيعة

وعبْتُموني بالخَتَمْ وقد خَتَم بعض الائمة على مِزْوَدِ سَويقٍ وعلى كيسٍ فارغ وقال طينَةٌ خيرٌ من طَيَّةٍ فأمْسَكْتم عَمّن خَتم على لاشئ وعبْتُمْ مَن خَتَم على شئ وعبتموني أن قلتُ للغلام اذا زِدتَ في المَرَق فزِدْ في الانضاج ليَجْتَمِع مع التأدُّم باللحم طِيْبُ المَرَق وعبتموني بخَصْف النَعْل وبتَصْدير القَميص وحين زَعَمْتُ أنّ المَخْصوفة النَّعْل أَبْقَى وأقْوَى وأشْبَه بالشَّدّ وأنّ التَرْقيع من الحَزْم والتَفْريط من التَضْييع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْصِف نَعْلَه ويُرَقّع ثَوْبَه ويقول لو أُهْدِيَ إلىّ ذِراعٌ لَقَبِلْتُ ولو دُعيتُ إلى كُرَاع لأجَبْت وقالت الحكماء لا جَديدَ لِمَنْ لم يَلْبَس الخَلَق وبَعَثَ زياد رَجُلا يَرْتادُ له مُحَدِّثا واشترط عليه أن يكون عاقلا فأتاه به مُوافِقا فقال له أكنت به ذَا معرِفة قال لا ولكني رأيْتُه في يوم قائظ يَلْبَس خَلَقًا ويَلْبَس الناسُ جَديدا فَتَفَرَّسْت فيه العقلَ والادبَ وقد عَلِمْت أنّ الخَلَقَ في موضِعه كما جعل لكل زمانٍ رجالًا ولكل مقام مقَالا وقد أحيَا الله بالسُّمّ وأماتَ بالدواء وأغَصّ بالماء وقد زَعَمُوا أنّ الاصلاح أحدُ الكاسِبَيْن كما زعموا أن قلّة العِيال أحدُ اليَسارَيْنِ وقد جَبَرَ الأحْنَف بن قَيْس يَدَ عَنْزٍ وأمر مالكُ بن أنَس بفَرْك النَعْل وقال عُمَرُ بن الخطاب مَن أَكَلَ بَيْضَةً فقد أكل دَجاجة ولَبِس سالم بن عبد الله جِلْدَ أضْحِيَة وقال رجا لبعض الحكماء أريد أن أهْدِي إليك دَجاجة فقال ان كان لابُدّ فاجعلْها بَيُوضًا وعبتموني حين قلت من لم يَعرِف مواضعَ السَرَف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضعَ الاقتصاد في المُمْتَنع الغالي ولقد أُتيتُ بماء للوضوء على مَبْلغَ الكفاية وأشَدّ من الكفاية فلما صِرْتُ إلى تفريق أجزائه على الأعضاء وإلى التوفير عليها من وضيعة الماء وَجَدْتُ في الأعضاء فضلا عن الماء

فَعَلِمْت أن لو كنتُ سَلَكْت الاقتصادَ في أوائله لَخَرج آخرُه على كفاية أوله ولَكانَ نَصيب الأول كنصيب الآخر فبعتموني بذاك وشَنّعْتُم عليّ وقد قال الحَسَنُ وذّكَر السَرَفَ أمَا انه ليَكون في الماء والكلأ فلم يَرْضَ بذكر الماء حتى أرْدَفَه الكلأ وعِبتموني أن قلت لا يَغْتَرّنّ أحدُكم بطول عُمْره وتَقْويس ظَهْره ورِقّة عَظْمه ووَهْن قُوَّته وأن يرى نحوه أكثَر ذُرِيّته فيَدْعوه ذلك إلى اخْراج مالِه من يَده وتحوِيله إلى مِلك غيره وإلى تحكيم السَرَفَ فيه وتَسْليط الشَهَوات عليه فَلَعَلّه يكون مُعَمّرا وهو لا يدري ومَمْدودا له في السِّنّ وهو لا يَشْعُر ولعلّه أن يُرْزَق الوَلَدَ على اليأس ويَحْدُث عليه من آفات الدهر ما لا يَخْطُر على بالٍ ولا يُدْرِكه عقلٌ فَيَسْتَرِدُّه ممن لا يَرُدّه ويُظْهِر الشكوى إلى من لا يَرْحَمُه أصعبَ ما كان عليه الطلب وأقبحَ ما كان به أن يَطْلُب فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعبتموني بأن قلت بأن قلت بأنّ السَّرَف والتبذير إلى مال المواريث وأموال الملوك وأنّ الحفْظَ للمال المُكْتَسَب والغِنَى المُجْتَلَب وإلى ما لا يُعَرَّض فيه بذَهاب الدين واهْتِضام العِرْض ونَصَب البَدَن واهتضام القلب أسرعُ ومَن لم يَحْسُب نَفَقَته لم يَحْسُبْ دَخْلَه ومَن لم يَحْسُب الدَخْل فقد أضاع الاصل ومن لم يَعْرِف للغِنَى قَدْرَه فقد أذِن بالفقر وطاب نفسا بالذُّلّ وعبتموني بأن قلت انّ قلت انّ كَسْبَ الحلال يَضْمَن الاِنْفَاقَ في الحلال وانّ الخبيث يَنْزِع إلى الخبيث وانّ الطَّيّب يَدْعُو إلى الطَّيّب وانّ الانفاق في الهوى حجابٌ من الهوى فَعِبْتُم عليّ هذا القول وقد قال معاوية لم أرَ تَبْذيرا قَطّ الّا وإلى جَنْبه تضييع وقد قال الحَسَن ان أرَدْتم أن تَعْرِفوا من ايْنَ أصابَ الرجلُ مالَه فانظروا فيما ذا

يُنْفِقُه فان الخبيث انما يُنْفَقُ في السَرَف وقلت لكم بالشَفَقة عليكم وحُسْن النظر مني لكم وأنتم في دار الآفاتِ والجوائحُ غيرُ مأمونات فانْ أحاطَتْ بمالِ أحدِكم آفةٌ لم يَرْجِع إلى نفسه فاحذروا النِقَم واختلافَ الامكنة فانّ البَلِّية لا تجري في الجميع الا بموْت الجميع وقد قال عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد والأمة والشاةِ والبَعير فَرِّقوا بين المَنايا وقال ابن سِيرِين لبعض البَحْرِيّين كيف تصنعون بأموالكم قالوا نُفَرِّقُها في السُفُن فان عَطِب بعضٌ سَلِمَ بعضٌ ولولا أنَّ السَلامة أكثر ما حَمَلْنا أموالَنا في البحر قال ابن سيرين يَحْسَبها خَرْقاء وهى صَناع وعبتموني بأن قلت لكم عند إِشْفاقي عليكم ان للْغِنَى لَسُكْرًا وللمالِ لَنَزْوة فمن لم يَحفظ الغِنَى من سُكْره فقد أضاعَه ومن لم يَرْتَبِط المال بخَوف الفقر فقد أهْمَله فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جَبَلة وليس أحد أقْصَر عقلا من غَنِيّ أمنَ الفقر وسُكْرُ الغنى أكثرُ من سُكْرِ الخَمْر وقد قال الشاعر يحيى بن خالد بن بَرْمَك

وهُوبُ تِلَاد المالِ فيما يَنوبُه   مَنوعٌ اذا ما مَنْعُه كان أحْزَمَا

وعبتموني حين زعمتم أني أقدِّم المالَ على العِلمْ لأنّ المالَ به يُفادُ العلم وبه تقوم النفس قبلَ أن تَعْرِف فَضْلَ العِلم فهو أصل والاصل أحقّ بالتفضيل من الفَرْع فقلتم كيف هذا وقد قيل لرئيس الحكماء الاغنياءُ أفضلُ أم العُلمَاء قال العلماء قيل له فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الاغنياء أكثر ما يأتي الاغنياء أبوابَ العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضْل المال وجَهْل الاغنياء بحقّ العلم فقلتُ حالُهما هى القاضية بينهما وكيف يَسْتَوي شئٌ حاجَةُ العامّة إليه وشئٌ يُغْني فيه بَعْضُهم عن بعض وكان النبي صلى

الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتّخاذ الغَنَم والفقراء باتخاذ الدَجاج وقال أبو بكر رضى الله عنه اني لأُبْغِض أهلَ بَيْتٍ يُنْفِقُون نَفَقَة الايّامِ في اليَوْم الواحد وكان أبو الأسْود الدُؤلي يقول لولدِه اذا بَسَط اللهُ لك الرِزْق فابْسُطْ واذا قَبَضَ فاقْبِضْ وعبتموني حين قلتُ فَضْل الغِنَى على القوت انما هو كفضل الآلَة تكون في البَيْت اذا احْتيج إليها اسْتُعْمِلَت وان استغنى عنها كانت عُدّة وقد قال الحُصَين بن المُنْذِر وَدِدْتُ أنّ لي مثل أُحُدٍ ذَهَبًا لا أنْتَفع منه بشيءٍ قيل له فما كنتَ تَصْنَع به قال لكثرة من كان يَخْدُمُني عليه لانّ المالَ مَخْدوم وقد قال بعض الحكماء عليك بطلب الغِنَى فلو لم يكن فيه الا أنه عِزٌّ في قلبك وذُلٌّ في قلب عدوّك لَكانَ الحظّ فيه جسيما والنَفْع فيه عظيما ولَسْنا نَدَع سيرَةَ الانبياء وتعليم الخُلَفاء وتأديبَ الحكماء لأصْحاب اللهو ولَسْتُم عليَّ تَردُّون ولا رأيي تُفَنِّدون فَقَدِّموا النَظَر قبل العَزْم وأدركوا مالكم قبل أن تُدْرِكوا مآلكم والسلام عليكم

وكتب الجاحظ إلى بعض اخوانه في ذمّ الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حفِظَك اللهُ حِفْظَ مَنْ وفَّقه للقَناعة واستعمله بالطاعة كتبتُ إليك وحالي حالُ مَن كَثُفَتْ غُمُومه وأشْكَلَتْ عليه أُموره واشْتَبَه عليه حالُ دَهْره ومَخْرَج أمْره وقَلّ عنده مَن يثِق بوفَائه أو يَحْمَد مَغَبّة إخائه لاسْتِحالة زماننا وفساد أيامنا ودَوْلة أنْذَالِنا وقِدَمًا كان مَن قَدَّمَ الحياءَ على نفسه وحكَّم الصدْق في قوله وآثر الحقّ في أموره ونبذ المُشْتَبِهات عليه من شؤونه تَمَّتْ له السَلامة وفازَ بوُفور حَظّ العافية وحَمِد مَغَبّة مكروه العاقبة فَنَظَرْنا اذْ حال عندنا حكْمُه وتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُه فوجَدْنا الحياءَ مُتَّصِلا بالحِرْمان والصِدْق آفةً على المال والقصدَ في الطَلَب بِتَرْك استعمال القِحَة وإِخلاق العِرْض من طريق التوكُّل دليلا على سَخَافة الرأي اذ صارَت الحُظْوة الباسقة والنِعمة السابغة في لُؤْم المَشيئة وسَناءُ الرزق من جهة مُحاشاة الرَخاء ومُلَابَسة مَعَرّة العار ثم نظرنا في تَعَقُّب المُتَعَقّب لقولنا والكاشِرَ لِحُجَّتنَا فأقَمنا له عَلَمًا واضِحا وشاهدا قائِما ومَنارا بَيّنا اذ وَجَدْنا مَن فيه السُّفُوليّة الواضحة والمَثالِب الفاضحة والكَذِب المُبَرّح والخُلْف المُصَرّح والجَهالة المُفْرِطة والركاكة المُسْتَخَفّة وضعْف اليقين والاستثبات وسُرْعة الغَضَب والجَراءة قد استكملَ سُرورُه واعْتَدَلَتْ أموره وفاز بالسَهْم الأغْلب والحَظّ الأَوْفَر والقَدْر الرَفيع والجَواز الطائع والأمر النافِذ ان زَلَّ قيل حَكَم وان أخطأ قيل أصابَ وان هَذَى في كلامه وهو يَقْظان قيل رُؤْيا صادِقة من

نَسَمَةٍ مُباركة فهذه حُجَّتُنا واللهِ على مَن زَعَم أنّ الجَهْل يَخْفِض وأنّ النُّوكَ يُرْدِي وأنّ الكَذِب يَضُرّ وأنّ الخُلْفَ يُزْري ثم نظرنا في الوفاء والامانة والنُبْل والبَلاغة وحُسن المَذْهَب وكمال المُرُوءة وسَعَة الصَدْر وقِلّة الغَضَب وكَرَم الطَبيعة والفائق في سَعة عِلْمه والحاكِم على نفسه والغالِب لهَواه فوجَدْنا فلانَ ابنَ فلان ثم وجدنا الومان لم يُنْصِفْه من حَقّه ولا قَام له بوظائف فَرْضه ووجدنا فضائلَه القائِمة له قاعدةً به فهذا دليلُ أن الطَّلاح أجْدَى من الصَلاح وأن الفضل قد مضى زمانُه وعَفَتْ آثارُه وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضدّهِ ووجدنا العقلَ يَشْقَى به قرينُه كما أن الجهل والحُمْق يَحْظَى به خَدِينه ووجدنا الشِّعْر ناطقا على الزمان ومُعْربا عن الايام حيث يقول

تَحَامَقْ مع الحمقَى اذا ما لَقِيتَهُم ولاقِهُم بالجَهْل فِعْلَ أخِي الجَهْل
وخَلِّطْ اذا لاَقَيْتَ يومًا مُخَلِّطا يُخَلِّط في قولٍ صحيح وفي هَزْل
فاني رأيتُ المَرْءَ يَشْقَى بعَقْلِه كما كان قبلَ اليومِ يَسْعَدُ بالعقل

فَبَقيتُ أبْقاك اللهُ مثلَ مَن أصبحَ على أو فاز ومن النُقْلة على جِهاز لا يسوغ له نِعْمة ولا تَطْعَم عَيْنُه غَمْضة في أهاويلَ يُباكِرُه مكروهُها ويُرَاوِحُه عَقَائبُها فلو أنّ الدُّعاء أجيبَ والتَضَرُّع سُمِع لكانت العِدَة العُظْمَى والرَجْفَة الكبرى فليتَ أي أخي ما أسْتَبْطئُه من النَفْخَة ومن فَجْأة الصَيْحة قُضِيَ فحانَ وأُذِن به فكان فوالله ما عُذِّبَتْ أمَّةٌ بِرَجْفة ولا ريح ولا سَخْطَة عذابَ عيني برُؤْية المُغَايَظَة المُدْمِنة والاخبار المُهْلِكة كأنّ الزمانَ يُوَكَّل بعذابي أو يُنْصَب بأيامي فما عَيْشُ مَن لا يُسَرّ بأخٍ شَفيق ولا يَصْطَبِح في

أول نهاره الا برؤية من يكرهُه ويَغُمّه بطلعته فقد طالتْ الغمة وواظبت الكُرْبة وادْلهَمَّت الظُّلْمة وخَمَدَ السِراج وتَبَاطأ الانْفراج

وكتب الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

أعاذَك اللهُ من سوءِ الغَضَب وعَصَمَك من سرف الهوى وصَرَف ما أعارَك من القُوّة إلى حُبّ الانصاف ورَجّح في قلبك ايثار الأناة فقد خفْتُ أيّدك اللهُ أن أكونَ عندك من المَنسوبين إلى نَزَق السُفَهاء ومُجانَبة سُبُل الحُكماء وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وانّ امْرَأَ أمْسَى وأصْبَحَ سالما   من الناس الا ما جَنَى لَسَعيد

وقال الآخر

ومَن دَعا الناسَ إلى ذَمّه   ذَمُّوه باالحقّ وبالباطل

فان كنُت اجْتَرَأْت عليك أصْلَحَك الله فلم أجْتَرِئْ الا لأنّ دوامَ تَغَافُلِك عَنّي شَبيهٌ بالاهمال الذي يورِث الاغْفال والعفوُ المُتَتابع يُؤْمِن من المكافأة ولذلك قال عُيَيْنَه بن حصْن بن حُذَيفة لعُثمان رحمه الله عُمَرٌ كان خَيْرًا لي منك أرْهَبَني فاتَّقَاني وأعطاني فأغناني فان كنتَ لا تَهَبُ عِقابي أيّدك الله لخدْمةٍ فَهَبْه لأياديك عندي فانّ النعمةَ تَشْفَع في النِقْمة والا تفعلْ ذلك

لذلك فَعُد إلى حُسْن العادة والا فافعلْ ذلك لحُسْن الأُحْدوثة والا فَأْتِ ما أنتَ أهلُه من العفو دون ما أنا أهلُه من استحقاق العُقُوبة فسبحانَ مَن جعلك تَعْفُو عن المُتَعَمِّد وتتجافَى عن عِقاب المُصِرّ حتى اذا صِرْتَ إلى مَن هَفَوْتُه ذِكْر وذَنْبُه نِسْيان ومَن لا يَعرِف السكْر الا لك والانعامَ الا منك هَجَمْتَ عليه بالعُقُوبة واعَلَمْ أيّدك الله أنّ شَيْنَ غضبِك عَلَيّ كَزَيْن صَفْحك عني وأنّ مَوْتَ ذِكْري مع انقطاع سَبَبي منك كَحياةِ ذكرِك مع اتّصال سَبَبي بك واعلم أنّ لك فطْنَةَ عَليم وغَفْلَةَ كريم والسلام

وصف الجاحظ لقُريش وبني هاشم

قد عَلِم الناسُ كيفَ كَرَم قُرَيش وسَخاؤها وكيف عُقولها ودَهاؤها وكيف رأيُها وذكاؤها وكيف سِياسَتُها وتدبيرها وكيف ايْجازها وتَحْسيرها وكيف رَجاحة أحْلامها اذا خَفّ الحَليم وحِدّة أذهانها اذا كلّ الحديد وكيف صَبْرُها عند اللقاء وثباتُها في اللَّأْواء وكيف وفاؤها اذا استُحْسن الغَدْر وكيف جودُها اذا حُبَّ المالُ وكيف ذِكْرُها لأحاديث غَدٍ وقلّة صُدودِها عن جهة القَصْد وكيف إقْرارُها بالحقّ وصَبْرُها عليه وكيف وصْفُها له ودُعاؤها إليه وكيف سَماحَة أخلاقها وصَوْنُها لأعْراقها وكيف وصَلوا قديمَهم بحَديثهم وطَريفَهم بتَليدهم وكيف أشْبَه عَلانِيَتَهم سِرُّهم وقولَهم فِعلُهم وهل سلامة صدر أحدهم الا على قدر بُعد غَديره وهل غَفْلَتُه الا في وزن صِدْق ظَنِّه الا كَيَقين غيره

دُرَّتا زيْن لقُرَّتىْ عيْن

حكى عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي قال كانت عَتَّابة أُمُّ جعفر بن يحيى تَزُور أُمّي وكانت لبيبة من النساء حازمة فصيحة بَرْزة يُعْجِبُني أن أجِدَها عند أميّ فأستَكْثِر من حديثها فقلت لها يوما يا أم جعفر انّ بعضَ الناس يفضِّل جعفرا على الفضل على جعفر فأخبريني فقالت مازلنا نعرف الفضل للفضل فقلت ان أكثر الناس على خلاف هذا فقالت هاءنا أحَدِّثك واقْضِ أنتَ وذلك الذي أردتُ منها فقالت كانا يوما يلعَبان في داري فدخل أبوهما فدعا بالغِذاء وأحْضَرَها فَطَعِمَا معه ثم آنَسَهما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشِّطْرَنْج فقال جعفر وكان أجْرَأهما نعم قال فهل لاعَبْتَ أخاك بها قال جعفر لا قال فالْعَبا بها بينَ يَدَيّ لأرَى لمَن الغَلَب فقال جعفر نعم وكان الفضل أبْصَرَ منه بها فجئ بالشطرنج فصُفَّت بينهما وأقبلَ عليها جعفر وأعْرَض عنها الفضل فقال له أبوه مالَكَ لا تُلاعِب أخاك فقال لا أحِبّ ذلك فقال جعفر انه يَرَى أنه أعلمُ بها فيأنَفُ من مُلاعَبَتي وأنا أُلاعِبُه مُخَاطَرَةً فقال الفضل لا أفعل فقال أبوه لاعِبْه وأنا معك فقال جعفر رضيتُ وأبى الفضل واستعفَى أباهُ فأعْفاه ثم قالت لي قد حَدَّثْتُك فاقْضِ فقلت قد قضَيْتُ للفضل بالفضل علي أخيه فقالت لو عَلْمِتُ أنك لا تُحْسِن القضاء لَمَا حَكَّمْتُك أفلا ترى أنّ جعفرا قد سَقَط أربع سَقَطات تَنَزَّه الفضل عنهنّ فَسَقَطَ حين اعترف على نفسه بانه يَلْعب بالشّطْرَنج وكان أبوه صاحبَ جِدٍّ وسقط في طلب المُقامَرة واظهار الحرْص على مال أخيه والرابعة قاصِمة الظَهْر حين قال أبوه لأخيه لاعِبْه وأنا معك

فقال أخوه لا وقال هو نعم فناصَبَ صَفًّا فيه أبوه وأخوه فقلتُ أحسنت والله وانِك لأقْضَى من الشَّعْبيّ ثم قلت لها عَزَمْتُ عليك أخبريني هل خَفِى مِثلُ هذا على جعفر وقد فَطَن له أخوه فقالت لولا العزيمة لَما أخْبَرْتُك انّ أباهُما لمّا خرج قلت للفضل خاليةً به ما مَنَعَك من ادْخال السُرور على أبيك بمُلاعبة أخيك فقال أمْرانِ أحدُهما لو أني لاعَبْتُه لَغلَبْتُه فأحْجَلْتُه والثاني قول أبي لاعِبْه وأنا معك فما يَسُرُّني أن يكون أبي معي على أخي ثم خَلَوْت بجعفر فقلت له يسأل أبوك عن اللعِب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعترف وأبوكَ صاحِب جدّ فقال اني سَمِعْت أبي يقول نِعْم لَهْوُ البال المَكْدُود وقد عَلِم ما نَلْقاه من كدّ التعلُّم والتأدُّب ولم آمَن أن يكون بَلَغَه أنّا نَلْعَب بها ولا يُبادر فيُنْكر فبادرْت بالاقرار إِشْفاقا على نفسي وعليه وقلتُ ان كان تَوْبيخ فَدَيْتُه من المُواجَهة به فقلتُ له يا بنيّ فلِمَ تقول أُلاعِبُه مُخَاطرةً كأنك تُقَامر أخاك وتَستكثِر مالَه فقال كَلّا ولكنه يَسْتحِسن الدَواة التي وهَبَها لي أميرُ المؤمنين فعَرضْتُها عليه فأبَى قبولَها وطَمِعْت أن يُلاعِبَني فأُخاطِره عليها وهو يَغْلُبني فتَطيب نفسُه بأخْذِها فقلت لها يا أُمّاه ما كانت هذه الدواة فقالت انّ جعفرا دخل على أمير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الاحمر مُحَلّاة بالياقوت الازرق والاصفر فرآه يَنْظُر إليها فوَهَبَها له فقلت إِيه فقالت ثم قلت لجعفر هَبْكَ اعتذَرْت بما سمعتُ فما عُذْرُك من الرِضا بمُناصَبَة أبيك حين قال لاعِبْه وأنا معك فقلتَ أنتَ نَعَمْ وقال هو لا فقال عَرَفْت أنه غالِبُني ولو فَتَرَ لَعِبُه لتغالبتُ له مع مالَه من الشّرَف والسرور بتحيُّز أبيه إليه قال محمد بن عبد الرحمن فقلت بَخٍ بَخٍ هذه والله السيادة ثم قلت لها يا أمّاه أكان منهما مَن بَلَغَ الحُلُم فقالت

يا بنيّ أين يُذْهَب بك أُخْبِرُك عن صَبِيَّيْن يَلْعَبان فتقول أكان منهما من بلغ الحلم لقد كنا نَنْهَي الصبيّ اذا بَلَغ العَشْر وحَضَر من يُسْتَحَى منه أن يَبْتَسم

دُرَّتا زيْن لقُرَّتيْ عيْن

يحكي أنّ الفضل بنَ سهل أرسل وَهْب بن سعيد إلى فارِس مُحاسِبًا لِعُمّالها فَبَلَغه أنه خانَ فَعَزله وسَخِط عليه وبعث به إلى أخيه الحَسَن ابن سهل لينظر في أمره فأحَسَ وهب بن سعيد بالشرّ فأوصى إلى رجل من أهل واسِطَ ثِقَةٍ مُوسِرٍ يَتَحَرَّف بالجِزارة ويَتَّجر في الجلود فأعطاه مالا عظيما وضمّ إليه ولَدَيْه الحسنَ وسليمان وهما صغيران ثم توجَّه وهب إلى بَغْداد فغَرِق وهَلَك غَرَقًا فلما بلغ ذلك الوصيَّ أخبر به الغلامين وقال اختارا حِرفةً تَحْتَرِفان بها وان اخترتُما الجِزارةَ وبيعَ الجلود بصَّرْتكما بذلك ولكما عندي مالٌ سأشتري لكما به ضِياعا تَسْتَظهِران بها على أحْداث الزمان فقالا مالَنا ولِحَرف العوامّ وصِناعاتِهم وانما حرفة أمثالِنا جَزْر أعناق الرجال في القراطيس فسَمِع الجزار كلاما لا عَهْد له بسَماع مِثلِه فَتَهيَّبَهُما الوصيّ ورأى بَزًا ليس من سوقه فضمَّ إليهما مَن يؤدِبُهما ويُصْلح من شأنِهما فلما اشتدّا قالا لوصِيِّهما انّ واسِطَ لا تَفي لنا بما نَرومُه من العلْم ونُؤَمّلُه من الرَّآسة فقال لهما الوصي انّ مِثلَكما لا يُوَلَّى عليه فَمُراني بأمْرِكما أَطِعْ فقالا له جَهِّزْنا إلى مُعْتَرَض العلماء ومستقرّ الخلفاء فجهزَهما إلى بَغْداد

ودَفَع إليهما من المال ما أحَبّاه وذَكَر الصُولِي أنه دفع إليهما مالَهما كلَّه فلما صارا إلى بغداد نالا ما أمَّلا من الرآسة والعلم ثم كتبنا معًا في دار المأمون في حال غُلُومِيَّتِهما وصِغَر سِنِّهما ورأى المأمون يوما أحدَهما في الدار يمشي فقال له من أنتَ يا غلام فقال أنا الناشئ في دولتك المُغْتَذي بِنعمتك المكَّرم بخدْمتك عبدُك وابن عبدك سليمان ابن وهب فقال المأمون أحسنتَ يا غلام ثم ان المأمون دعا سليمان ابن وهب وهو غلام فأمَره أن يكتُب بين يديه كتابا لم يبلُغْ قدرُه أن يكتُبَ مِثَله فحرّره على ما أراد المأمون على أحْسنِ خطٍّ وأصح ضَبْطٍ وأسهل لفظٍ وأجْود معنًى فسُرَّ به المأمون سرورا ظهر عليه فلما خرج سليمان كتب إليه بعض اخوان أبيه يقول

أبوك كَلَّفَك الشأو البعيد كما	قِدْمًا تَكَلَّفَه وَهْبٌ أبو حَسَنِ
فلستَ تُحْمد ان أدركتَ غايتَه	ولستَ تُعْذَر مسبوقا فلا تَهِنِ

ولم تزل أمورُهما تَنْمي حتى نالا الوِزارةَ وحكى أنّ ابن يزيد بن محمد المُهَلَّبي وفَدَ على سليمان بن وهب حين اسْتُوزِ فسُرَّ به وعَرَف له فضلَه وأجْلَسَه إلى جانبه فأنشده قولَه

وَهَبْتم لنا يا آل وَهْبٍ مودّةً	فأبقتْ لنا مالًا ومجدًا يُؤَثَّل
فمن كان للآثامِ والذُّلّ أرضُه	فأرضُكُمُ للاجْر والعِزّ مَنْزِل
رأى الناسُ فوقَ المجد مقدارَ فضلكم	فقد سألوكم فوق ما كان يُسئل
يُقَصِّر عن مَسعاتِكم كلُّ آخرٍ	وما فاتَكم ممن تقدَّمَ أوَّل
بلغتُ الذي قد كنتُ آمُلُه لكم	وان كنت لم أبلُغ بكم ما أُؤَمِّل

فقطَع عليه سليمانُ انشادَه وقال لا تقل ذلك أصلَحَك الله فانك عندي كما أنشدني عِمارةُ بنُ عَقيل بن بلال بن جَرير حيث قال

أُقَهْقِهُ مسرورا اذا أنتَ سالمٌ وأبكي من الاشواقِ حين تغيب

فقال له المهَلَّبي فليَسْمع الوزير من آخر الشِعر ما يَحْقِر أوّله فقال هات فانشأ يقول

وما لِيَ حقٌّ واجبٌ غيرَأنني بجودِكم في حاجتي أتوسَّل
وانكمُ أفضلتُم وبرزتُم وقد يَسْتَتِمُّ النِعمةَ المتفضل
وأوْليتمُ فعلا جميلا مقدَّما فعودوا فانّ العود بالحرِّ أجملُ
فكم مُلْحِفٍ قد نال مارام منكمُ ويمنعُنا عن مِثل ذاك التجمُّلُ
وعوّدتمونا قبلَ أن نسألَ الغِنَى ولا وجه للمعروف والوجهُ يُبْذَلُ

فقال سليمان والله لا تَبْرَح حتى أقضي حوائجَك كائنةً ما كانت ولو لم أُفِدْ مما أنالَني أمير المؤمنين الا شكرُك لرأيتُ بذلك جنابي مُمْرِعا وزَرْعي مُرْتِعا ثم وقع له في رِقاع كثيرة كانت معه بجميع ما أرادَ

وقال أبو الطّيب يمدح أبا شُجاع فاتِكًا

وكان يلقب بالمجنون

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ فلْيُسعِدِ النُطْقُ ان لم تُسعِدِ الحالُ
واجْزِ الاميرَ الذي نُعماه فاجئةٌ بغير قولٍ ونُعْمَى الناسِ أقوالُ
فربما جَزَت الاحسانَ مُولِيَه خَريدةٌ من عَذَاري الحَيّ مِكْسالُ
وان تكن مُحْكَماتُ الشكل تمنعني ظهورَ جَرْيٍ فَلي فيهن تَصْهال
وما شَكَرْتُ لأنّ المالَ فَرَّحَني سِيانِ عنديَ اكثارٌ وإقلال
لكن رأيتُ قبيحًا أن يُجادَلَنا وأننا بقضاء الحق بُخَّال
فكنتُ مُنْبِتَ رَوْضِ الحَزْن باكَره غيثُ بغير سِباخ الارضِ هَطّال
غيثٌ يُبَيّن للنُّظّار موقِعُه أنّ الغُيوثَ بما تأتيه جُهّال
لا يُدْرِك المجدَ الّا سَيّد فَطِنٌ لِمَا يَشُقُّ على السادات فَعَّال
لا وارِثٌ جَهِلَت يُمْناه ما وهبتْ ولا كَسوبٌ بغير السيف سَئّال
قال الزمانُ له قولا فأفهَمه أن الزمان على الامساك عَذَّال
تدري القناةُ اذا اهتزّت بِراحَته أنّ الشَّقِيّ بها خيلٌ وأبطال
كفاتكٍ ودخولُ الكاف مَنْقَصَةٌ كالشمس قُلْتُ وما للشمس أمثال
القائدُ الأسْدَ غَذَّتْها بَرَاثِنُه بمثْلِها من عِداهُ وهى أشْبال
القاتِل السيفَ في جسم القتيل به وللسُّيوف كما للناس آجالُ
تَغير عنه على الغارات هَيْبَتُه شَرِبوا وما لَهُ بأقاصي البَرّ أهْمال
له من الوَحْش ما اختارت أسِنَّتُه عَيْرٌ وهَيْقٌ وخَنْساءٌ وذَيَّال
تُمْسِي الضُّيُوف مُشَهَّاةً بَعقْوته كأن أوقاتَها في الطِيب آصال

لو اشتهتْ لَحْمَ قاريها لَبَادَرَها … خزَاذِلٌ منه في الشِيزَى وأوْصال

لا يعرف الرُّزْءَ في مالٍ ولا ولدٍ … الا اذا احتفز الضيفانَ تَرْحال

يُرْوِي صَدَى الارضِ مِن فَضْلات ما … مَحْضُ اللَّقاح وصَافِي اللَّون سَلْسال

تَفْرِي صَوَارِمُه الساعِات عَبْطَ دَم … كأنما السَاعُ نُزّال وقُفَّال

تجري النفوس حوالَيْه مُخَلَّطة … منها عُداةٌ وأغنامٌ وآبالُ

لا يُحْرِمِ البعدُ أهلَ البعد نائلَه … وغيرُ عاجرة عنه الأُطَيْفَال

أمضَى الفريقين في أقرانِه ظُبَةً … والبيضُ هادِيةٌ والسُّمْر ضُلّال

يُريك مَخْبَرُهُ أضعافَ مَنْظَرِه … بين الرجال وفيها الماء والآل

وقد يُلَقِّبُه المجنونَ حاسِدُه … اذا اختلطْنَ وبعضُ العقل عُقّال

يَرْمي بها الجيشَ لابُدُّ لهُ ولها … من شَقّة ولو آنّ الجيشَ أجبال

اذا العدَي نَشِبَت فيهم مَخالِبُه … لم يَجْتَمع لهُم حِلمٌ ورِيبال

يَرُوعُهم منه دهرٌ صَرْفه أبدًا … مُجَاهِرٌ وصُروف الدهر تَغْتال

أناله الشرفَ الأعلى تَقَدُّمُه … فَما الذي بِتَوَقّى ما أتَى نَالُوا

اذا المُلوك تحلّت كان حِلْيَته … مُهَنَّدٌ وأصَمُّ الكعب عَسَّال

أبو شجاع أبو الشَّجْعان قاطبةً … هَوْل نَمَتْه من الهَيْجاء أهوال

تَمَلّكَ الحمد حتى ما لمُفْتَخِرٍ … في الحمد حاءٌ ولا ميمٌ ولا دال

عليه منه سرابيلٌ مضاعَفةٌ … وقد كفاه من الماذي سِرِبْال

وكيف أسْتُرُ ما أولَيْتَ من حَسَنٍ … وقد غمرت نَوَالا أيُّها النَّال

لَطَّفْتَ رأيَك في بِرّي وتكرمني … انّ الكريم على العَلْياء يَحْتال

حتى غدوتَ وللاخبار تَجْوال … وللكواكب في كفّيك آمال

وقد أطالَ ثَنَائي طُولُ لابِسِه … انّ الثناء على التِنْبال تِنْبال

ان كنتَ تكْبُرُ أن تختال في بَشَرٍ فانّ قدرك في الأقدار يختال
كأن نفسك لا ترْضاك صاحِبَها الا وأنت على المفضال مِفضال
ولا تَعُدّك صَوّانا لمهجتِها الا وأنت لها في الرَّوْع بَذّال
لولا المَشَقّة ساد الناسُ كلُّهم الجودُ يُفْقِر والاِقْدام قَتّال
وانما يَبْلغ الانسانُ طاقَتَه ما كُلُّ ماشِيَةٍ بالرّجل شِمْلان
انّا لفي زمن تركُ القبيح به من أكثر الناسِ احسان واجمال
ذِكْرُ الفتى عُمْرُه الثاني وحاجتُه ما قاتَهُ وفضُولُ العَيش أشغال

قال أبو الطيب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتكا

الحُزْن يُقْلِق والتجمّل يَرْدَع والدمع بينهُما عَصِيُّ طيّع
يتنازَعانِ دُموعَ عين مُسَهَّدٍ هذا يَجِئ بها وهذا يَرْجِع
النوم بعد أبي شُجاع نافِرٌ والليلُ مُعْيٍ والكواكب طُلَّع
اني لأَجْبُن من فِراقِ أحبتي وتُحِسّ نفسي بالحِمام فأشجُع
ويزيدني غَضَب الاعادي قسوةً ويُلِّم بي عَتْب الصديق فأجزَع
تَصْفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ عما مضى منها وما يُتَوقَّع
ولِمَنْ يُغالِط في الحقائِق نَفْسَه ويَسومُها طَلَبَ المُحَال فَتَطْمَع
اينَ الذي الهَرَمانِ من بُنْيانه ما قومُه ما يومُه ما المَصْرِع
تَتَخلَّف الآثار عن أصحابها حِينًا ويُدرِكُها الفناء فتَتْبَع
لم يرضَ قلبَ أبي شجاع مَبْلَغٌ قبلَ الممات ولم يَسَعْه موضِع
كُنّا نَظُنّ دِيارَه مملوءةً ذَهَبًا فماتَ وكلُّ دارٍ بَلْقَع

واذا المكارِمِ والصَّوارِمِ والقَنا وبَنَاتُ أعْوَج كلُّ شئ يَجْمَع

المجدُ أخسرُ والمكارم صَفْقَةً من أن يَعيش بها الكريم الأرْوَع

والناسُ أنزلُ في زمانِك مَنزِلاً من أن تُعايِشَهم وقدرُك أرفع

بَرِّد حَشایَ ان استطعتَ بلفظةٍ فلقد تَضُرّ اذا تشاء وتَنْفع

ما كان منك إلى خليل قبلَها ما يُسْتَرَاب به ولا ما يُوجِع

ولقد أراك وما تُلمّ مُلِمّةٌ الا نفاها عنك قلبٌ

ويَدٍ كأن قِتالَها ونوالَها فرضٌ يَحُقّ عليك وهو تَبَرُّع

يا مَن يُبَدِّل كل يوم حُلَّةً أنَّي رَضيتَ بحُلّةٍ لا تُنْزَع

ما زِلْتَ تَخْلَعُها على مَن شاءها حتى لبسْتَ اليومَ ما لا تَخْلَع

ما زلت تَدْفَع كل أمرٍ فادحٍ حتى أتى الامرُ الذي لا يُدْفَع

فَظَلِلْتَ تنظر لا رِماحُكَ شُرَّع فيما عَراك ولا سُيوفُك قُطَّع

بأبي الوحيدَ وجيشه متكاثِرٌ يَبْكِي ومِن شَرّ السِّلاح الأَدْمُع

واذا حَصَلْتَ من السلاح على البُكا فَحَشاك رُعْت به وخَدَّك تَفْرَع

وصَلَتْ إليك يَدٌ سَواءٌ عندها ألْبَازُ الاشْهَبُ والغرابُ الأَبْقَع

مَن للمحافِل والجحافل والسُّرَى فَقَدَتْ بفقدك نَيّرا لا يَطْلُع

ومَن اتخذتَ على الضُّيوف خليفةً ضاعوا ومثْلُك لا يَكاد

قُبْحًا لوجهك يا زمانُ فانه وجهٌ له من كل لُؤْمٍ بُرْقُع

أيَمُوت مثلُ أبي شُجاعٍ فاتِكٍ ويَعيش حاسِدُه الخَصِيُّ الأَوْكَع

أيدٍ مُقَطَّعَةٌ حوالَيْ رأسِه وفَقًا يَصِيح بها ألَا مَن يَصْفع

أبقيتَ أَكْذَبَ كاذِبٍ أبقيتَه وأخذتَ أصْدَقَ مَن يقول ويَسْمع

وتركت أنْتَنَ ريحَةٍ مذمومة وسلبْتَ أطيبَ ريحَةٍ تَتَضَوّع

فاليومَ قَرّ لكل وحْشٍ نافرٍ دَمُه وكان كأنه يتطلَّع

وتصالحَتْ ثَمَرُ السِيَاط وخَيْلُه وأوَتْ إليها سُوقُها والأذْرُع

وعَفا الطِراد فلا سِنانٌ راعِفٌ فوق القَناة ولا حُسامٌ يلمع

ولَّى وكلُّ مُخالِمٍ ومُنادِمٍ بعد اللزومِ مُشَيع ومُوَدّع

مَن كان فيه لكل قومٍ ملجأ ولسيفه في كل قومٍ مَرْتَع

إن حلَّ في فُرْسٍ ففيها رَبُّها كِسْرَى تَذِلّ له الرِقابُ وتخضع

أو حَلّ في رومٍ ففيها قَيْصَرٌ أو حل في عُرْبٍ ففيها تُبَّع

قد كان أسرعَ فارسٍ في طعنةٍ فرسًا ولكنّ المنِيّة أسرَع

لا قَلَّبَتْ أيدي الفوارس بعدَه رُمْحا ولا حَمَلَتْ جَوَادا أرْبَعُ

وللمتنبي يمدح سيف الدولة ويذكر بناءَ قلعة الحدَث

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويَعْظُم في عين الصغير صِغارُها وتصغُر في عين العظيم العظائم

يُكلف سيفُ الدولة الجيشَ همَّه وقد عَجَزَت عنه الجُيوش الخضَارِم

ويَطْلُب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضَراغِم

يُفَدّي أتَمُّ الطَّيرِ عُمْرًا سِلاحَه نُسُورُ الملَا أحداثُها والقَشَاعِمُ

وما ضَرّها خَلْقٌ بغير مَخالِب وقد خُلِقَت أسيافُه والقوائم

هل الحَدَث الحَمراء تَعْرِف لَوْنَها وتَعْلَم أيّ السَّاقِيَين الغَمَائم

سَقَتْها الغَمامُ الغُرُّ قبل نُزوله فلما دنا منها سَقَتها الجماجم

بنَاها فأعلَى والقَنا تَقْرَع القنا ومَوْج المَنَايا حولَها مُتلاطِم

وكان بها مثلُ الجُنون فأصبحتْ ومن جُثَثِ القَتْلى عليها تمائم

طَريدة دَهْر ساقَها فَرَدَدْتَها على الدّين بالخَطِّيّ والدهرُ راغم

تُفيت الليالي كلَّ شئ أخذتَه وهُنّ لِمَا يأخُذْن منك غَوارم

وكيف تُرَجّي الرُّومُ والرُّوسُ هَدْمَها   وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائم

وقد حاكموها والمنَايا حواكِمٌ   فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

أتَوْك يَجُرُّون الحديدَ كأنهم   سَرَوْا بجِيادٍ ما لَهُنَّ قوائم

اذا بَرَقوا لم تُعرَف البيضُ منهمُ   ثِيابُهُمُ مِن مِثلها والعمائم

خميس بشَرْق الارض والغَرْب زَحْفه   وفي أذُن الجوزاء منه زمازِم

تَجَمّع فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمّة   فما تُفْهِم الحُدّاثَ الا التراجم

فالله وقتٌ ذَوَّبَ الغِشَّ نارُه   فلم يَبْقَ الا صارِمٌ أو ضُبارِم

تقطّعَ ما لا يَقْطَع الدِرع والقَنا   وفَرَّ من الابطال مَن لا يُصادِم

وقَفْتَ وما في المَوْت شَكٌّ لواقِفٍ   كأنك في جَفْن الرَّدَى وهو نائم

تَمُرّ بك الابطال كَلْمَى هزيمةً   ووجهُكَ وضّاح وثَغْرُك باسم

تجاوزتْ مقدار الشجاعة والنُّهَى   إلى قولِ قومٍ أنت بالغيب عالم

ضَمَمْتَ جَناحَيْهِم على القلب ضَمَّةً   تَمُوتُ الخَوافِي تحتَها والقوادم

بضَرْب أتى الهاماتِ والنصرُ غائب   وصار إلى اللَّبّات والنصرُ قادم

حَقَرْتَ الرُدَيْنِيّات حتى طرحَتها   وحتى كأنّ السيف للرمح شاتم

ومَن طلبَ الفتحَ الجليل فانما   مفاتيحُه البيضُ الخِفاف الصوارم

نثَرْتَهُمُ فوق الأُحَيْدب نَثْرَةً   كما نُثِرت فوق العَروس الدراهم

تَدُوسُ بك الخيلُ الوُكُور على الذُّرى   وقد كَثُرَتْ حولَ الوُكُور المَطَاعم

تَظُنّ فِراخُ الفُتْخ أنك زُرْتَها   بأُمّاتِها وهي العِتاق الصَّلادم

اذا زَلِقَتْ مَشَّيْتَها ببطونِها   كما تتمشَّى في الصَعيد الأراقم

أفِي كل يوم ذا الدُّمُسْتُق مُقْدِمٌ   قَفاهُ على الإقدامِ للوجه لائم

أيَنْكر ريحَ الليث حتى يَذُوقَه   وقد عَرَفَت ريحَ الليوث البهائم

وقد فَجَعَتْه بابْنِه وابن صِهْره   وبالصِّهر حَمْلات الأمير الغواشم

مَضَى يشكُر الاصحابَ في فَوْته الظُّبا   بما شَغَلَتْها هامُهم والمَعَاصم

ويَفْهَم صوتَ المَشْرَفِيّة فيهمُ   على أن اصوات السُّيوف أعاجم

يُسَرُّ بما أعطاكَ لا عن جَهالةٍ   ولكنّ مَغْنُوما نَجا منك غانم

لك الحمد في الدُّرِّ الذي لِيَ لفظُه فانك مُعْطيه وانيّ ناظم
واني لَتَعْدو بي عطاياك في الوَغَى فلا أنا مذموم ولا أنت نادم
على كل طيّار إليها بِرِجْلِه اذا وقَعَت في مَسْمَعَيْه الغماغم
ألا أيها السيف الذي لستَ مُغْمَدًا ولا فيك مُرْتابٌ ولا منك عاصم
هنيئا لضرب الهام والمجد والعلا وراجيك والاسلام أنك سالم
ولِمْ لا يَقِي الرحمنُ حَدّيك ما وَقى وتَفْلِيقه هامَ العِدَى بك دايم

بعض حكم المتنبي

ذَلَّ مَن يَغْبِطُ الذليلَ بَعيْشٍ رُبَّ عيشٍ أخَفّ منه الحِمام
كل حِلْم أتى بغير اقْتدار حُجَّةٌ لاجئٌ إليها اللئام
مَن يَهُنْ يَسْهُل الهوان عليه ما لجُرْحٍ بميّتٍ ايلام

وقال أيضا

أفاضِلُ الناسِ أغراضٌ لِذَا الزَمَن يَخْلو من الهَمّ أخْلَاهُمْ من الفِطَن

وقال أيضا

واذا أتَتْكَ مَذَمّتي من ناقص فهى الشهادةُ لي بأنيّ كامل

وقال أيضا

ومن يُنْفِق الساعاتِ في جَمْع مالِه مخافةَ فَقْرٍ فالذي فَعَل الفقر

وقال أيضا

ومن نكَد الدنيا على الحرّ أن يَرَى عَدُوّا له ما من صَدَاقته بُدّ
وأُكْبِرُ نفسي عن جَراءٍ بِغيبةٍ وكلُّ اغتيابٍ جُهْدُ مَن لا له جُهْد

وقال أيضا

من الحلْم أن تَسْتعِمل الجهلَ دونَه اذا اتَّسعَت في الحلم طُرْقُ المظالِم

وقال أيضا

اذا لم تكن نفسُ النَسيب كأصلِه فماذا الذي تُغْني كِرامُ المَناصب

وقال أيضا

والهَمّ يَخْتَرِم الجَسيم نَحافةً ويُشيب ناصيةَ الصّبيّ ويُهْرِم
ذو العقل يَشْقَى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشَقاوة يَنْعَم
لا يَسْلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يُراق على جوانبه الدَمُ
والظُلم من شِيَم النُفوس فان تجِدْ ذا عِفّةٍ فَلِعِلّةٍ لا يَظلم
ومن البلية عَذْلُ مَن لا يَرْعَوِي عن جهله وخِطاب من لا يَفهم
والذُّلُّ يُظهر في الذليل مودّةً وأودّ منه لِمَن يَوَدّ الأرْقَم
ومن العَداوة ما يَنالك نفعُه ومن الصَداقة ما يضُرُّ ويؤلِم

وقال أيضا

يرى الجُبَنَاءُ أنّ العجز عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكلٌّ شجاعةٍ في المرء تَفْنَى   ولا مثلَ الشجاعِة في حكيم
وكم من عائبٍ قولا صحيحا   وآفتُه من الفهم السقيم

وقال أيضا

والأَسى قبل فُرْقِة الروح عجز   والاسى لا يكون بعد الفراق
والغِنَى في يد اللئيم قبيحٌ   قَدْرَ قُبْحِ الكريم في الاملاق

وقال أيضا

واذا كانت النُفوس كِبارًا   تَعِبَت في مُرادِها الاجسام

وقال أيضا

ولو كان النِساء كَمنْ فَقَدْنا   لَفُضِّلَتِ النساءُ على الرجال
وما التأنيث لاسِم الشمس عَيْبٌ   ولا التذكيرُ فجرٌ للهلال
فان تفُق الانامَ وأنت منهم   فانّ المسك بعضُ دم الغزال

وقال أيضا

مَن كان فوقَ محل الشمس موضِعُه   فليس يَرْفَعه شئٌ ولا يَضَع
فقد يُظَنّ شُجاعا مَن به خَرَقٌ   وقد يُظَنّ جبانًا مَن به زَمَع
انّ السلاحَ جميعُ الناس تحملُه   وليس كلُّ ذواتِ المخْلَب السُبع

وقال أيضا

وما الخوْف الا ما تَخَوّفَه الفتى   ولا الأمْن الا ما رآه الفتى أمْنا

وقال أيضا

وحيدٌ من الخِلّان في كل بلدةٍ   اذا عظُم المطلوبُ قلّ المساعِد
بذا قَضَت الايام ما بين أهلِها   مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد

وقال أيضا

وفي تَعَبٍ مَن يَحْسُد الشمسَ ضوءَها   ويَجْهَد أن يأتي لها بضريب

وقال أيضا

ومَن صَحِب الدنيا قليلا تقلَّبت   على عينه حتى يرى صِدقَها كِذْبا
ومَن تكن الأُسْد الضَواري جُدُودَه   يكن ليلُه صُبحَاً ومَطْعَمُه غَصْبا

وقال أيضا

أعيذُها نظَراتٍ منكَ صادِقةٍ   أن تَحْسَب الشحمَ فيمن شحمُه ورَمُ
وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره   اذا استوت عنده الانوار والظُّلَم
اذا رأيتَ نُيوبَ الليث بارزةً   فلا تَظُنَّنَّ أنّ الليثَ يبتسِم
وبيْنَنا لو رعيتم ذاك معرِفةٌ   انّ المعارِفَ في أهل النُّهى ذمَم
شرُّ البلاد مكانٌ لا صديقَ به   وشر ما يكسِبُ الانسانُ ما يَصِم
وشر ما قَنَصَتْهُ راحتي قَنَصٌ   شُهْب البُزَاة سواءٌ فيه والرُّخَم

وقال أيضا

لعلّ عَتْبَك محمودٌ عواقبه وربما صَحَّت الاجسام بالعِلل
لانّ حلْمَكَ حلْمٌ لا تُكَلَّفُهُ ليس التكحُّلُ في العينين كالكحل

وقال أيضا

وليس يَصحُّ في الافهام شئٌ اذا احتاج النهارُ إلى دليل

وقال أيضا

وما كَمَدُ الحسادِ شئٌ قصدتُه ولكنه مَن يَزْحَم البحرَ يَغْرِق
وإطراقُ طرف العين ليس بنافع اذا كان طرفُ القلب ليس بمُطْرِق

وقال أيضا

أيدري ما أرابَك مَن يُريب وهل تَرْقَى إلى الفَلَك الخُطوب

وقال أيضا

وما قَتَلَ الاحرارَ كالعفو عنهم ومَن لك بالحر الذي يَحْفظ اليَدا
اذا أنتَ أكرمْت الكريمَ ملكتَه وإن أنت أكرمتَ اللئيم تَمَرَّدا
ووضْعُ النَدى في موضِع السَيِف بالعُلَى مِضر كُوضْع السيِف في موضع الندى

وقال أيضا

وأتعب مَن ناداك مَن لا تُجيبه وأغيَظ مَن عاداك مَن لا تُشاكِل

وقال أيضا

على قَدْر أهل العَزْم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقال أيضا

وما الحُسْنُ في وجه الفتى شرفا له   اذا لم يكن في فعلِه والخلائق
وما بلدُ الانسان غيرُ الموافق   ولا أهلُه الأَدْنَوْنَ غيرُ الاصادق

وقال أيضا

واذا لم تجِدْ من الناس كفؤا   ذاتُ خِدْر تَمَنَّتِ الموتَ بعلا
واذا الشيخُ قال أفٍّ فما مَلَ   حياةً وانما الضعْفَ مَلَا
آلةُ العَيشِ صِحَّةٌ وشبابُ   فاذا وَلَّيا عن المرء ولَّى

وقال أيضا

واذا ما خلا الجبان بأرضٍ   طلب الطعنَ وحدَه والنِزالا
مَن أراد التماسَ شئ غِلابًا   واغْتِصابا لم يلتمِسْه سُؤالا
كلُّ غاد لحاجةٍ يتمنى   أن يكون الغضنفرَ الرِّئْبالا

وقال أيضا

الرأيُ قبلَ شَجاعة الشُّجعان   هو أولٌ وهى المحلّ الثاني
ولربما طَعَن الفتى أقرانَه   بالرأي قبل تطاعُن الأقران
لولا العُقول لكان أدنى ضَيْغَم   أدنى إلى شرفٍ من الانسان

وقال أيضا

وعادَ في طَلَب المتروك تارِكُهُ إنا لَنَغْفُل والأيام في الطلب
وما قَضَى أحدٌ منها لُبانَتَه ولا انتهى أرَبٌ الا إلى أرب
ومن تَفَكَّر في النيا ومُهجتِه أقامَه الفكر بينَ العجْز والتعب

وقال أيضا

اذا كنتَ ترضَى أن تعيش بِذِّلة فلا تَسْتعِدَّنّ الحسامَ ايمانِيا
فما يَنْفَع الأُسْدَ الحياءُ من الطَوَى ولاتُتَّقَى حتى تكونَ ضواريا
اذا الجود لم يُرْزَق خَلاصا من الآذى فلا الحمد مكسوبا ولا المالُ باقيا
وللنفس أخلاقٌ تَدُلّ على الفتى أكان سَخاء ما أتى أم تَساخِيا

وقال أيضا

فما الحداثةُ عن حلْمٍ بمانِعةٍ قد يوجد الحلم في الشُّبان والشِيب

وقال أيضا

وما الصارِم الهنديّ الا كغيرِهِ اذا لم يفارِقْه النِجاد وغِمدُه

وقال أيضا

اذا ساءَ فعلُ المرء ساءت ظُنونُه وصَدَّقَ ما يَعْتاده من تَوَهُّم
وأحْلُم عن خِلّي وأعلمُ أنه متى أجْزِهِ حلما على الجهل يَنْدَمِ
لمَنْ تطلُب الدنيا اذا تُرِد بها سرور مُحِبٍّ أو اساءَةَ مُجْرِمِ

وقال أيضا

انما تَنْجَح المقالة في المَرْ ء اذا وافَقَتْ هوًى في الفؤاد

وقال أيضا

وكلُّ امرئ يُولِي الجميل مُحَبَّبٌ وكلُّ مكان يُنْبِت العِزّ طَيِّبُ
ولو جازَ أن يَحْوُوا عُلاك وهبتَها ولكن من الاشياء ما ليس يوهب

وقال أيضا

ما كل ما يتمنى المرءُ يدرِكُه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقال أيضا

غيرَ أن الفتى يُلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا
واذا لم يكن من الموتِ بُدٌّ فمن العجز أن يكون جَبانا
كل ما لم يكن من الصَعْب في الان فُسِ سَهْلٌ فيها اذا هو كانا

وقال أيضا

لو لا المَشَقّة ساد الناسُ كلُّهم الجودُ يفْقِر والإِقدام قَتّال

وقال أيضا

ولم أرَ في عُيوب الناس شيأ كنَقْص القادرين على التمام

وقال أيضا

وللسّرِّ مني موضِع لا ينالُه   نديمٌ ولا يُفْضي إليه شرابُ
أعَز مكانٍ في الدُّنا ظَهْر سابح   وخير جَليسٍ في الزمان كتاب

وقال أيضا

ومَن جَهِلَتْ نفسُه قدرَه   رآى غيرُه منه ما لا يري

وقال أيضا

اين الذي الهَرَمانِ من بنيانِه   ما قومُه ما يومُه ما المصرَع
تَتَخَلّف الآثار عن أصحابِها   حينًا ويدرِكها الفناء فتتَبع

وقال أيضا

ولم تزل قِلَّة الانصاف قاطِعةً   بين الانام ولو كانوا ذوي رَحم

وقال أيضا

ذَريني أنَلْ ما لا يُنَال من العُلَى   فَصَعْب العلى في الصعب والسهل في السهل
تُريدينَ لِقْيان المعالي رَخيصةً   ولأُبَّ دونَ الشهد من إبَرِ النَحْل

قال أبو فراس الحَمْداني يَصف قتال سيف الدولة

لاهل قِنّسْرين وقبائل العرب

ولما سار سيفُ الدين سِرْنا كما هيَّجْتَ آسادًا غِضابا

أسِنَّته اذا لاقَى طِعانا صَوارِمه اذا لاقَى ضِرابا

دعانا والأسنة مُشْرَعات فكنّا عند دعوتِه الجوابا

صَنائع فاق صانِعُها ففاقت وغَرْسٌ طاب غارِسُه فطابا

وكنَّا كالسِّهامِ اذا أصابت مرامِيهَا فراميها أصابا

فلما اشتدّتِ الهيجاء كُنَّا أشدّ مخَالبًا وأحَدَّ نابا

وأمنع جانبًا وأعزَّ جارًا وأوفَى ذِمَّةً وأقلّ عابا

سقينا بالرماح بني قُشَير ببطْن العنتر السُّمَّ المُذابا

وسرنا بالخُيول إلى نُمَيرٍ تُجاذِبنُا أعِنَّتها جِذابا

ولما أيْقَنوا أن لا غِياثٌ دَعَوْه للمغوثة فاستجابا

وعادَ إلى الجميل لهم فعادوا وقد مدّوا لِمَا يهوىَ الرقابا

أمَرَّ عليهمُ خوفا وأمْنًا أذاقهمُ به أرْيًا وصابا

أحَلَّهم الجزيرةَ بعد يأس أخو حلم اذا ملَكَ العِقابا

ديارهم انْتَزَعناها اقْتِسارا وأرضهُمُ اغتصبناها اغتِصابا

ولو رُمْنا حميناها البوادي كما تَحْمي أسودُ الغاب غابا

اذا ما أرسل الأمَراء جيشا إلى الأعداء أرسلنا الكتابا
أنا ابنُ الضاربين الهامَ قِدْمًا اذا كَرِه المُحامون الضرابا
ألم تعلَم ومِثلُك قال حقا بأنيكنتُ أثْقَبَها شِهابا

كتب أبو بكر الخوارَزمي إلى تلميد له قد ظهر عليه الجُدَري

وصلَني خبر الجُدَري فنال مني وهَيّج حَزَني وراعَ قلبي وأسهر عيني وهذه العلة وان كانت مُوجِعة وفي رأي العين فظيعة شنيعة فانها إلى السلامة أقرب وطريقها إلى الحياة أقصَد لأنّ عينَ الطبيب تقع عليها وظاهِرُ الداءِ أسلم من باطِنه وبارِزُ الجُرْح أهون من كامِنه ولعَمْري انها تورثُ سوادَ اللون وتَذْهَبُ من الوجه بديباجة الحُسْن ولكن ذلك يسيرٌ في جنب السلامة للروح اللطيفة والنفس الشريفة ولستُ أستطيع لك غيرَ الدُّعاء لا أسأل صِحَّتَك الا ممن خلق عِلَّتَك وأرى لك أن تُحْسِن ظنَّك بربك وتستغفر من ذنبك وتجعل الصدقة شفيعَك واليقين طبيبَك وتعلم أنه لا داءَ أدْوَأ مِن أجَل ولا دواء أشْفَى من مَهَل ولا فراش أوطأ من أمَل شَفاك الله تعالى وحَسْبُك به طبيبا

المقامة الحِرْزية للبديع الهمذاني

حدثنا عيسى بن هِشام قال لما بَلَغَت بِيَ الغُربة بابَ الأبواب ورضيت من الغنيمة بالإِياب ودونَه من البحر وَثَّاب بغاربِه ومن السفن عَسّافٌ براكبه استخرتُ الله في القُفول وقعدْت من الفُلك بمثابة الهُلك ولما مَلَكْنا البحر وجَن علينا الليل غشيتْنا سحابة تَمُدّ من الامطار حِبالا وتَحُوذُ من الغَيْم جِبالا بريحٍ تُرْسِل الامواجَ أزواجا والامطار أفواجا وبَقِينا في يَدِ الحَيْن بين البحرين لا نَملِك عُدّةً غير الدُّعاء ولا حيلةً الا البكاء ولا عِصمةً غيرَ الرجاء وطويناها ليلةً نابِغيّة وأصبحنا نَتَباكى ونتشاكى وفينا رجل لا يَخْضَلّ جفنُه ولا تَبْتَلّ عينُه رَخِيّ الصدر مُنشرِحه نشيط القلب فرِحه فعجِبنا والله كلَّ العجب وقلنا له ما الذي آمَنَك من العطب فقال حِرْزٌ لا يَغْرَق صاحبُه ولو شئت أن أمنح كلًّا منكم حرْزًا لفعلْت فكلٌّ رَغِب إليه وألَحَّ في المسألة عليه فقال لن أفعلَ ذلك حتى يُعطِيَني كلُّ واحدٍ منكم دينارا الآن ويَعِدُني دينارا اذا سلِم قال عيسى بن هشام فَنَقَدناه ما طلب ووعدناه ما خطب وآبَتْ يَدُه إلى جَيْبه فأخرج قطعةَ ديباج فيها حُقَّة عاج قد ضمَّن صدرَها رِقاعًا وحَذَف كلَّ واحد منا بواحدة منها فلما سَلِمَت السفينة وأحَلَّتْنا المدينة اقتضى الناسَ ما وعدوه فتَقَبدُوه وانتهى الامرُ إليّ فقال دَعوه فقلتُ لك ذلك بعد أن تُعْلِمَني سِرّ حالك قال أنا من بلاد الاسكندرية فقلت كيف نَصرَك الصبرُ وخَذَلنَا فأنشأ يقول

وَيْكَ لولا الصبرُ ما كنتُ ملأتُ الكيسَ تِبْرا

لَن يَنال المجدَ مَن ضا ... ق بما يَغْشاه صَدْرا
ثم ما أعقبني السا ... عةَ ما أُعطيتُ ضُرّا
بل به أشتدُّ أزْرًا ... وبه أجبُر كسرا
ولَوَ انّيِ اليومَ في الغَرْ ... قَى لَما كُلِّفت عُذْرا

المقامة البشرية له

حدثنا عيسى بنُ هِشام قال كان بِشر بن عَوَانة العَبْدي صُعلوكا فأغار على ركَبْ فيهم امرأةٌ جميلة فتزوَّج بها وقال ما رأيت كاليوم فقالت

أعْجَبَ بِشْرًا حَوَرٌ في عَيْني ... وساعدٌ أبيضُ كاللَجَيْنْ
ودونَه مَسْرَحُ طَرف العين ... خُمْصَانَةٌ تَرْفُل في حِجْلَيْن
أحسنُ مَن يمشي على رجلين ... لو ضَمَّ بِشرٌ بينهما وبيني
أدامَ هجري وأطال بيني ... ولو يَقيس زَيْنَها بِزَّيْني

لَأْسفَر الصُّبْح لِذِي عَينين

قال بِشْرٌ وَيْحَك مَن عَنَيْتِ فقالت بنتَ عَمّك فاطِمة فقال أهِيَ من الحُسْن بحيث وصَفت قالت وأزيد وأكثر فأنشأ يقول

ويْحَكِ يا ذاتَ الثنايا البِيض ... ما خِلْتُني منكِ بمُسْتَعيض
فالآن اذ لَوَّحْتِ بالتعريض ... خَلَوْت جَوًّا فاصْفِري وبِيضِي
لا ضمَّ جَفْناىَ على تغميض ... ما لم أشِلْ عِرْضي من الحَضيض
(فقالت) كم خاطِبٍ في أمرِها ألَحَّا ... وهى إليك ابنةُ عَمّ لَحَّا

ثم أرسل منهم ان لم يُزَوِّجه ابنَته ومَنَعَه العَمّ أُمْنِيَّته فآلَى ألَّا يُرْعِي على أحد منهم ان لم يُزَوِّجْه ابنته ثم كَثُرَت مَضَرَّاتُه فيهم واتصلت مَعَرّاتُه إليهم فاجتمع رجال الحيّ إلى عمه وقالوا كُفّ عنا مجنونَك فقال لا تُلْبِسوني عارا وأمهِلوني حتى أُهلِكَه ببعض الحِيَل فقالوا أنتَ وذاك ثم قال له عَمُّه اني آليتُ أن لا أُزَوِّج ابنتي هذه الَّا ممن يَسوق إليها الفَ ناقةٍ مَهْرًا ولا أرضاها الا من نوقِ خُزَاعَةَ وغَرَضُ العم كان أن يَسْلُكَ بِشْرٌ الطريق بينه وبين خزاعة فيَفْتَرِسَه الاسد لأنّ العرب قد كانت تحامتْ عن ذلك الطريق وكان فيه أسدٌ يُسمى داذًا وحيَّة تُدْعَى شُجاعا يقول فيهما قائلُهم

أفْتَكُ من داذٍ ومن شُجاع ان يَكُ داذٌ سَيّد السباع

فانّها سَيّدة الافَاعِي

ثم انّ بِشْرًا سَلَك ذلك الطريق فما نَصَفَه حتى لَقِي الاَسد وقَمَصَ مُهْرُه فنزل وعَقَره ثم اخْتَرَطَ سيفَه إلى الاسد واعترضه وقَطَّه ثم كتب بِدَمِ الاسد على قميصه إلى ابنةِ عَمّه

أفاطِمُ لو شَهِدتِ ببطْنِ خَبْتٍ وقد لاقَى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشْرا
اذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًا زار لَيْثًا هِزَبْرًا أغْلبًا لاقَى هِزَبْرا
تَبَنْهَسَ حين أحْجَم عنه مُهرِي مُحاذَرَةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهرا
أنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ الارض اني رأيتُ الارضَ أثبتَ منك ظَهرا
وقلت له وقد أبَدى نِصالا مُحَدّدة ووَجْهًا مُكْفَهِرا
يُكَفْكف غِيلةً احدَى يَدَيه ويَبْسُط للوُثوب عليّ أُخْرَى

يَدُلّ بِمِخْلَب وبِحدّ ناب وباللّحَظات تَحْسَبُهن جَمْرا
وفي يُمْناىَ ماضي الحدّ أبقَى بمَضْرِبِ به قِراعُ الموت أُثْرا
ألم يَبْلُغْك ما فعلَت ظُباه بكاظمةٍ غَداةَ لَقِيتُ عَمْرا
وقلبي مثلُ قلبك ليس يَخْشى مُصاولةً فكيف يَخاف ذُعْرا
وأنتَ تَروم للاشبال قُوتًا وأطلبُ لابنه الاعمام مَهرا
ففيمَ تَسوم مِثلي أن يُوَلّي ويَجْعل في يديْك النفس قَسْرا
نصحتُك فالتَمِسْ يا ليثُ غيري طَعاما إنّ لَحْمي كان مُرّا
فلما ظَنّ أنّ الغشّ نُصْحي وخالَفني كأني قلت هُجْرا
مَشَى ومَشَيْت من أسَدَيْن رَاما مَرَامًا كان اذ طَلَباه وَعْرا
هَزَزْت له الحُسام فَخِلْت أني سَلَلْت به لَدَى الظَلْماء فَجْرا
وجُدْتُ له بجائشةٍ أرَتْه بأنْ كَذَبَتْه مامَنَّتْه غَدْرا
وأطلقتُ المُهَنَّد من يميني فَقَدّ له من الاضلاع عَشْرا
فَخَرّ مُجَدّلًا بدَم كأني هَدَمت به بناءً مُشْمَخِرًا
وقلت له يَعزّ علَيّ اني قتلتُ مُناسي جَلَدًا وفخرا
ولكن رُمْتَ شيأ لم يَرُمْه سواكَ فلم أطِقْ ياليثُ صبرا
تُحاوِلُ أن تُعَلِّمَني فِرارًا لَعَمْر أبيك قد حاولْتَ نُكْرا
فلا تجزع فقد لاقيتَ حُرًّا يُحاذِر أن يُعابَ فَمُتَّ حُرًّا

فلما بلغَت الابياتُ عَمَّه نَدِم على ما منعه تزويجها وخشِى أن تَغْتالَه الحَيّة فقام في أثَره وبَلَغَه وقد مَلَكَتْه سَوْرَةَ الحَيّة فلما رأى عَمَّه أخذته حَمِيّة الجاهلية فجعل يده في فَم الحية وحَكّم سيفَه فيها فقال

بِشْرٌ إلى المجد بعيدٌ هَمّهُ لما رآه بالعَراء عَمّهُ
قَد ثَكِلَتْه نفسُه وأمُّه جاشتْ به جائشةٌ تُهمّه
قامَ إلى ابنٍ للفلا يَؤُمُهُ فغابَ فيه يَدُه وكُمُّه

ونفسُه نفسي وسُمِّى سُمُّه

فلما قَتَل الحَيّةَ قال عَمّه اني عَرَّضْتُك طَمَعًا في أمرٍ قد ثَنَى اللهُ عِناني عنه فارجِع لأزوِجّكَ ابنتي فلما رجَعَ جعل بِشْرْ يملأ فَمَه فخرا حتى طَلَع أمْرَ كَشقّ القمر على فَرَسِه مُدَجَّجًا في سلاحه فقال بِشْرٌ يا عمّ اني أسمع حِسّ صَيْدٍ وخرج فاذا بغلام على قَيْدٍ فقال ثَكِلَتك أمُّك يا بِشْر أن قتلتَ دودةً وبَهيمة تملأُ ما ضِغيَك فخراَ أنت في أمانٍ إن سَلَّمْتَ عَمَّك فقال بشر مَن انت لا أُمَّ لك قال اليومُ الأسود والموتُ الأحمر فقال بشر ثَكلَتْك من سلَحَتَكْ فقال يا بشر ومَن سلَحَتَكْ وكَرّ كلُّ واحدٍ منها على صاحبه فلم يتمكن بشرٌ منه وأمكن الغلامَ عشرون طعنةً في كُلْيَةِ بِشرٍ كلما مَسَّه شَباَ السِنّان حَماه عن بَدَنِه إبقاءً عليه ثم قال يا بِشر كيف ترى اليس لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرمح ثم ألقَى رُمْحَه واستلّ سيفَه فضرب بِشرًا عشرين ضربة بعَرْض السيف ولم يتمكن بِشْرٌ من واحدة ثم قال يا بِشر سَلِّم عمّك واذهب في أمانٍ قال نعم ولكن بِشَريطة أن تقول من أنت فقال أنا ابْنُك فقال يا سبحان الله ما قارَبْتُ عَقيلةً قط فأنّي هذه المِنْحة فقال أنا ابن المرأة التي دَلَّتْك على ابنة عمك فقال بِشر

تلك العَصَا من هذه العُصَيّه هل تَلِد الحَيّة الا الحَيَّة

وحلفَ لارَكِب حِصانًا ولا تزوّج حَصانًا ثم زوّج ابنة عمه لابِنه

آداب الصداقة لابن مسكويه

يجب عليك متى حصل لك صَديقٌ أن تُكْثر مُراعاته وتُبالِغ في تَفَقده ولا تَسْتهين باليَسير من حقّه عند مُهِمّ يعرِض له أو حادثٍ يَحْدُث به فأما في أوقات الرخاء فينبغي أن تَلقْاه بالوجه الطَلقْ والخُلُقُ الرَحْب وأن تُظْهِر له في عينيك وحركاتك وفي هَشاشتك وارتياحاك عند مُشاهدته اياك ما يَزدْاد به في كلّ يوم وكل حالٍ ثِقةً بمودّتك وسُكونا إليك ويَرى السرور في جميع أعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لَقِيَك فانّ التَّحَفّي الشديد عند طَلْعة الصَديق لا يَخْفى وسُرور الشكل بالشكل أمْرٌ غير مُشْكِل ثم ينبغي أن تَفْعل مِثل ذلك بمن تَعْلَم أنه يُؤْثِره ويُحِبّه من صديق أو وَلَدٍ أو تابع أو حاشيةٍ وتُثْني عليهم من غير اسرافٍ يَخْرج بك إلى المَلَق الذي يَمْقُتُك عليه ويَظْهَر له منك تَكَلُّفٌ فيه وانما يتم لك ذلك اذا تَوَاخَيْتَ الصِّدق في كل ما تُثْني به عليه والزَمْ هذه الطريقة حتى لا يَقَع منك تَوَانٍ فيها بوجهٍ من الوجوه وفي حال من الاحوال فان ذلك يَجْلُب المحبة الخالصة ويُكْسِب الثِقة التامّة ويُهْديك مَحَبّة الغُرَباء ومَن لا معرفة لك به وكما أن الحَمام اذا أَلِف بُيُوتنا وآنَس لمجَالِسنا وطاف بها يجلب يَجْلُب لنا أشكاله وأمثاله فكذلك حالُ الانسان اذا عرفَنا واختلط بنا اختلاط الراغب فينا الآنس بنا بل يزيد على الحَيوان الغيْر الناطق بحُسْن الوَصْف وجميل الثناء ونشْر المحاسن

واعلم ان مُشاركة الصَديق في السَّرَّاء اذا كنت فيها وان كانت واجبةً عليك حتى لا تَسْتأثِرها ولا تختص بشئ منها فانّ مُشارَكته في الضَّرَّاء أوجب ومَوْقعها عنده أعظم وانظر عند ذلك إن أصابَتْه نَكْبة أو لَحَقَتْه مُصيبة أو عَثَر به الدهر كيف تكون مُواساتُك له بنفسك ومالِك وكيف يظهر له تَفَقُّدُك ومراعاتك ولا تَنْتَظِرَنّ به أن يسألَكَ تَصْريحا أو تَعْريضا بل اطَّلِعْ على قلبه واسْبِق إلى ما في نفسه وشارِكْه في مَضَض ما لَحِقه لَيخّف عنه وان بلغتَ مرتبةً من السلطان والغِنَى فاغْمِس اخوانَك فيها من غير امتنانٍ ولا تَطَاوُل وان رأيتَ من بعضهم نُبوًّا عنك أو نُقصانا مما عَهِدته فَداخِله زيادة مُداخلة واخَتلِط به واجتذِبه إليك فانك ان أنِفْتَ من ذلك أو تَدَاخلك شئ من الكبر والصَّلَف عليهم انتقضَ حَبْلُ المودّة وانْتَكَثَتْ قوّتُه ومع ذلك فلستَ تأمَنُ أن يزولوا عنك فتستحي منهم وتُضْطَرَّ إلى قَطيعتهم حتى لا تَنظر إليهم ثم حافِظْ على هذه الشروط بالمداومة عليها لتَبْقى المودّة على حالٍ واحدةٍ وليس هذا الشرط خاصّا بالمودّة بل هو مُطَّرد في كل ما يَخُصّك اعني أن مَركوبَك وملبوسَك ومنزلك متى لم تُراعها مراعاة متصلةً فَسَدَت وانتقضت فاذا كانت صورة حائطك وسُطوحك كذلك ومتى غَفَلْت أو توانيتَ لم تأمن تَقَوُّضَه وتَهَدُّمَه فكيف ترى أن تَجْفو من تَرْجوه لكل خَير وتَنْتَظر مشاركته في السَّرَّاء والضَّرَّاء ومع ذلك فان ضرر تلك يَختص بك بمنفعةٍ واحدةٍ وأما صَديقُك فَوجُوه الضرر التي تدخل عليك بجَفائه وانتقاض مَوَدَّتَه كثيرةٌ عظيمة ذلك أنه يَنْقَلِب عَدُوّا وتَتَحَوّل منافعه مَضارّ فلا تأمن غوائلَه وعداوتَه مع عَدَمك الرغائبَ والمنافع به وينقطع رجاؤُك فيما لا تَجد له خَلَفًا ولا تستفيد عنه عِوَضا ولا يَسُدّ مَسَدّه

شيءٌ واذا راعيتَ شروطَه وحافظتَ عليها بالمداومة أمِنْتَ جميع ذلك ثم احْذَر المِراءَ معه خاصَّة وان كان واجبا أن تَحْذُره مع كل أحد فان مُماراة الصَدیق تَقْتَلِع المودّة من أصلها لأنها سببُ الاختلاف والاختلافُ سببُ التبايُن الذي هَرَبْنا منه إلى ضدّه وقَبَّحْنا أثَرَه واخترنا عليه الأُلْفَة التي طلبناها وأثنينا عليها وقلنا ان الله عز وجل دَعا إليها بالشَريعة القَويمة واني لأعِرف مَن يُؤْثِر المِراء ويزعم أنه يَقْدَح خاطِرَه ويَشْحَذ ذِهنه ويُثِير شُكوكَه فهو يَتَعَمَّد في المحافِل التي تَجْمَع رؤساء أهل النظر ومُتعاطي العُلوم مُماراة صَديقه ويَخْرُج في كلامه معه إلى ألفاظ الجُهّال من العامّة وسُقّاطِهم ليزيد في خَجَل صديقه وليُظْهِر تَبَلُّجَه وليس يفعل ذلك عند خَلْوَته به ومُذاكَرَته له وانما يفعله حين يَظُنّ به أنه أدَق نظرا أو أحضر حُجّة وأغْزَر علما وأحَدّ قريحة فما كنتُ أُشَبّهه الا بأهل البَغْي وجَبابرة أصحاب الاموال والمشَبَّهين بهم من أهل البدَع فان هؤلاء يستحقر بعضُهم بعضا ولا يزال يُصَغِّر ويَزْدري على مُرُوءته ويَتَطَلَّبُ عُيوبَه ويَتَتَبَّع عَثَراته ويُبالغ كلُّ واحدٍ فيما يقدر عليه من اساءةِ صاحبه حتى يؤدّي بهم الحال إلى العَداوة التامة التي يكون معها السِّعايَة وازالة النعَم وتُجاوز ذلك إلى سَفْك الدَّمِ وأنواع الشُّرور فكيف يثبُتُ مع المِرَاء محبةٌ ويُرْجَى به أُلفْةَ ثم احْذَر في صَديقك ان كنتَ متحققا بِعلْم أو مُتَحَلِّيا بأدب أن تَبْخَل عليه بذلك الفنّ أو يرى فيك أنك تُحِبّ الاستبِدادَ دونَه والاستئثار عليه فان أهل العلم لا يَرَى بعضُهم في بعضٍ ما يراه أهلُ الدنيا بينَهم ذلك أن مَتاع الدنيا قليل فاذا تَزَاحم عليه قومٌ ثَلَم بعضُهم حالَ بعض ونَقَص حَظّ كل واحدٍ من حظ الآخَر وأما العلم فانه بالضّدّ وليس أحد يَنْقُص منه ما يأخُذه غيرُه بل يَزْكُو على

النفقة ويَرْبُو مع الصَداقة ويَزيد على الانفاق وكثرة الخَرْج فاذا بَخِل صاحب علْمٍ بعلْمه فانما ذلك لأحوالٍ فيه كُلُّها قبيحة وهى أنه إمّا أن يكونَ قليلَ البضاعة منه فهو يَخاف أن يَفْنَى ما عنده أو يَرِد عليه ما لَا يعرفه فيزول تَشَرّفه عند الجُهّال وإما أن يكون مكتسِبا به فهو يَخْشَى أن يَضيق مكسبُه به ويَنْقُص حَظّه منه وإما أن يكون حَسودا والحسود بعيدٌ من كل فَضيلة لا يَوَدُّه أحٌدٌ واني لأعرف مَن لا يَرْضَى بأن يبخل بعلم نفسه حتى يَبْخَل بعلم غيره ويُكْثر عَتْبَه وسَخَطه على مَن يُفيد غيرَه من التلاميذ المستحقين لفائدةِ العلم وكثيرا ما يَتوصل البعضُ إلى أخذ الكُتب من أصحابها ثم مَنْعِهِم منها وهذا خُلُق لا تَبْقى معه مَوَدّة بل يَجْلُبُ إلى صاحبه عَداوات لا يَحْسَبُها ويَقْطَعُ أطْماعَ أصدقائه من صَداقته ثم احْذَر أن تَنْبَسط بأصحابك ومَن يَخْلو بك من أتباعك وتَحْمِل أحدا منهم على ذِكْر شئ في نفسه ولا تُرَخِّص في عَيْب شئ يَتَّصل به فَضْلا عن عَيْبه ولا يَطْمَعَنّ أحدٌ في ذلك من أولِي أنْسابك والمُتَّصِلين بك لا جِدًّا ولا هَزْلا وكيف تَحْتَمِل ذلك فيه وأنتَ عَيْنُه وقلبُه وخليفتُه على الناس كلهم بل أنتَ هو فانه ان بَلَغَه شئ مما حَذَّرْتُك منه لم يَشُك أن ذلك كان عن رأيك وهَواك فَيَنْقَلِب عَدُوّا ويَنْفِر عنك نُفُور الضّدّ فان عرفتَ منه أنتَ عَيْبًا فوافِقْه عليه مُوافقةً لطيفة ليس فيها غِلْظة فان الطَّبيب الرفيق ربما بَلَغ بالدواء اللطيف ما يبلُغه غيرُه بالشّقّ والقطع والكيّ بل ربما تَوَصَّل بالغِذاء إلى الشِفاء واكتفي به عن المعالجة بالدواء ولستُ أَحِبّ أن تُعْرفه في صَديقك وأن تترك موافقتَه عليه بهذا الضَرْب من الموافقه فان ذلك خِيانة منك ومُساَمحَة فيما يعود ضَرَرُه عليه ثم احْذَر النَميمة وسَماعَها وذلك أن الاشرار يَدْخُلون بين

الاخيار في صورة النُصَحاء فَيوهِمونَهُم النصيحة ويَنْقُلون إليهم في عُرْض الاحاديث اللذيذة أخبار أصدقائهم مُحَرّفةً مُمَوّهة حتى اذا تجاسروا عليهم بالحديث المُخْتَلَقِ يُصَرّحون لهم بما يُفْسِد مودّاتهم ويُشوّه وجوهَ أصدقائهم إلى أن يُبغِض بعضُهم بعضا وللقُدمَاء في هذا المعنى كُتُبٌ مؤلَّفَة يُحَذِّرون فيها من النميمة ويُشبّهون صورةَ النمَّام بمَن يَحُكّ بأظافيره أصولَ البُنْيان القوية حتى يُؤَثِرّ فيها ثم لايزال يزيد ويُمْعِن حتى يُدْخِل فيها المِعْوَل فَيَقْلَعَه من أصله ويَضْرِبون له الامثال الكثيرة المُشَبَّهَة بحديث الثَوْر مع الأسد في كتاب كَليلةَ ودِمْنَة ونحن نكتفِي بهذا القَدْر من الايماء لئلا نَخْرُج عَمّا بَنَيْنا عليه مَذْهَبَنا من الايجاز في الشرح ولستُ أترك مع الايجاز والاختصار تعظيمَ هذا الباب وتكريره عليك لتعلم أن القُدَماء انما ألَّفُوا فيه الكتب وضربوا له الامثال وأكثروا فيه من الوَصايا لِمَا وراءَه من النَفْعِ العظيم عند السامعين من الاخيار ولِما خافوه من الضَرر الكثير على مَن يَسْتَهين به من الأعْمار ولُيعْلم المَثَل المضروب في السِّباع القوية اذا دخَل عليها الثَعْلَب الرَّوّاغ على ضَعْفه أهْلَكَها ودَمَّرَها وفي المُلوك الحُصَفاء يَدْخُل بينهم أهل النميمة في صورة الناصحين حتى يُفْسِدوا نيَّتَهم على وُزَرائهم المُبالِغين في نصيحتهم المجتهدين في تثبيت مُلْكهم إلى أن يَغْضَبوا عليهم ويَصرفوا بها عُيونَهم عنهم ويَصيروا من مَحَبّتهم وايثارهم على آبائهم وأولادِهم إلى أن لا يَمْلَؤُا عُيونَهم منهم وإلى أن يَبْطشوا بهم قَتْلا وتَعْذيبا وهم غيرُ مُذْنِبين ولا مُجْتَرمين ولا مُسْتحِقين الا الكرامة والاحسان فاذا بلغ بهم من الافساد والاضرار ما بَلَغوه من هؤلاء فبالأحْرَى ان يَبْلُغوه منا اذا لم يجدوه في أصْدقائنا الذين اخترناهم على الايام وادّخرْناهم للشدائد وأحْلَلْناهم مَحَلّ

أرواحنا وزِدْناهم تَفَضّلا واكراما ويَتَبَيّن لك من جميع ما قَدّمناه أنّ الصداقة وأصناف المَحَبّات التي تتمّ بها سعادة الانسان من حيث هو مَدَنِيٌّ بالطبع انما اختلفتْ ودخل فيها ضُروب الفَساد وزال عنها معنى التَّأخي وعرض لها الانتشار حتى احْتَجْنا إلى حِفْظِها والتَعَب الكثير بِنِظامها من أجْل النَقائص الكثيرة التي فينا وحاجَتِنا إلى اتمامِها مع الحوادث التي تَعْرِض لنا من الكَوْن والفساد فانّ الفضائل الخِلْقيّة انما وُضِعَت لأجل المُعاملات والمُعاشَرات التي لا يَتم الوُجود الانساني الا بها ذلك أن العَدْل انما احتِيج إليه لتصحيح المعاملات وليَزولَ به معنَى الجَوْر الذي هو رذَيلة عند المُتعامِلين وانما وُضِعَت العِفّة فَضيلة لأجل اللذات الرديئة التي تَجْني الخِيانات الفظيعة على النفْس والبَدَن وكذلك الشجاعةُ وُضِعت فضيلةً من أجل الامور الهائلة التي يجب أن يُقْدِم الانسانُ عليها في بعض الاوقات ولا يَهْرُب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التي وصَفناها وحَضَضْنا على اقتِنائها وأيضا فانّ جميع هذه الفضائل تحتاج إلى اسباب خارجة من الاموال واكتسابها من وُجوهها ليُمْكنَه أن يفعل بها فعلَ الاحْرَار والعادِل يحتاج إلى مِثل ذلك ليُجازِي مَن عاشَرَه بجميل ويُكافِئ مَن عامَله باحسانٍ وجميعُها لا تقوم الا بالابدان والابدان والانْفُس وما هو خارجٌ عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكلما كانت الحاجات كثيرةً احْتِيج إلى الموادّ الخارجه عنّا أكثر فهذه حالُة السعادات الانسانية التي لا تتم لنا الا بالافعال البَدَنية والاحوال المدنية وبالأعْوان الصالحين والأصدقاء المخِلصين وهى كما تراها كثيرة والتَعَب بها عظيم ومَن قَصّرَ فيها قَصَّرَتْ به السعادة الخاصّة به ولذلك صار الكَسَل ومَحَبّة الرَاحة من أعظم الرذائل

لأنهما يَحُولانِ بين المَرْء وبين جميع الخيرات والفضائل ويَسْلُخان الانسانَ من الانسانية ولذلك ذَمَمْنا بعضَ المُتَوَسِّمين بالزُهْد اذا تَفَرّدوا عن الناس وسَكَنوا الجبالَ والمَفازات واختاروا التَوحّش الذي هو ضدّ المدنية لانهم ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية التي عددناها كلها وكيف يعفّ ويَعْدل ويسْخُو ويَشْجُع مَن فاروق الناسَ وتَفَرَّد عنهم وعَدِم الفضائلَ الخِلْقيَّة وهل هو الا بمنزلة الجَماد والمَيّت وأما محَبّة الحِكمة والانْصِراف إلى التَصَوّر العقلي واستعمال الآراء الالهية فانها خاصة بالجُزْء الالهي من الناس وليس يَعْرِض لها شئ من الآفات التي تَعْرض للمَحَبّات الأُخَر الخِلقية وضُروب الفساد ولذلك قُلْنا انها لا تَقْبَل النميمة ولا نَوْعا من أنواع الشُرور لأنها الخَيْر المَحْض وسَبَبُها الخير الاوّل الذي لا تَشُوبه مادة ولا تَلْحَقه الشُّرور التي في المادة وما دام الانسان يستعمِل الأخلاق والفضائل الانسانية فانها تَعُوقه عن هذا الخير الاوّل وهذه السعادةِ الالهية ولكن ليس يَتِم له الا بتلك ومن أضَلّ تلك الفضائل بنفسه ثم اشتغل عنها بالفضيلة الالهية فقد اشتغل بذاته حقّا ونَجا من مُجاهَدات الطبيعة وآلامها ومن مجاهدات النفس وقُواها وصار مع الارواح الطّيبة واختلَطَ بالملائكة المقرّبين فاذا انتَقل من وجوده الاوّل إلى وجوده الثاني حصل في النعيم الأبَدِي والسرور السرمدي

وقال ابن حَمْديس الأندَلُسي في وصف بركة
عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتِها أسود قاذِفة بالمياه

وضَرَاغِم سَكَنَتْ عَرينَ رَآسَةٍ   تَرَكَتْ خَرير الماءِ فيه زَئيرا
فكأنما غَشَّى النُّضَار جُسومَها   وأذابَ في أفْواهِها البَلوُّرا
أُسْدٌ كأنّ سُكونَها مُتَحَرّك   في النفس لو وَجَدَتْ هناك مُثيرا
وتَذَكَّرَت فتكاتِها فكأنما   أقْعَتْ على أدبارِها لتَثورا
وتَخالُها والشمس تَجْلُو لونَها   نارًا وألْسُنَها اللواحِسَ نورا
فكأنما سَلَّتْ سُيوفَ جداوِلٍ   ذابَتْ بلا نارٍ فَعُدْن غَديرا
فكأنما نَسَج النسيمُ لمائه   دِرْعا فَقَدَّر سَرْدَها تقديرا
وبدَيعة الثَمَراتِ تَعْبُرُ نحوَها   عيناي بحرَ عجائبٍ مَسجورا
شَجَرِيّة ذَهَبِيّة نَزَعَتْ إلى   سِحْر يُؤَثِّر في النُهىَ تأثيرا
قد سُرِّجَتْ أغْصانَها فكأنما   قبضت بهنّ من الفَضاء طُيورا
وكأنما تَأْبَى لِوَقْع طَيْرُها   أن تَسْتَقل بنَهْضِها وتَطيرا
من كل واقعةٍ ترى مِنقارَها   ماءً كَسَلْسالِ اللّجين نَميرا
خُرْس تُعَدّ من الفِصاح فان شَدَت   جَعَلَتْ تُغَرِّد بالمياه صَفيرا
وكأنما في كل غصنٍ فضّة   لانَتْ فأرُسلَ خَيْطُها مجرورا
وتُريك في الصِهريج مَوْقع قَطْرِها   فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحِكَتْ محَاسنُه إليك كأنما   جُعِلَت لها زُهْرُ النُجومِ ثُغورا
ومُصَفّح الأبواب تِبْرًا نَظّروا   بالنقش فوق شكُولِه تنظيرا

واذا نظرتَ إلى غرائب سَقْفِه | أبصرت رَوْضًا في السماء نَضيرا
وضَعَتْ به صُنّاعُها أقلامَها | فأرَتْك كلَّ طَريدةٍ تصويرا
وكأنما للشمس فيه لِقَةٌ | مَشَقُوا بها التزويق والتشجيرا
وكانما اللّازْوَرْدُ فيه مُخَرّمِ | بالخطّ في ورق السماءِ سطورا

مَرْثية أبي الحسن الأنباري للوزير أبي طاهر

لما اسْتَعَر الحرب بين عِزّ الدولة بن بُوَيِه وابن عمّه عَضُد الدولة ظفِر عَضُد الدولة بوزير عزّ الدولة أبي طاهر محمد بن بَقيّة فسلّمه وشَهَّرَه وعلى رأسه بُرْنُس ثم طَرَحه للفيَلة فقَتَلته ثم صَلَبه عند داره بباب الطاق وعُمْرُه نَيّف وخمسون سنة ولما صُلِب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانباري أحد العُدول ببغداد بهذه القصيدة الغرّاء فلما وقف عليها عَضُد الدولة قال ودِدْتُ لو أني المصلوب وتكون هذه القصيدة فيّ

عُلُوٌّ في الحياة وفي الممات | لَحَقٌّ تلك احدى المعجزات
كانّ الناس حولك حين قاموا | وفودُ نَدَاك أيامَ الصِلات
كأنك قائمٌ فيهم خطيبا | وكلُّهُم قيامٌ للصَّلاة
مَدَدْتَ يديكَ نحوَهم احتفاءً | كَمَدِّهما إليهم بالهِبات
ولما ضاق بطنُ الارض عن أن | يضُم عُلاك من بعد الوَفاة
أصاروا الجوّ قبرَك واستعاضوا | عن الأكفان ثوبَ السافيات

لعُظْمِك في النفوس بقيتَ تُرْعى بِحُرّاسٍ وحُفّاظٍ ثِقات
وتُوقَد حولَك النيرانُ ليلا كذلك كنتَ أيامَ الحياة
ركِبتَ مَطيةً من قبلُ زَيْدٌ عَلاها في السنين الماضيات
وتلك قضيةٌ فيها تأسٍّ تُباعِد عنك تعيير العُداة
ولم أر قبلَ جذْعِك قطُّ جِذعا تمكَّنَ من عِناق المَكْرُمات
أسأتَ إلى النوائب فاستثارت فأنتَ قتيلُ ثار النائبات
وكنتَ تُجير من صَرْف الليالي فصار مُطالبا لك بالتِّرات
وصَيَّر دهرُكَ الاحسانَ فيه إلينا من عظيم السيئات
وكنتَ لمَعْشر سعدًا فلما مضيتَ تَفرَّقوا بالمُنْحِسات
غَليلٌ باطِنٌ لك في فؤادي يُخَفَّفُ بالدُّموع الجاريات
ولو أني قَدَرْتُ على قيام بفرضك والحُقوق الواجبات
ملأتُ الارضَ من نظم القوافي ونُحْتُ بها خلافَ النائحات
ولكنّي أَصَبِّر عنك نفسي مخَافة أن أُعَدّ من الجُناة
وما لك تُرْبَةٌ فأقول تُسْقَى لانك نُصْبُ هَطْل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تَتْرَى برحَمْاتٍ غَوَادٍ رائحات

وقال محمد بن زريق البغدادي وكان قصد الاندلس في طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه

لا تَعْذُليه فانَّ العذْل يُولِعه قد قُلْت حقًّا ولكن ليس يَسْمَعه

جاوَزْتِ في لَوْمِهِ حَدّا أضَرَّ به من حيث قَدّرتِ أنّ اللوم ينفعه

فاسْتعمِلي الرِفْقَ في تأنيبه بدلًا من عُنْفه فهو مُضْنيَ القلب مُوجَعهُ

قد كان مُضطلِعا بالخَطْب يَحْمِله فَضُيّقَت بخُطوب البَين أضْلُعُه

يكفيه من لَوْعة التَفْنيد أن له من النَّوى كلَّ يوم ما يُرَوّعه

ما آبَ من سَفَرٍ الا وأزْعَجه رأيٌ إلى سَفَرٍ بالعزْم يَجْمَعه

كأنما هو من حِلّ ومُرْتحل مُوَكَّلٌ بفضاء الارض يَذْرَعه

اذا الزَّماعُ أراه في الرحيل غِنًى ولو إلى السِنْد أضحى وهو يُزْمِعُه

تأبَى المَطامع الا أن تُجَشّمَه للرزْق كدّاً وكم ممن يودّعه

وما مُجاهَدة الانسان تُوصِلُه رِزْقا ولا دَعَة الانسان تَقْطَعُه

واللهُ قَسَّم بينَ الخلق رزقَهُمُ لم يَخلق اللهُ مخلوقا يُضَيّعه

لكنهم مُلِئُوا حِرْصًا فلستَ ترى مُسْتَرْزقا وسوى الغايات يقْنِعُه

والسَعْيُ في الرزق والارزاقُ قد قُسِمت بَغْيٌ ألا إنّ بَغْيَ المرء يَصْرَعه

والدهر يُعطي الفتَى ما ليس يطلُبُه يوما ويمنعُه من حيث يُطعِمُه

أستودِع الله في بَغْداد لِي قمرا بالكَرْخ من فَلَكِ الأَزْرارِ مَطْلَعُه

ودَّعْتُه وبِوُدّي لو يُوَدِّعُني صَفْو الحياة وأني لا أودّعه

وكم تَشَفَّع أني لا أفارِقه وللضرورات حالٌ لا تُشَفِّعه

وكم تَشَبّثَ بي يومَ الرحيل ضُحًى وأدمُعى مُسْتَهِلّات وأدمُعه

لا أُكْذِبُ اللهَ ثَوْبُ العُذْر مُنْخَرق عني بفُرقته لكن أرَقّعُه
اني أَوَسع عُذري في جِنايَته بالبَين عنه وقلبي لا يُوَسعُه
أُعطيتُ مُلْكًا فلم أُحسِنْ سياستَه كذاك مَن لا يَسُوس المُلْك يَخْلَعُه
ومَن غدا لابِسًا ثوبَ النعيم بِلا شُكْرِ الاله فعنْه اللهُ يَنْزعُه
اعْتَضْتُ عن وجه خِلّي بعد فرقتِه كأسا أُجَرَّعُ منها ما أُجَرَّعُه
كم قائل لِيَ ذنبُ البَين قلت له الذنب والله ذنبي لستُ أدفعه
هلّا أقمتُ فكان الرُّشْد أجمعه لو أنني يومَ بانَ الرشدُ أتبعُه
اني لأقطع أيامي وأُنفِدُها بحسرةٍ منه في قلبي تُقَطّعه
بِمَن اذا هجع النُّوّام بِتُّ له بِلَوعةٍ منه ليلي لستُ أهجَعُه
لاَ يطمئن لجَنْبي مضجَعٌ وكذا لا يطمئن له مُذْ بِنْت مضْجَعُه
ما كنت أحسِب أن الدهر يفجَعُني به ولا أنّ بي الايامُ تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيَدٍ عَسْرَاء تمنعُني حِظّي وتمنعُه
بالله يا منزل القَصْف الذي دَرست آثارُه وعفَتْ مذ غبتُ أربُعُه
هل الزمانُ مُعيدٌ فيك لَذَّتَنا أم الليالي التي أمْضَتْه تُرْجِعُه
في ذمّة الله مَن أصبحتَ منزلَه وجادَ غيثٌ على مَغْداك يمرعُه
مَن عنده لِيَ عهدٌ لا يضيّعُه كما له عهدُ صِدقٍ لا أُضيعه
ومَن يُصَدّع قلبي ذِكرُه واذا جرى على قلبه ذكري يصدّعه
لاصْبِرَنّ لدهرٍ لا يمتّعُني به ولا بِيَ في حالٍ يمتعه
علما بأن اصطباري مُعْقب فَرَجا وأضيقُ الامر ان فكَّرْتَ أوسَعه
علّ الليالي التي أضْنت بفُرقِتنا جسمي ستَجمعني يوما وتجمعه
وان تَنَل أحدا منا مَنّيتُه فما الذي بقضاء الله يصنعه

قال أبو العلاء المعري يفتخر

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عَفاف وإقدام وحَزْم ونائل
أعندي وقد ما رستُ كل خفية يُصدَّق واشٍ أو يُخَيَّب سائل
تُعَدّ ذُنوبي عند قوم كثيرةً ولا ذنبَ لي الا العُلَى والفضائل
كأني اذا طُلْتُ الزمانَ وأهلَه رجَعتُ وعندي للانام طَوائل
وقد سار ذكرى في البلاد فَمَن لهم باخفاءِ شمسٍ ضوؤُها متكامل
يُهِمُّ الليالي بعضُ ما أنا مُضْمِر ويَثْقُل رَضْوَي دونَ ما أنا حامل
واني وان كنتُ الاخيرَ زمانُه لآت بما لم تَستطعه الاوائل
وأغْدو ولو أنّ الصباحَ صَوارمٌ وأسْرِي ولو أنّ الظلام جَحافل
واني جواد لم يُحَلّ لِجامُه ونَصْلُ يَمَانٍ أغْفَلَتْه الصيافل
فان كان في لُبْس الفتى شرفٌ له فما السيفُ الّا غِمْدُه والحَمَائل
ولي مَنطِقٌ لم يَرْض لي كُنْهَ منزِلي على أنني بَيْنَ السِمَاكين نازل
لَدَي موطنٍ يشتاقه كل سيّد ويَقْصُر عن ادراكه المُتَناوِل
ولَمّا رأيتُ الجهلَ في الناس فاشِيا تجاهلتُ حتى ظُنّ أنيَ جاهل
فوا عَجَباكم يدَّعِي الفضلَ ناقص ووا أسفَاكم يُظهِر النقصَ فاضِل
وكيف تَنام الطيرُ في وَكناتِها وقد نُصِبت للفَرْقَدين الحبائل
يُنافِس يومي فِيَّ أمْسِي تشرُّفا وتَحْسُد أسحاري عليَّ الاصائل
وطال اعترافي بالزمان وصَرْفه فلستُ أبالِي مَن تَغُول الغوائل

فلو بانَ عَضْدي ما تأسَّف مَنْكِبي ولو مات زَنْدي ما بكَتْه الانامل

اذا وَصَفَ الطائيَّ بالبُخْل ما دِرٌ وعَيَّر قُسًّا بالفَهاهة باقِل

وقال السُّهَى للشمس أنتِ ضَئيلة وقال الدُجَى للصُبْح لونُك حائل

وطاولَت الأرضُ السماءَ سَفَاهة وفاخَرَت الشُهْبَ الحَصَى والجنادل

فيا موتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذميمةٌ ويا نفسُ جِدّي انّ دهرَك هازل

ومن شعر ابي الحسن التّهامي

قصيدته الفريدة البالغة في بابها غاية لم يبلغها سواها التي يرثي في أولها

صغيرا له أجاب داعي ربه ويفتخر في آخرها بفضله

ويشكو زمانه وحاسديه وهى هذه

حُكْمُ المنيّة في البرية جارِ   ما هذه الدنيا بِدار قَرار

بَيْنا يُرَى الانسانُ فيها مُخْبِرا   حتى يُرَى خَبرًا من الاخبار

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُرِيُدها   صَفْوًا من الأقذار والاكدار

ومُكَلِّف الأيامِ ضِدَّ طِباعِها   مُتَطَلِّب في الماء جَذْوةَ نار

واذا رَجَوْتَ المستحيلَ فانما   تَبْنِي الرجاءَ على شَفيرٍ هار

فالعيشُ نومٌ والمنيّة يقظةٌ   والمرءُ بينهما خيالٌ سار

فاقضوا مآربكم عجِالا انما   أعماركم سفرٌ من الاسفار

وتراكضوا خيلَ الشباب وبادِروا   أن تُسْتَرَدَّ فانهنّ عَوار

فالدهر يَخْدَع بالمُنَى ويُغِصّ ان   هَنّا ويَهْدِم ما بَنَى بِبَوار

ليس الزمانُ وان حَرَصْتَ مُسَالِمًا   خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الاحرار

اني وُتِرْتُ بصارمٍ ذي رَوْنَقٍ   أعْدَدْتُه لِطلابةَ الاوتار

والنفسُ ان رَضيت بذلك أو أبَتْ   مُنْقادة بأزِمّة المقدار

أثْني عليه بِأثْرِهِ ولَو انّه   لم يُعْتَبَطْ أثنيتُ بالآثار

يا كوكبا ما كان أقْصَر عُمْرَه   وكذاك عُمْرُ كواكِب الاسحار
وهلالَ أيامٍ مضَى لم يَسْتَدِرْ   بدرًا ولم يُمْهَل لوقتِ سِرار
عَجِل الخُسوفُ عليه قبلَ أوانه   فمحاه قَبْل مَظِنّة الإبدار
واستُلّ من أتْرابه ولِدَاتِهِ   كالمُقْلة اسْتُلّتْ من الاشفار
فكأنّ قلبي قَبْرُه وكأنه   في طَيّه سِرُّ من الاسرار
ان يُعْتَبَطْ صِغَرًا فَرُبَّ مُقَمّمٍ   يَبْدو ضَئيلَ الشخص للنُّظَّار
انّ الكواكبَ في عُلُوّ محلّها   لَتُرَى صِغارًا وهى غير صغار
وَلَدُ المُعَزَّى بعضُه فاذا مضى   بعضُ الفتَى فالكلُّ في الآثار
أَبْكيه ثم أقول معتذِرا له   وُفّقْتَ حين تَركتَ أَلْأَمَ دار
جاوَرْتُ أعدائي وجاوَرَ رَبَّه   شَتَّانَ بين جِوارِه وجِواري
أشكو بِعادَك لي وأنتَ بموضعٍ   لولا الردَى لَسَمِعْتَ فيه مَزاري
والشرقُ نحوَ الغرب أقربُ شُقَّةً   من بُعد تلك الخمسة الاشبار
هيهاتَ قد عَلِقَتكَ أسبابُ الردَى   واغتالَ عمركَ قاطع الاعمار
ولقد جَرَيْتَ كما جريتُ لغاية   فبلغتَها وأبوكَ في المِضمار
فاذا نطقتُ فأنت أولُ منطِقي   واذا سكتُّ فأنت في اضماري
أخفِي من البُرَحاءِ نارًا مثلَ ما   يُخفِي من النار الزنادُ الواري
وأَخَفِّض الزَفَراتِ وهى صَواعِد   وأُكفكفُ العَبَراتِ وهى جَوار
وشِهابُ نارِ الحُزْن ان طاوَعْتُه   أوْرَي وان عاصَيْتُه مُتَوارِي
وأكُفُّ نِيرانَ الأسَى ولَرُبما   غُلِب التَصَبُّرُ فارْتَمَتْ بشَرار
ثوبُ الرياءِ يَشِفّ عما تحتَه   واذا التحَفْتَ به فانك عار
قَصُرَت جُفوني أم تَباعَدَ بَيْنُها   أم صُوّرَتْ عيني بلا أشفار

جَفَت الكَرى حتى كأَنّ غِرارَه عند اغتماض العين وَخْزُ غِرار
ولو اسْتَزَارَتْ وقدةً لَطَحَا بِها ما بَين أجفاني من التَّيَّار
أحيي الليالي التّمِ وهى تُميتُني ويُميتُهُنّ تبلُّج الاسحار
حتى رأيت الصُّبح تهتِك كفُّه بالضوْء رفرفَ خَيْمَةٍ كالقار
والصبحُ قد غمَرَ النُّجومَ كأَنه سَيْلٌ طَغَى فطَفَا على النُّوَّار
لو كنتَ تُمْنَعُ خاضَ دونَك فِتْيَةٌ مِنَّا بِحارَ عوامل وشِفار
ودَحَوْا فُوَيْق الارض أرضا من دَم ثم انْثَنَوْا فَبَنَوْا سماءَ غُبار
قومٌ اذا لبِسوا الدروعَ حَسِبْتَها خُلُجًا تُمَدّ بها أكُفُّ بِحار
لو شرَّعوا أيمانَهم في طولها طَعنوا بها عِوَضَ القَنا الخطَّار
جَنَبوا الجيادَ إلى المَطّي وراحوا بين السُروج هُناك والأَكْوار
وكانما مَلَؤا عِيابَ دُروعِهم وغُمُود أنْصُلِهم سَرابَ قِفار
وكأنما صَنعُ السَوابغِ عَزَّهُ ماءُ الحديد فَصاغ ماءَ قَرار
زَرَدًا فأحكَم كُلَّ مَوْصِل حَلْقةٍ بِحَبابِه في موضع المِسمار
فَتَسَرْبَلُوا بمُتون ماءٍ جامدٍ وتَقَنّعوا بحَبابِ ماءٍ جار
أسْدٌ ولكن يُؤْثِرون بزادِهم والأسْدُ ليس تَدين بالايثار
يَتَزَيَّن النادي بحُسْن وُجوهِهم كتزيُّن الهالات بالأقمار
يتعطّفون على المجُاوِر فيهمُ بالمُنفْسِات تعطُّفَ الأظْآر
من كلَ من جعل الظُبَى أنصارَه وكَرُمْنَ واستغنَى عن الانصار
واذا هو اعتقلَ القناةَ حَسِبْتَها صِلًّا تأبَّطَه هِزَبْرٌ ضار
والليثُ ان ثاوَرْتَه لم يَعْتَمِد الّاعلى الأنياب والاظفار
زَرَدُ الدِّلاص من الطِعان يُرِيحهُ في الجحفَل المُتضايِق الجرّار

مابين ثوبٍ بالدماء مُضَمَّخٍ زَلِقٍ ونَقْعٍ بالطِّراد مُثار
والهُونُ في ظِلّ الهُوَيْنا كامِنٌ وجَلالة الأَخْطار في الإِخطار
تَنْدَى أسِرَّةُ وجهه ويمينُه في حالة الإِعسار والإِيسار
ويَمُدُّ نحوَ المكْرُمات أنامِلا للرزق في أثنائهنّ مجَارِ
يَحْوي المَعَالِيَ كاسِبا أو غالبا أبدًا يُدارَى دونَها ويُدارِي
قد لاح في ليل الشباب كواكبٌ ان أُمْهِلَتْ آلت إلى الإِسفار
وتَلَهُّبُ الاحشاء شَيّب مَفْرِقَى هذا الضياءُ شُواظُ تلك النار
شابَ القَذَال وكلُّ غصنٍ صائرٌ فَيْنَانُه الأَحْوَى إلى الازهار
والشِبْهُ مُنْجِذبٌ فَلِمْ بِيْضُ الدُّمَى عن بيض مَفْرَقه ذواتُ نِفار
وتَوَدّ لو جعلت سوادَ قلوبها وسوادَ أعْيُنها خِضابَ عِذار
لا تَنْفِر الظَبَيات عنه فقد رأت كيف اختلاف النبت في الأطوار
شيآنِ يَنْقَشعان أوَّلَ وهْلةٍ ظِلُّ الشباب وخُلّة الأشرار
لا حَبّذا الشيبُ الوفِيّ وحبذا ظِلُّ الشباب الخائنِ الغدّار
وطَرِي من الدنيا الشبابُ ورَوْقُه فاذا انقضَى فقد انقضت أوطاري
قَصُرَت مسافتُه وما حسناته عندي ولا آلاؤه بقِصار
نزدادُ هَمًّا كلما ازددنا غِنًى والفَقْر كّلّ الفقر في الاكثار
ما زاد فوقَ الزاد خُلّفَ ضائعا في حادث أو وارثٍ أو عار
أنّي لأَرحمُ حاسِديَّ لحَرِما ضمِنت صُدورهم من الأوغار
نَظَروا صَنيع الله بي فعُيونُهم في جنةٍ وقلوبُهم في نار
لا ذنبَ لي قد رمتُ كَتْمَ فضائلي فكأنما بَرْقَعْتُ وجهَ نهار
وسترتُها بتواضُعي فتطلعت أعناقُها تعلو على الاستار

ومِنَ الرِجال مَعالِمٌ ومَجاهِل ... ومِن النجوم غوامضٌ ودَراري
والناسُ مشتبهون في ايرادهم ... وتفاضُلُ الأقوامِ في الِاصدار
عَمْري لقد أوطأتُهم طُرُقَ العُلا ... فعَمُوا فلم يَقِفوا على آثاري
لو أبصَروا بقلوبهم لاستبصَروا ... وعَمَى البصائرِ من عَمَى الأبصار
هَلَّا سَعَوْا سَعْيَ الكرام فأدركوا ... أو سَلَّموا لِمَواقع الأَقدار
وفَشَتْ خِيانات الثِقات وغيرهم ... حتى اتَّهَمْنا رؤيةَ الأبصار
وَلرُبما اعْتَضَد الحليم بجاهلٍ ... لا خيرَ في يُمْنَى بغير يَسار

الأرجوزة التي استخلصها تقي الدين أبو بكر بن حجة الحمودي

من كتاب الصادح والباغم

العَيْشُ بالرزق وبالتقدير ... وليس بالرأي ولا التدبير
في الناس مَن تُسْعِدُه الأقدار ... وفعلُه جميعُه إدبار
مَن عَرَف الله أزالَ التُهَمَهْ ... وقال كلُّ فعلِهِ للحِكمهْ
مَن أنكَر القضاءَ فهو مُشْرِك ... انّ القضاء بالعباد أملَك
ونحن لا نُشْرك بالله ولا ... نَقْنَطُ من رحمته اذ نُبْتَلَى
عارٌ علينا وقبيحُ ذِكْرِ ... أن نجعل الكُفْرَ مكان الشكرِ
وليس في العالمِ ظلمٌ جاري ... اذ كان ما يجرى بأمر الباري
أسعدُ العالَمِ عند الله ... مَن ساعَدَ الناسَ بفضل الجاه
ومَن أغاثَ البائسَ الملهوفا ... أغاثَه اللهُ اذا أُخيفا

إن العظيمَ يدفع العظيما | كما الجسيمُ يحمل الجسيما
فانّ من خلائِق الكرام | رحمةَ ذي البلاء والأسقام
وانّ من شرائِط العُلُوّ | العطفَ في البؤس على العدوّ
قد قَضَت العُقول أنّ الشَّفقه | على الصَديق والعدوّ صدقة
وقد عَلِمْتَ واللبيبُ يعلم | بالطبع لا يُرْحَم مَن لا يَرْحَم
فالمرءُ لا يدري متى يُمْتَحن | فانه في دهره مُرْتَهَن
وان نجا اليومَ فما يَنْجو غدا | لا يأمَن الآفات الا ذو الرَدَى
لا تَغْتَرِرْ بالخَفْض والسلامة | فانما الحياة كالمُدامة
والعمرُ مثلُ الكأسِ والدهرُ القَذَرْ | والصَفْوُ لابدُ له من الكَدَر
وكلُّ انسان فلابُدّ لَهُ | من صاحبٍ يَحْمِل ما أثقلَهُ
جَهْدُ البلاء صحبة الاضداد | فانها كَيُّ على الفؤاد
أعظمُ ما يَلْقَى الفتى من جَهْدِ | أن يُبْتَلىَ في جِنْسِه بالضِدّ
فانما الرجالُ بالِاخوان | واليدُ بالساعِد والبَنَان
لا يَحْقِر الصُحْبَةَ الا جاهِلُ | أو مارِقٌ عن الرشادِ غافِلُ
صُحْبَةٌ يوم نَسَبٌ قريبُ | وذمَّةٌ يحفظُها اللبيب
ومُوجَبُ الصَداقة المُساعدة | ومقتضى المَوَدّة المُعاضدة
لاسيما في النُوَب الشدائدِ | والمِحن العظيمة الأَوَابد
فالمرءُ يُحْيِى أبدا أخاه | وهو اذا ما عدّ من أعداه
وانّ من عاشَرَ قومًا يوما | ينصرُهم ولا يَخاف لَوْما
وانّ مَن حارَبَ مَن لا يَقوَى | لِحَرْبه جرّ إليه البَلْوَى
فحارب الأَكْفَاء والاقرانا | فالمرءُ لا يُحارِب السلطانا

واقْنَعْ اذا حارَبْتَ بالسلامة   واحذَر فعالًا توجبُ الندامة
فالتاجُر الكَيِّس في التِجارة   مَن خاف في مَتْجَره الخَسارة
يَجْهَد في تحصيل رأس ماله   ثم يَروم الرِبْحَ باحتياله
وان رأيتَ النصر قد لاحَ لكَ   فلا تُقَصِّرْ واحترِز أن تَهْلِكا
واسْبِقْ إلى الأجود سَبْق الناقِدِ   فَسَبْقُك الخَصْمَ من المكَايد
وانتهِز الفُرصة انّ الفرصة   تَصير إن لم تنتهِزْها غُصّة
كم بَطِرَ الغالِب يوما فترِكْ   عنه التوقّي واستهانَ فهلك
ومَن أضاعَ جُنْدَه في السِلْم   لم يحفظوه في لِقاء الخَصْم
وانّ من لا يَحْفَظ القُلوبا   يُخْذَلُ حين يَشْهَد الحُروبا
والجُنْدُ لا يَرْعَوْنَ مَن أضاعهم   كَلّا ولا يَحْمون مَن أجاعهم
وأضعفُ الملوك طُرًّا عَقْدَا   مَن غَرّه السِلْمُ فأقْصَى الجندا
والحزم والتدبيرُ رُوح العزم   لا خيرَ في عزمٍ بغير حزم
والحزم كل الحزم في المُطاولة   والصبرِ لا في سرعة المزاولة
وفي الخُطوب تَظهر الجواهرُ   ما غَلَبَ الأيامَ الا الصابر
لا تيأسَنْ من فَرَجٍ ولطف   وقُوّة تَظهر بعدَ ضَعْف
فربما جاءَك بعدَ الياسِ   رَوْحٌ بِلا كَدٍّ ولا التماس
في لمحة الطَرف بُكاءٌ وضَحكْ   وناجِذٌ بادٍ ودمعٌ يَنْسَفِك
تَنال بالرِّفْق وبالتأني   مالم تَنَلْ بالحِرْص والتَعَنّي
ما أحسنَ الثباتَ والتَجَلُّدا   وأقبح الحَيْرة والتبلُّدا
ليس الفتَى الا الذي إن طَرَقَهْ   خَطْبٌ تَلَقّاه بصَبْرٍ وثِقَة
اذا الرَزايا أقبلت ولم تَقِفْ   فَثَمّ أحوالُ الرجال تختلِف

وكم لقِيتُ لَذَّةً في زمني   فأصْبِرُ الآنَ لِهَذِي المِحَن
فالموتُ لا يكون الا مَرَّة   والموتُ أحْلَى من حياةٍ مُرَّة
اني من الموت على يقَين   فاَجْهَد الآن لما يَقيني
صَبْرًا على أهوالِها ولا ضَجَرْ   وربما فازَ الفتى اذا صَبَرْ
لا يَجْزَع الحُرّ من المصائب   كلا ولا يَخْضَع للنوائب
فالحرّ للْعِبْء الثقيل يَحْمِلُ   والصَبْرُ عند النائبات يَجْمُلُ
لكل شيءٍ مدةٌ وتنقضِي   ما غَلَب الايامَ الا مَن رَضى
قد صَدَق القائل في الكلام   ليس النُهَى بِعِظَم العظام
لا خَيْرَ في جسامة الأجسام   بل هو في العُقول والافهام
فالخَيْل للحرب وللجَمَال   والابلْ للحَمْل وللتَرْحال
لا تَحْتَقِر شيأ صغيرا يُحْتَقَرْ   فربما أسالتِ الدمَ الاِبَرْ
لا تُخْرِج الخصم ففي اخْراجه   جميعُ ما تَكْرَه من لجَاجة
لا تطلُب الفائتَ باللجاج   وكَنْ اذا كويْتَ ذا إنضاج
فعاجِزٌ من ترك الموجودا   طَمَاعةً وطلبَ المفقودا
وفَتِّش الامور عن أسرارها   كم نُكْتَةٍ جاءتْك مَعْ اظهارها
لَزِمْتَ للجهل قبيحَ الظاهِرِ   وما نظرْتَ حَسَنَ السرائر
ليس يَضُرّ البدرَ في سناهُ   أنّ الضَرير قَطُّ لا يراه
كم حِكمةٍ أضْحَتْبها المَحافِل   نافِقَةً وأنتَ عنها غافل
ويَغْفُلون عن خَفيّ الحكمة   ولو رأوها لا زالوا التهمة
كم حَسَنٍ ظاهِره قبيح   وسَمِج عُنْوانُه مليح
والحقّ قد تَعلَمُه ثَقِيل   أبَوْهُ الّا نَفَرٌ قليل

فالعاقل الكامل في الرجال   لا يَنْثَني لزُخْرف المقال

انّ العَدُوّ قولُه مَرْدود   وقَلَّما يُصَدَّق الحسود

لا تُقْبَلُ الدعوَى بغير شاهِدِ   لا سيما ان كان من مُعاند

أيؤخذ البَرِيُّ بالسقيم   والرَجُل المُحْسِن باللئيم

كذاكَ مَن يَسْتَنْصِحِ الأعادي   يُرْدونَه بالغش والفساد

ان أكَلَّ مَن ترى أذهانا   مَن حَسِبَ الإساءة الإحسانا

فادْفَعْ اساءةَ العِدَى بالحُسْنَى   ولا تَخَلْ يُسْراكَ مِثْلَ اليُمْنَى

وللرجال فاعْلَمَنْ مَكايدُ   وخِدَعٌ مُنكَرَةٌ شَدائد

فالنَدْب لا يَخْضَعُ للشدائد   قَطّ ولا يَغْتاظ بالمكائد

فَرَقِّع الخَرْق بلطفٍ واجتَهِد   وامكُر اذا لم ينفع الصدقُ وكِدِ

فهكذا الحازِم اذ يَكيد   يَبلغ في الأعداء ما يُريد

وهو بَرِيءٌ منهم في الظاهر   وغيرُه مُخْتَضب الاظافر

والشَهْمُ من يُصلِح أمْرَ نفسِه   ولو بقتلِ وُلْدِه وعِرْسه

فانّ مَن يقصِد قَلْع ضِرْسه   لم يَعتمِد الا صلاحَ نفسه

وانّ مَن خَصّ اللئيمَ بالنَدَى   وجدْته كمن يُرَبِّي أسدا

وليس في طَبْع اللئيم شُكْر   وليس في أصل الدنِيء نَصْر

وانّ مَن ألْزَمَه وكَلَّفَه   ضِدّ الذي في طبعِه ما أنْصَفَه

كذاك مَن يَصْطَنِع الجُهّالا   ويؤثِر الأرذال والانذالا

لو أنكم أفاضلٌ أحرار   ما ظَهَرَتْ بينكم الأسرار

انّ الاصولَ تَجذِب الفُروعا   والعِرْق دَسّاسٌ اذا أُضيعا

ما طابَ فَرْعٌ أصلُه خبيث   ولا زَكا مَن مَجْدُه حديث

قد يُدرِكون رُتَبًا في الدنيا ويبلُغون وَطَرًا من بُقْيا
لكنهم لا يبلُغون في الكرم مبلَغ مَن كان له فيها قِدم
وكل مَن تَماثَلَتْ أطرافُهُ في طِيبِها وكَرُمَت أسلافه
كان خَليقا بالعُلَى وبالكرم وبَرَعَتْ في أصله حُسْنُ الشِيم
لولا بَنُو آدمَ بين العالَمِ ما بانَ للعُقول فضل العالِمِ
فواحدٌ يُعطيك فضلا وكرم فذاك مَن يكفُرُه فقد ظَلَم
وواحدٌ يعطيك للمُصانعَة أو حاجةٍ له إليك واقعة
لا تَشْرَهَنْ إلى حُطامٍ عاجلِ كم أُكلةٍ أوْدَتْ بنفس الآكِلِ
واحذر أُخيّ يا فتى من الشَرَه وقِسْ بما رأيتَه ما لم تره
فليس مِن عَقْل الفتى أو كرمه افسادُ شخصٍ كاملٍ لقَرَمِه
فالبَغْيُ داءٌ ما له دواء ليس لمُلْكٍ معه بَقاء
والبغي فاحذْره وخيمُ المَرْتَع والعُجْبُ فاتركه شَديدُ المصرع
والغَدْر بالعهد قبيحٌ جدا شَرّ الورى مَن ليس يَرْعى العهدا
عند تمام الأمر يبدو نَقْصُه وربما ضَرّ الحريصَ حرصُه
وربما ضَرَّكَ بعضُ مالكا وساءك المحسِن من رجالكا
فالمرءُ يَفْدي نفسَه بوَفْرِه عساه أن يَنْجُو به من أسْرِه
لا تُعْطِيَنْ شيأ بغير فائدة فانها من السجايا الفاسدة

في خواص مصر العامة لها لعبد اللطيف البغدادي

انّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار وهى واد يكتنفه جَبَلان شرقيّ وغربيّ والشرقي أعظمُهما يبتدئان من أسوان ويتقار بان باسنا حتى يَكادا يتماسّان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدّا طولا انفرجا عرضا حتى اذا حاذيا الفُسْطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيلُ ينساب بينهما ويتشعب بأسافل الارض وجميعُ شُعَبه تَصُبّ في البحر المالح

وهذا النيل له خاصّتان الاولى بُعْد مرماه فانا لا نعلم في المعمورة نهرا أبعد مسافةً منه لانّ مبَادئَه عُيون تأتي من جبل القمر وزعموا ان هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة ونصف درجة وعرضُ اسوان وهى مبدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة وعرض دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى وثلاثون درجة وثلث درجة فتكون مسافة النيل على خط مستقيم ثلاثا واربعين درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسعمائة فرسخ هذا سوى ما يأخذ من التعريج فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا والخاصة الثانية أنه يزيد عند نُضوب سائر الانهار ونَشيش المياه لانه يبتدئ بالزيادة عند انتهاء طول النهار وتتناهى زيادته عند الاعتدال الخريفي وحينئذ تُفتح الترع ونَفيض على الاراضي وعلّة ذلك ان مواد زيادته أمطار غزيرة دائمة وسيول متواصلة تُمِدُّه في الأوان فان أمطار الاقليم الاول والثاني انما تَغْزُر في الصَّيف والقَيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خَواصّ منها انه لا يقع بها مطر الا مالا احتفال به وخصوصا صَعيدها فاما أسافلها فقد يقع بها مطرٌ جَوْد لكنه لا يفي بحاجة الزراعة وأما دِمْياط والاسكَندرية وما داناهما فهى غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيلْها ومنها أن أرضها رملية لا تصلح للزراعة لكنه يأتيها طينٌ أسودُ عَلِكٌ فيه دُسومة كثيرة يُسمى الابْليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مَدِّه فيستقر الطين ويَنْضُب الماء فيُحْرَث ويزرع وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يراح شئ منها كما يفعل في العراق والشام لكنها تُخالَف عليها الاصناف وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحِراثة لانها تجئ بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت المؤْتَفِكات زكا الزرع ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكيّة كثيرة الإتاء والرَيْع اذ كانت أقربَ إلى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فانها أُسافَةٌ مَضْوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها الماء وقد راق وصَفا ولا أعرف شبيها بذلك الا ما حكى لي عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتَلَبّد فيُحْرَت ويُزْرَع فاذا حُصِد جاءته رياح أخرى فنَسَفَتْه حتى يعود اجْرَدَ كما كان أوّلا

ومنها أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التي لها فان أخص الاوقات باليُبْس في سائر البلاد أعني الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمدّ نيلها وفَيْضه لأَنه يَمُدّ في الصيف ويُطَبّق الارضَ في الخريف فأما سائر البلاد فانّ مياهَها تَنِشّ في هذا الاوان وتَغْزُر في أخصّ الاوقات بالرطوبة أعني الشتاء والربيع ومصر اذ ذاك تكون في غاية القحولة واليُبْس ولهذه

العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلِب على أهلها الامراض العَفَنيّة الحادثة عن أخْلاطٍ صفراوية وبَلْغَمِيه وقَلّما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى في الشُّبَّان والمَحْرورينَ وأكثر أوراضهم في آخر الخريف وأوّل الشتاء لكنها يغلب عليها سلامة العاقبة وتقِلّ فيهم الامراض الحادّة والدموية الوَحِيّة وأما أصحّاؤهم فيغلب عليهم التَرَهُّل والكسل وشُحُوب اللون وكُمودته وقَلّما ترى فيهم مَشْبوب اللون ظاهر الدَمامة وقلّة النَضارة وانما تَحْدث لهم البَدانة والقَسامة غالبا بعد العشرين وأما ذَكاؤهم وتَوَقُّد أذهانِهم وخِفّة حركاتهم فلحرارة بَلَدِهم الذاتية لأنّ رطوبته عرضية ولهذا كان أهل الصعيد أفْحلَ جُسوما وأجَفّ أمزجة والغالب عليهم السُمرة وكان ساكنو الفُسْطاط إلى دمياط أرْطَبَ أبدانًا والغالب عليهم البياض ولما رأى قُدَماء المصريين أنّ عمارة أراضيهم انما هى بِنِيلها جعلوا أوّلَ سَنَتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة ومنها أنّ الصَّبا محجوبة عنهم بجَبَلِها الشرقي المُسمى المقطَّم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة وقَلّما تَهُبّ عليهم خالصة اللهم الا نَكْباءَ ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقرَ المُلْك مَنْف ونحوها مما يَبْعُد عن هذا الجبل الشرقي إلى الغربي واختار الروم الاسكندريةَ وتجنبوا مواضعَ الفُسْطاط لقُرْبه من المقطَّم فانّ الجبل يَسْتُرعما في لِحْمِه أكثر مما يستر عما بَعُد منه ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقلّ في هوائهم النُضْج ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من أرض مصر أحسنَ حالا من غيرها ولكثرة رطوبته يَتَسَارع العَفَن إليها ويكثرُ فيها الفأر ويتولد من الطين والعقاربُ تكثُر بقُوص وكثيرا ما تَقْتُل بلَسْبها والبَقّ المُنتْن

والذُباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا ومنها أنّ الجَنُوب اذا هَبّت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردةً جدا ويُسَمُّونَها المَرِيسِي لمرورها على برِكَ ونقائع والدليل على صحة ذلك انها اذا دامت أياما متوالية عادت إلى حرارتها الطبيعية وأسْخَنَتِ الهواء وأحدثت فيها يُبْسا

من لامية العجم لمؤيد الدين الطغرائي

أصالةُ الرأي صانَتْني عن الخَطَل وحِليةُ الفضل زانَتْني لَدَى العَطل

مَجْدي أخيرًا ومجدي أولًا شَرَعٌ والشمس رادَ الضحى كالشمس في الطَفَل

فيمَ الاقامةُ بالزَوراء لا سَكَني بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي

ناءٍ عن الاهل صِفْرُ الكَفّ منفرِد كالنَصْل عُرّيَ مَتْناهُ عن الخِلَل

فلا صَديق إليه مشتكَى حَزَني ولا حبيب إليه منتَهَى جَذَلي

طال اغترابيَ حتى حَنّ راحِلَتِي ورَحلُها وقَنا العسّالةِ الذُبُل

وضَجّ من لَغَبٍ نِضْوِي وعَجّ لِمَا يلقاه قلبي ولَجَّ الركْبُ في عَذلي

أريد بَسطَة كَفٍّ أستعين بها على قضاء حقوقٍ للعُلَى قِبَلي

والدهرُ يَعكِس آمالي ويُقنِعُني من الغنيمة بعد الكدّ بالقَفَل

وذي شَطَاط كصدر الرمح مُعتَقِل بمثله غير هَيّابٍ ولا وَكِل

حُلو الفُكاهة مُرّ الجِدّ قد مُزِجَتْ بقَسوة البأسِ منه رِقّةُ الغَزَل

طرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عن وِرْدِ مقتله والليلُ أغرَى سَوامَ النَوْم بالمُقَل

والراكبُ مِيلٌ على الاَكْوارِ من طَربٍ صاحٍ وآخَرَ من خمر الكَرَى ثَمِل

فقلت أدعوك للجُلَّي لتنصُرني وأنت تَخْذُلُ في الحادث الجَلَل

تَنام عيني وعينُ النجم ساهرة ... وتَستحيل وصِبْغ الليل لم يَحُل
حُبُّ السلامة يَثْني هَمَّ صاحِبه ... عن المَعَالِي ويُغْرِي المرءَ بالكَسَل
فان جَنَحْتَ إليه فاتخِذْ نَفَقًا ... في الارض أو سُلّما في الجوّ فاعتَزِل
ودَعْ غِمارَ العُلَى للمقْدِمين على ... رُكوبِها واقتنِعْ منهنّ بالبَلَل
يَرْضَى الذلِيلُ بخَفْض العَيْش مَسْكَنةً ... والعِزُّ بين رَسِيم الأَيْنُق الذُلُل
فأدْرأ بها في نحور البيد جافلةً ... مُعارِضات مَثانِي اللُّجْم بالجُدل
انّ العُلَى حدّثَتْنِي وهى صادقة ... فيما تُحدِّث أنّ العِزّ في النُقَل
لو انّ في شَرَف المأْوَى بلوغَ مُنىً ... لم تَبْرَح الشمسُ يوما دارةَ الحَمل
أهَبْتُ بالحَظّ لو ناديتُ مُسْتمِعًا ... والحَظّ عَنِّيَ بالجُهّال في شُغُل
لَعَلّه إن بدا فَضْلِي ونَقْصُهُمُ ... لعِينه نام عنهم أو تنبّه لي
أُعَلِّل النَفْسَ بالآمال أرقُبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فُسْحةُ الأَملَ
لم أرضَ بالعيش والايام مُقبلة ... فكيف أرضى وقد ولَت على عَجل
غالَي بنفسي عِرفانِي بقيمتها ... فَصُنْتُها عن رَخيص القَدْر مبتذَل
وعادةُ النَصْل أن يُزْهَى بجوهَرِه ... وليس يَعْمَل إلّا في يَدَىْ بَطَل
ماكنتُ أُوثِر أن يَمْتَدَّ بي زَمَنِي ... حتى أَرَى دولَةَ الأَوغاد والسِّفَل
تَقَدّمنِي أُناس كان شَوْطُهُم ... وراءَ خَطْوِىَ اذ أمشِي على مَهَل
هذا جزاءُ امِرئ أقرانُه دَرَجوا ... مِن قَبْله فتمنَّى فُسْحَةَ الأَجَل
وان علانِىَ مَن دونِي فلا عَجَبٌ ... لِي أُسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَل
فاصبِرْ لها غيرَ مُحتال ولا ضَجِر ... في حادث الدهر ما يُغْنِي عن الحِيَل
أعدَى عدُوّك أدنى مَن وَثِقْتَ به ... فحاذِر الناسَ واصحَبْهم على دَخَل
فانما رَجُل الدنيا وواحدُها ... مَن لا يعوِل في الدنيا على رجل
وحُسنُ ظنّك بالايام مَعْجَزَةٌ ... فَظُنّ شرًّا وكُنْ منها على وَجَل

غاضَ الوفاء وفاضَ الغَدْرُ وانفرجت مسافةُ الخُلْف بين القول والعمل
وشانَ صِدْقَك بين الناس كِذْبُهُمُ وهل يُطابَقُ مُعْوَجٌّ بمعتدل
ان كان ينجَع شئ في ثَباتِهم على العُهود فَسَبْق السيف للعَذَل
يا واردًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّه كَدَرٌ أنْفَقْتَ صَفْوَك في أيامِك الأُوَل
فيمَ اعتراضُك لُجَّ البحر تركَبُه وأنت تكفِيك منه مَصَّة الوَشَل
مُلْكُ القناعة لا يُخْشى عليه ولا يُحتاج فيه إلى الأَنصار والخَوَل
ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ لها فهل سمِعتَ بِظل غيرِ مُتنقل
ويا خبيرا على الأَسْرار مُطَّلِعا أُصْمُتْ ففي الصَمْت مَنْجاةٌ من الزلَلَ
قد رَشَّحوك لأمرٍ ان فَطِنْتَ له فأرْبأْ بنفسك أن تَرْعَى مع الهَمَل

قال الطغرائي يفتخر

أبي اللهُ أن أسْمو بغير فضائلي اذا ما سما بالمال كلُّ مُسَوّدَ
وان كَرُمَتْ قبلي أوائلُ أُسْرَتي فاني بحمد الله مبدأ سُؤْددي
يُذَمُّ لأجلي المُهْر ان يكْبُ مرةً بجَدّي وان ينهض بجِدّي يُحْمَدِ
وما منصِبٌ الا وقَدْرِيَ فوقَه ولو حُطَّ رَحْلي بين نَسْرٍ وفَرْقَد
اذا شرُفت نفسُ الفتى زاد قدرُه على كل أسنَيَ منه ذِكْرا وأمجد
كذاك حديد السيف ان يَصْفُ جوهر فقيمتُه أضعافه وَزْن عَسْجَد
تكادُ تَرَى مَن لا يُقاس نِجادُه بِشسْعِي اذا ما ضَمَّنا صَدرُ مَشهد
وما المالُ الا عارةٌ مَسْتَرَدّة فهلّا بفضلي كاثَرُوني ومَحتدي

اذا لم يكن في الولاية بَسْطة يَطول بها باعي وتَسطو بها يدي
ولا كان لي حُكْم مُطاع أجيزه فأُرغِم أعدائي وأَكْبِتُ حُسَّدي
فأُعْذَرُ ان قصَّرتُ في حَقّ مُجْتَدٍ وآمنُ أن يعتادني كيدُ مُعتد
أأُكفَى ولا أَكفِي وتلك غَضاضة أرى دونَها وقْعَ الحُسامِ المُهَنَّد
ولو لا تكاليف العُلَى ومَغارِمٌ ثِقالٌ وأعقاب الاحاديث في غد
لأعطيتُ نفسي في التخلّي مُرادَها فذاك مُرادي مُذ نشأتُ ومقصِدي
من الحزم أن لا يَضْجَر المرءُ بالذي يُعانيه من مكروهة فكأن قد
اذا جَلدِي في الامر خانَ ولم يُعِنْ مُرَيْرَةَ عزمِي نابَ عنه تَجَلُّدي
ومَن يَسْتَعِن بالصبر نال مُرادَه ولو بعدَ حين انه خيرُ مُسْعِد

المقامة الاولى الصَنعانية

حدّث الحارث بن هَمّام قال لما اقتعدْتُ غارِب الاغترابْ وأنْأَتني المَتْرَبة عن الاتْراب طوّحتْ بي طوائحُ الزمن إلى صَنعاء اليمن فدخلتُها خاوىَ الوِفاض بادِىَ الإنْفاض لا أمْلِك بُلْغه ولا أجد في جِرابي مُضْغه فطِفقْتُ أجوب طُرقاتها مِثْلَ الهائم وأجُول في حَوْماتها جَوَلانَ الحائم وأَروَد في مسارح لَمَحَاتي ومَسايح غَدَواتي ورَوْحاتي كريما أُخِلْق له دِيباجَتي وأبُوح إليه بحاجَتي أو أدِيبًا تُفَرِّج رُؤْيَتُه غُمَّتي وتُرْوِي رِوايَتُه غُلَّتي حتى أدَّتْني خاتمةُ المَطاف وهَدَتْني فاتحةُ الأَلْطاف إلى نادٍ رَحِيبٍ مُحْتَو على زِحام ونَحيب فَوَلَجْتُ غابَةَ الجَمْع لأَسْبُرَ مَجْلَبَةَ الدَمْع فرأيت في بُهْرَة الحَلْقه شَخْصا شَخْتَ الخِلْقة عليه

أُهْبَة السِياحة وله رَنّة النِياحة وهو يَطْبَع الأَسْجَاع بجَوَاهِرِ لَفْظِه ويَقْرَعُ الأَسْماع بزَوَاجر وَعْظِه وقد أحاطَت به أخْلاط الزُمَرْ إحاطَةَ الهالة بالقَمَرْ والأَكْمام بالثَمَر فَدَلَفْتُ إليه لأَقْتَبِس من فوائده وأَلْتَقِطَ بعضَ فرائده فسمعتُه يقول حينَ خَبّ في مَجاله وهَدَرَتْ شَقاشِقُ ارتِجاله أيُها السَادِر في غُلَوَائه السَادِل ثَوْبَ خُيَلائه الجَامح في جَهلاته الجانح إلى خُزَعْبِلاته إلامَ تَسْتَمرّ على غَيّك وتَسْتَمْرِئُ مَرْعَى بَغْيك وحَتّامَ تَتَناهَى في زَهْوِك ولا تَنْتَهي عن لَهْوِك تُبارِزُ بمعصيَتك مالِكَ ناصِيَتِك وتَجْتَرِئُ بقُبْح سِيرتِك على عالمِ وتَتَوَارَى عن قريبك وأنتَ بمَرْأَى رَقِيبك وتَسْتَخْفِي من مَمْلوكك وما تَخْفَى خافِيَةٌ على مَلِيكك أتَظُنّ أن سَتَنْفَعُك حالُك اذا آنَ ارْتِحالُك أو يُنْقِذُك مالُك حين تَوبِقك أعمالُك أو يُغْني عنك نَدَمُك اذا زَلّت قَدَمُك أو يَعْطف عليك مَعْشَرُك يَوْمَ يَضُمُّك مَحْشَرُك هَلّا انْتَهَجْتَ مَحَجّةَ اهْتِدائك وعَجَّلْتَ مُعالجَةَ دائك زفَلَلْتَ شَبَاةَ اعْتِدائك وقَدَعْتَ نفسَك فهي أكبَرُ أعدائك أمَا الحِمامُ ميعادُك فما إعْدادُك وبالمَشيب انْذارُك فما اعْذَارُك وفي اللَحْد مقَيلُك فما قِيلُك وإلى الله مَصِيرك فَمَنْ نَصِيرك طالَمَا أيْقَظَك الدَهْرُ فَتَنَاعَسْت وجَذَبَك الوَعظْ فتَقَاعَسْت وتَجَلّت لك العِبَر فتَعَامَيْت وحَصْحَص لك الحقّ فتَمَارَيْت وأَذْكَرَكَ المَوْتُ فتَنَاسَيْت وأمْكَنَك أن تُوَاسَى فما آسيْت تُؤْثِر فَلْسًا تُوعِيه على ذِكْرٍ تَعِيه وتَخْتار قَصْرا تُعْلِيه على بِرّ تُوليه وتَرْغَب عن هادٍ تَسْتَهْدِيه إلى زادٍ تَسْتَهْدِيه وتُغَلّب حُبّ ثَوْبٍ تَشْتَهيه على ثَوَابٍ تَشْتَرِيه يَوَاقيتُ الصِّلات أعْلَقُ بتَقَلْبك من مَواقيت الصَلاة ومُغالاةُ الصَّدُقات آثَرُ عندك من مُوالاة الصَدَقات وصحافُ الاَلْوان أشْهَى إليك من صَحائف الاَدْيان ودُعابَةُ الاَقْران آنَسُ

لك من تِلاوة القرآن تَأْمُر بالعُرْف وتَنْتَهك حِماه وتَحْمي عن النُكْر ولا تَتحاماه وتُزَحزِح عن الظُلْم ثم تَغْشاه وتَخْشَى الناسَ واللهُ أن تَخْشاه ثم أنشد

تَبًّا لِطالِب دُنْيا	ثَنَى إليها انْصِبَابَهْ
ما يَسْتَفِيق غَرَاما	بها وفَرْطَ صَبابَه
ولو دَرَى لَكَفَاهُ	مما يَرُوم صُبابَهْ

ثم انه لَبَّدَ عَجَاجَتَهْ وغَيَّضَ مُجَاجَتَهْ واعْتَضَد شَكْوَتَهْ وتَأَبَّطَ هِراوَتَهْ فلما رَنَتْ الجماعَة إلى تَحَفُّزِه ورأَتْ تَأَهُّبَه لمُزايَلة مَرْكَزه أدْخَلَ كلٌّ منهم يَدَه في جَيْبه فأَفْعَمَ له سَجْلا من سَيْبه وقال اصرفْ هذا في نَفَقَتِك أو فَرِّقْهُ على رُفْقَتِك فَقَبِله منهم مُغْضِيا وانْثَنَى عنهم مُثْنِيا وجَعَل يُوَدِّع من يُشَيِّعه لِيَخْفَى عليه مَهْيَعُه ويُسَرِّب مَن يَتْبَعُه لكَيْ يُجْهَل مَرْبَعه (قال الحارث بن همام) فاتَّبَعْتُه مُوَارِيًا عنه عِيَانِي وقَفَوْتُ إِثْرَه من حيث لا يراني إلى مَغاره فأنْسابَ فيها على غَراره فأمْهَلْتُه رَيْثَما خَلَع نَعْلَيْه وغَسَل رِجْلَيْه ثم هَجَمْتُ عليه فوَجَدْتُه مُثافِنًا لتْلميذ على خُبْزٍ سَميذ وجَدْيٍ حَنيذ وقُبَالَتَهُما خابِيَةُ نَبيذ فَقُلْت له يا هذا أيكون ذاكَ خَبَرَك وهذا مَخْبَرَك فزَفَر زَفْرَةَ القَيْظ وكادَ يَتَمَيَّزُ منَ الغَيْظ ولم يَزَلْ يُحَمْلِق إلىّ حتى خِفْتُ أنْ يَسْطُوَ عَلَيّ فلمّا انْ خَبَتْ نارُه وتَوارَى أو ارُه أنشد

لَبِسْتُ الخَمِيصة أبْغِي الخَبِيصة	وأنْشَبْتُ بِشصّيَ في كل شِصَة
وصَيَّرْتُ وَعْظِيَ أحْبُولَةً	أُرِيغُ القَنِيصَ بها والقَنِيصة

وأَلْجَأَنِي الدَهْر حتى وَلَجْتُ بلُطْف احْتيالِي على الَّلَيْث عِيصة
على أنني لم أَهَبْ صَرْفَه ولا نَبَضَتْ لِيَ منه فَريصة
ولا شَرَعَتْ بِي على مَوْرِدٍ يُدَنِّس عِرْضِيَ نَفْسٌ حَرِيصة
ولو أنصَف الدَهْرُ في حُكْمِه لَمَا مَلَّكَ الحُكْمَ أهلَ النَقيصة

ثم قال لي اذْنُ فَكُلْ وان شِئْتَ فَقُمْ وقُلْ فالْتَفَتُّ إلى تِلميذه وقُلْتُ عَزَمْتُ عليك بمَن تَسْتَدْفِع به الأَذَى لَتُخْبِرَنِيّ مَن ذَا فقال هذا أبو زَيد السَرُوجِيّ سِراجِ الغُرباء وتاجُ الأُدَباء فانْصَرَفْتُ من حيث أتَيْتُ وقَضَيتُ العَجَب مما رأيْت

المقامةُ الثالثة الدينارِيَة

رَوَى الحارث بن هَمّام قال نَظَمنِي وأَخْدانًا لي ناد لم يَخِبْ فيه مُناد ولا كَبَا قَدْح زِناد ولا ذَكَتْ نارُ عِناد فَبَيْنا نَحْنُ نَتَجاذَبُ أطرافَ الاناشيد ونَتَوارَد طُرفَ الاَسانيد اذْ وَقَفْ بِنا شَخْصٌ عليه سَمَل وفي مِشْيتِه قَزَل فقال يا أَخايِرَ وبَشائر العَشائر عِمُوا صَباحا وأنْعِموا اصْطِباحا وانظروا إلى مَن كان ذَا نَدِيٍّ ونَدَى وجِدَةٍ وجَدَي وعَقَارٍ وقُرَى ومَقارٍ وقَرى فما زالَتْ به قُطُوب الخُطُوب وحُرُوب الكُرُوب وشَرَرُ شَرّ الحَسُود وانْتِيابُ النُوَب السُود حتى صَفِرَت الرَاحَة وقَرَعَت السَاحة وغارَ المَنْبَع ونَبَا المَرْبَع وأقْوَى المَجْمَع وأقَضّ المَضْجَع واسْتَحالَت الحال وأعْولَ العِيال وخَلَت المَرابِط ورَحِم الغابِط وأوْدَى الناطِقُ والصَامِت ورَثَى لنا الحاسِدُ والشَامِت وآلَ بِنا الدَهْرُ المُوقع والفَقْر المُدْقع إلى أن احْتَذَيْنا الوَجَى واغْتَذَيْنا الشَجَى

واسْتَبْطَنّا الوِهاد واسْتَوْطَأْنا القَتَاد وتَنَاسَيْنا الأقْتاد واسْتَطَبْنا الحَيْنَ المُجْتاح واسْتَبْطَأْنا اليومَ المُتَاح فهل من حُرٍّ آسٍ أو أمْلِك بَيْتَ لَيلة (قال الحارث بن همام) فأوَيْتُ لمَفَاقره ولَوَيْتُ لي اسْتِنْباط فِقَره فأبْرَزْتُ جينارا وقلت له اختِبارا ان مَدَحْتَه نَظْما فهو لَك حَتْما فانْبَرَى ينشد في الحال من غير انتحال

أكْرِمْ بِهِ أصْفَرَ راقَتْ صُفْرَتُهْ　　جَوّابَ آفاقٍ تَرامَتْ سَفْرَتُه
مَأْثُورَةٌ سُمْعَتُه وشُهْرَته　　قد أُودِعَتْ سِرَّ الغِنَى أسِرَّتُه
وقارَنَتْ نُجْحَ المَسَاعِي خَطْرَتُه　　وحُبِّبَتْ إلى الأنامِ غُرَّتُه
كانما من القُلوب نُقْرَتُه　　به يَصُول مَن حَوَتْه صُرَّته
وانْ تَفانَتْ أو تَوانَتْ عتْرَتُه　　يا حَبّذَا نُضارُه ونَضْرَتَهُ
وحَبّذا مَغْناتُه ونُصْرَتَهُ　　كم آمر به اسْتَتَبَّتْ إمْرَتُه
ومُتْرَفٍ لَوْلاهُ دامَتْ حَسْرَتُه　　وجَيْشِ هَمٍّ هَزَمَتْه كَرَّتُهُ
وبَدْر تمّ أنْزَلَته بَدْرَتُه　　ومُسْتَشِيطٍ تَتَلَظّى جَمْرَتُه
أسَرَّ نَجْواهُ فَلَانتْ شِرَّتُه　　وكم أسِيرٍ أسْلَمَتْه أُسْرَتُه
أنْقَذَه حتى صَفَتْ مَسَرَّتُه　　وحَقِّ مُوْلًى أبْدَعَتْه فِطْرَتُه

لولا التُقَى لقلتُ جلّت قدرتُه

ثم بَسَطَ يَدَه بعدَ ما أنْشَدَه وقال أنْجَزَ حُرُّ ما وَعَد وسَحَّ خالٌ اذ رَعَد فَنَبَذْتُ الدينار إليه وقلت خُذْه غيرَ مأسُوف عليه فوضَعَه في فِيه وقال بارِك اللهم فيه ثم شَمّر للانْثِناء بعد تَوْفِية الثَنَاء فَنَشَأَتْ لي من فُكَاهَتِه

نشْوَةُ غَرام سَهَّلتْ عَلَيَّ ائتنافَ اغْترام فَجَرّدْتُ دينارًا آخَر وقُلْت هل لك في أن تَذُمَّه ثم تَضُمَّه فأنشد مُرْتَجلا وشَدَا عَجِلا

تبًّالَهُ من خادِع مُماذق اصْفَرَ ذِي وَجْهَيْن كالمُنافِق
يَبْدُو بوَصْفَين لِعَين الرامِق زينة مَعْشُوق ولَوْن عاشِق
وحُبُّه عند ذَوِي الحَقَائق يَدْعُو إلى ارْتِكاب سُخْط الخالق
لولاهُ لم تُقْطَع يَمِينُ سارِق ولا بَدَتْ مَظْلَمةٌ من فاسِق
ولا اشْمأَزّ باخِلٌ من طارِق ولا شَكَا المَمْطُولُ مَطْلَ العائق
ولا اسْتُعِيذ من حَسُودٍ راشِق وشَرُّ ما فيه من الخَلائق
أنْ ليس يُغْنِي عنكَ المَضايِق الّا اذا فَرّ فِرارَ الآبِق
وَاهًا لِمَن يَقْذفُه من حالق ومَن اذا نَاجاهُ نَجْوَى الوامِق
قال قَوْلَ المُحِقّ الصَادِق لا رأْيَ في وَصْلِك لِي ففارِقِ

فقلت له ما أغْزَرَ وَبْلَكْ فقال والشَرْطُ أمْلَكْ فَنَفَحْتُه بالدينار الثاني وقلتُ له عَوِّذْهُما بالمَثَاني فألقاهُ في فَمِه وقَرَنَه بتَوْأَمِه وانْكَفَأَ يَحْمَدَ مَغْداه ويَمْدَح الناديَ ونَداه (قال الحارث بن همام) فناجاني قلبي بأنه أبو زَيد وأنّ تَعارُجه لِكَيْد فاسْتَعَدْتُه وقلتُ له قد عُرِفْتَ بِوَشْيِك فاسْتَقمْ في مَشْيِك فقال ان كنتَ ابنَ همّام فَحُيِّيتَ باكْرام وحَيِيتَ بين كِرام فقلتُ والحَوادث فقال أتَقَلّب في الحالَيْن بؤُسْ ورَخاء وأنْقَلِب مع الرِّيحَينِ زَعْزَع ورُخاء فقلتُ كيف ادَّعيْتَ القَزَل وما مِثْلُك مَن هَزَل فاسْتَسَرّ بِشْرُه الذي كان تَجَلّى ثم أنشدَ حين وَلّى

تَعارَجْتُ لا رَغْبَةً في العَرَجْ ولكن لأقْرَعَ بابَ الفَرَجْ

وأَلْقِىَ حَبْلِي على غارِبِي وأسْلُكَ مَسْلَكَ مَن قد مَرَجْ
فان لامَني القَوْمُ قلتُ اعْذُرُوا فليس على أعْرَجٍ من حَرَجْ

المقامة الحادية والعشرون الرّازيّة

(حدّث الحارث بن همّام) قال عُنيتُ مُذْ أحكَمْت تدبيري وعَرَفْتُ قَبِيلي من دَبيري بأن أُصْغِي إلى العِظات وأُلْغِي الكَلِم المُحْفِظات لأتَحَلَّى بمحاسن الاخلاق وأتَخَلَّى مما يَسِم بالإخلاق وما زِلْتُ آخُذُ نفسي بهذا الأدب وأُخْمِدُ به جَمْرَة الغَضَب حتى صار التَّطَبُّع فيه طِباعا والتَكَلُّف له هَوَى مُطاعا فلما حَلَلْتُ بالرَّىّ وقد حَلَلْتُ حُبَى الغَيّ وعَرَفْتُ الحَيّ من الَّليّ رأيتُ بها ذاتَ بكُرْة زُمْرةً في إثْر زُمْرَة وهم مُنْتَشِرون انتِشار الجراد ومُسْتَنُّون اسْتِنانَ الجِياد ومُتواصِفون واعِظًا يَقْصِدونه ويُحِلُّون ابنَ سَمْعون دونه فلم يَتَكاءَدْني لاسْتِماع المَوَاعظ واخْتِبار الواعظ أن أُقاسِي اللّاغِط وأحْتَمِل الضاغِط فأصْحَبْتُ اصْحابَ المِطْواعَة وانْخَرَطْتُ في سِلْك الجماعة حتى أفْضَيْنا إلى ناد جَمَعَ الاميرَ والمأمور وحَشَد النَبيه والمَغْمور وفي وَسَط هالَتِه ووَسْط أهِلَّته شَيْخٌ قد تَقَوَّسَ واقْعَنْسَسَ وتَقَلَّس وتَطَلَّسَ وهو يَصْدَع بوَعْظٍ يَشْفِي الصُدور ويُلين الصُخور فَسَمِعْتُه يقول وقد افْتَتَنَتْ به العُقول ابنَ آدمَ ما أغْراكَ بما يَغُرُّك وأضْراك بما يَضُرُّك وألْهَجك بما يُطْغيك وأبْهَجَك بما يُطْرِيك تُغْنَي بما يُعَنِّيك وتُهْمِل ما يَعْنيك وتَنْزِع في قَوْس تَعَدّيك وتَرْتَدي الحِرْصَ الذي يُرْدِيك لا بالكَفَاف تَقْتَنِع ولا من الحَرام

تَمْتنع ولا للْعِظات تَسْتَمِع ولا للوَعيد تَرْتَدع دَأْبُك أن تَتَقَلَّب مع الاَهْواء وتَخْبِطَ خَبْطَ العَشْواء وهَمُّكَ أن تَدْأَبَ في الاحْتِراث وتَجْمَع التُراث للوُرَّاث يُعْجبك التَكاثُرُ بما لَدَيْك ولا تَذْكُر ما بين يديك وتَسْعَى أبَدًا لِغارَيْك ولا تُبالِي أَلَكَ أمْ عليك أتَظُنّ أن سَتُتْرَك سُدى وأن لا تُحاسَبَ غَدًا أَمْ تَحْسِب أنّ الموت يَقْبَل الرُّشا أو يُميِّز بين الاسَد والرَشا كَلّا والله لَنْ يَدْفَعَ المَنُون مالٌ ولا بَنُون ولا يَنْفَع أهلَ القُبور سوى العَمَل المَبْرُور فَطُوبَى لِمَن سَمِع وَوَعَى وحَقَّقَ ما ادَّعَى ونَهَى النَفْسَ عن الهوَى وعَلِم أنّ الفائِز مَن ارْعَوَى وأن ليس للانسان الا ما سَعَى وأنّ سَعْيَه سوف يُرَى ثم أنشد إنشادَ وَجِل بصَوْتٍ زَجِل

لَعَمْرُكَ ما تُغْنِي المَغَانِي ولا الغِنَى ... اذا سَكَن المُثْري الثَرَى وثَوابه
فَجُدْ في مَرَاضِي الله بالمال راضِيًا ... بما تَقْتَني من أجْرِهِ وثَوابِه
وبادِرْ به صَرْفَ الزمانِ فانه ... بِمخْلَبه الاَشْغَى يَغُول ونابِه
ولا تَأْمَن الدَهْرَ الخَؤُنَ ومَكْرَهُ ... فكم خامِلٍ أخْنَى عليه ونابِهِ
وعاصِ هَوَى النفس الذي ما أطاعَهُ ... أخو ضَلّةٍ الا هَوَى من عِقابه
وحافِظْ على تَقْوَى الالِه وخوْفِه ... لِتَنْجُوَ مما يُتَّقَى من عِقابه
ولا تَلْهَ عن تَذْكارِ ذَنْبِك وابْكِهِ ... بدَمْع يُضاهِي المُزْنَ حالَ مَصَابِه
ومَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ الحِمامَ ووَقْعَه ... ورَوْعَةَ مَلْقاهُ ومَطْعَمَ صابِه
وانّ قُصارَى مَنْزِلِ الحَيّ حُفْرَةٌ ... سَيَنْزِلُها مُسْتَنْزَلًا عن قِبَابه
فَوَاهًا لِعَبْدٍ ساءَهُ سُوءُ فِعْلِهِ ... وأبْدَى التَلافي قبلَاغْلاق بابه

قال فَظَلّ القومُ بين عَبْرَةٍ يُذْرُونها وتَوْبةٍ يُظْهِرونها حتى كادت الشمس تَزُولُ والفَريضة تَعُول فلما خَشَعَتِ الاَصْوات والْتَأَمَ الاِنْصات واسْتَكَنَّت العَبَرات والعبارات اسْتَصْرخ مُسْتَصْرِخٌ بالامير المحاضِر وجَعَل يَجْأَرُ إليه من عامِلِهِ الجائِر والاميرُ صاغ إلى خَصْمِه لاهٍ عن كشف ظُلْمه فلما يَئِس من رَوْحه اسْتَنْهَض الواعِظَ لِنُصْحه فَنَهَض نَهْضَة الشِّمِير وأنشد مُعَرِّضا بالأمير

عَجَبًا لِرَاجٍ أن يَنَال وِلَايَةً حتى اذا ما نالَ بُغْيَتَهُ بغى

يُسْدِي ويُلْحِم في المَظَالِم والغًا في وِرْدِها طَوْرًا وطورا مُولِغَا

ما ان يُبَالِي حينَ يَتَّبِع الهَوَى فيها أَأَصْلَحَ دينَه أم أَوْتَغَا

يا وَيْحَه لو كان يُوقِنُ أنه ما حالةٌ الا تَحُول لَمَا طَغَى

أو لو تَبَيَّنَ ما نَدَمَةُ مَن صَغَى سَمْعًا إلى إفْك الوُشاة لَمَا صَغَا

فانْقَدْ لِمَن أضْحَى الزِمامُ بكَفّه وتَغاضَ إن ألْغَى الرّعاية أولَغَا

وارْعَ المُرارَ اذا دَعاكَ لرَعْيِه ورِدِ الاجُاج اذا حَماكَ السَّيِّغا

واحْمِلْ أَذاهُ اذا أَمَضَّكَ مَسُّهُ وأسالَ غَرْبَ الدمع منك وأفْرَغا

فَلَيُضْحِكَنْكَ الدهُر منه اذا نَبَا عنه وشَبّ لكَيْدِه نارَ الوَغَى
ولَيَنْزِلَنّ به الشَمَاتُ اذا بدا مُتَخَلّيا من شُغْلِه مُتَفَرّغا
ولَتَأْوِيَنّ له اذا ما خَدُّه أَضْحَى على تُرْب الهَوَان مُمَرَّغا
هذا له ولَسَوْفَ يُوْقَفُ مَوْقِفًا فيه يُرَى رَبُّ الفصاحةَ ألثَغَا
ولَيُحْشَرَنّ أذَلّ من فَقْع الفَلَا ويُحاسَبَنّ على النَقيصة والشَغَا
ويُؤاخَذَنّ بما اجْتَنَى ومَن اجْتَنَى ويُطالَبَنّ بما احْتَسَى وبما ارْتَغَى
ويُنَاقَشَنّ على الدَقائِق مِثْلَ ما قد كان يَصْنَع بالوَرَى بل أبْلَغَا
حتى يَعَضّ على الوِلاية كَفَّه ويَوَدّ لو لم يَبْغ منها ما بَغَى

ثم قال أيها المُتَوَشِّح بالوِلاية المُتَرَشّح للرِعاية دَع الاذْلال بدولِتك والاغْترارَ بصَوْلَتِك فان الدَوْلَة رِيحٌ قُلّب والاِمْرَةَ بَرْقٌ خُلَّب وانّ أسْعَد الرُعاة مَن سَعِدت به رَعِيّتُه وأشْقاهُم في الدَارَينِ مَن ساءَت رِعايَتُه فلا تَكُ ممن يَذَرُ الآخِرةَ ويُلْغِيها ويُحِبّ العاجِلة ويبْتَغِيها ويَظْلِم الرَعيّة ويُؤْذيها واذا تَوَلّى سَعَى في الارض لِيُفْسِدَ فيها فوالله ما يَغْفُلُ الدَّيّان ولا تُهْمَل يا انسان ولا تُلْغَى الاساءَةُ ولا الاحْسان بَلْ سَيُوضَعُ لك الميزان وكما تَدِين تُدان قال فَوَجَمَ الوَالي لِمَا سَمِع وامْتُقِع لَوْنُه وانْتُقِع وجعل يَتَأَفّف من الاِمْره ويُرْدِف الزَفْرَةَ بالزَفْرة ثم عَمَد إلى الشاكي فَأَشْكاه وإلى المَشْكُو منه فأشْجاه وأَلْطَفَ الواعظَ وحَبَاه واسْتدْعى منه أن يَغْشاه فانْقَلَبَ عنه المَظْلُوم مَنصورا والظالمُ مَحْسورا وبَرَزَ الواعِظُ يَتَهادى بين رُفْقته ويَتَباهَى بفَوْز صَفْقَتِه واعْتَقَبْتُه أخْطُو مُتَقاصِرا وأُرِيْه لَمْحا باصِرا فلما اسْتَشَفّ ما أُخْفِيه وفَطِن لَتَقلُّب طَرْفِي فيه قال خَيْرُ دَليلَيْكَ مَنْ أرشَد ثم اقْتَرَبَ منى وأنشد

أنَا الذي تَعْرِفه يا حارِثُ　　حِدْثُ مُلُوكٍ فَكِهٌ مُنَافِث
أُطْرِبُ مالا تُطْرِبُ المَثَالِثُ　　طَوْرًا أخُو جدٍّ وطَوْرًا عابِثُ
ما غَيّرَتْنِي بَعدَك الحَوادِثُ　　ولا الْتَحْي عُودِيَ خَطْبٌ كارِثُ
ولا فَرَى حَدّيَ نابٌ فارِثٌ　　بل مِخْلَبِي بكُلّ صَيْدٍ ضابِثُ
وكُلُّ سَرْحٍ فيه ذِئْبِي عائثُ　　حتّى كأنِّيَ للانَامِ وارِثُ

سَامُهُم وحَامُهُمْ ويافثُ

(قال الحارث بن همام) فقلت له تالله انّك لَأبُو زَيد ولقد قُمْتَ لله ولا عَمْرو بن عُبَيد فَهَش هَشَاشَة الكَرِيم اذا أمّ وقال اسْمَع يا ابنَ أُمّ ثم أنشأ يقول

عليكَ بالصِدق ولَوْ أنَّهُ　　أحْرَقَكَ الصدقُ بنارِ الوَعِيد
وابْغِ رِضَا اللهِ فأغْبَى الوَرَى　　من أسْخَطَ المَوْلَى وأرْضَى العَبِيد

ثم انَّه وَدَّعَ أخْدَانَه وانطلَقَ يَسْحَبُ أرْدَانَه فَطَلَبْنَاه مِن بَعْدُ بالرّي واسْتَنْشَرْنا خَبَرَه مِن مَدَارِجِ الطّيّ فما فينَا مَنْ عَرَف قَرارَه ولا دَرَى أيُّ الجَرَاد عَارَه

نُخْبَة من وَصيّة ابن سَعيد المغربي لأبْنِه وقد أراد السَفَر

أُودِعُكَ الرَحْمَنَ في غُرْبَتِك　　مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ في أوْبَتِكْ
فلا تُطِلْ حَبْلَ النَوَى إنَّنِي　　والله أشْتاقُ إلى طَلْعَتِكْ

واخْتَصِرِ التوديعَ أخذًا فما   لِي ناظرٌ يَقْوَى على فُرْقَتِكْ

واجْعَلْ وَصاتِي نُصْبَ عَيْنٍ ولا   تَبْرَحَ مَدَى الايامِ مِن فِكْرتك

خُلاصةُ العُمْرِ التي حُنِّكَتْ   في ساعةٍ زُفَّتْ إلىَ فِطْنتك

فلِلتَّجارِيب أُمُورٌ اذا   طَالَعْتَها تَشْحَذَ مِن غَفْلَتِك

فَلا تَنَمْ عن وَعْيِها سَاعَةً   فانَّها عَوْنٌ إلَى يَقْظَتِك

وكلّ ما كابَدْتَه في النَوَى   ايّاكَ أنْ يَكْسِر مِن هِمَّتِك

فليسَ يُدْرَى أصْلُ ذِي غُرْبَةٍ   وانَّما تُعْرَف مِن شِيمتك

وامشِ الهُوَيْنا مُظْهِرًا عِفّةً   وابغ رِضا الأعْيُنِ عن هَيْئَتِك

وانِطْقْ بحيثُ العِيُّ مُسْتَقْبَحٌ   واصُمتْ بحيث الخَيْرُ في سَكْتَتِك

وَلِجْ على رِزْقك مِن بابِه   واقْصِدْ له ما عِشْتَ في بُكْرَتِك

ووفِّ كُلّا حَقَّه ولْتَكُنْ   تكْسِر عند الفَخْر مِن حِدَّتك

وحَيْثُما خَيَّمْتَ فاقِصدْ إلى   صُحبة مَن تَرجوه في نُصْرَتك

وللرَزَايَا وَثْبَةٌ ما لَهَا   الا الذي تَذْخَرُ مِن عُدَّتك

ولا تَقُلْ أسْلَمُ لِي وَحْدَتِي   فقَد تُقَاسِي الذّلّ في وَحْدَتك

ولْتَجْعَل العَقْلَ مِحَكًا وخُذْ   كُلّا بما يَظْهر في نَقْدَتك

واعتبر الناسَ بألْفاظِهم   واصْحَبْ أخًا يَرْغَب في صُحْبتك

كم مِن صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نُصْحَه   وفِكْرُه وقَفْ على عَثْرتك

اياك أن تَقْرَبَه انه   عَوْنٌ مع الدهر على كُرْبتك

وأنْمُ نُمُوَّ النَبْتقد زَارَه   غِبُّ النَدَى واسْمُ إلى قُدْرتك

ولا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمْكنًا   تَذْكارُه يُذْكِي لَظَى حَسْرَتِك

والشّرّ مَهْمَا اسْطَعْتَ لا تأتِهِ   فانه حُوزٌ على مُهْجَتِك

يابُنَيّ الذي لا ناصِحَ له مِثْلي ولا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُه قد قَدَّمْتُ لك في هذا النَظْم ما إن أخْطَرْتَه بخاطرك في كل أوانٍ رَجَوْت لك حُسْن العاقبة ان شاء الله تعالى وانّ أخَفّ منه لِلحفْظ وأعْلَق بالفِكْر وأحَقّ بالتَقَدُّم قولُ الاوّل

يَزينُ الغَريبَ اذا ما اغْتَرَبْض	ثلاثٌ فَمْنُهنّ حُسْن الادب
وثانيةٌ حُسْن أَخْلاقِه	وثالثةٌ إجْتِنابُ الرّيَبْ
واصْغَ يابنيّ إلى البيت الذي هو	يتيمة الدهر وسُلّم الكَرَم والصَبْر
ولَوَ اَنّ اوطانَ الديارِ نَبَتْ بِكُمْ	لَسَكَنْتُمُ الاَخلاق والآدابا

اذْ حُسْن الخُلُق أكْرَم نَزيل والادبُ أرْحبُ مَنْزل ولْتَكُنْ كما قال بعضهم في أديبٍ مُتَغَرّب وكان كلما طَرَأ على مَلِكٍ فكأنه مَعَه وُلِد وإليه قَصَد غيرَ مُسْتَرِيب بدَهْره ولا مُنْكرٍ شيأ من أمره واذا دَعاك قَلْبُك إلى صُحْبَة من أخَذ بمجامِع هَوَاه فاجعل التَّكَلُّف له سُلّما وهُبَّ في رَوض أخْلاقه هُبُوب النَسيم وحُلّ بطَرْفه حُلولَ الوَسَن وانْزِل بقلبه نُزولَ المَسَرّة حتى يَتَمَكَّن لك وِدَادُه ويَخْلُص فيك اعتِقادُه وطَهِّره من الوقُوع فيه لسانَك وأغْلِقْ سَمْعَك ولا تُرَخِّصْ في جانِبِه لحَسُودٍ لك منه يُريد ابْعادَك عنه لمنفعةٍ أو حَسودٍ له يَغارُ لتَجَمُّلِهِ بصُحْبتك ومع هذا فلا تَغْتَرّ بطول صحبته ولا تَمَتَهّد بدوام رَقْدته فقد يُنَبِّهُه الزمان ويَتَغَيّر منه القلب واللسان وانما العاقل مَن جَعل عَقْله مِعْيارا وكان كالمِرْآة يَلْقَى كل وجهٍ بِمثاله وفي أمثال العامّة من سَبَقَك بيَوم فقد سَبَقك بعَقْل فاحْتذِ بأمثلة مَن جَرّب واستمِع إلى ما خَلّد الماضُون بعد جَهْدهم وتَعَبهم من الاقوال فانها خُلاصة عُمْرهم وزُبْدة تَجارِبِهم ولا تَتّكِل على عَقْلك فانّ النَظَر فيما تَعِب فيه الناسُ طُولَ أعْمَارهم وابْتاعُوه

غالِيًا بتَجَارِبِهِم يُرْبِحُك ويَقَع عليك رَخيصا وان رأيتَ مَن له عقل ومُرُوءة وتَجْرِبة فاسْتَفِدْ منه ولا تُضَيّع قولَه ولا فِعْله فانّ فيما تَلْقاه تَلْقيحا لعقلك وحَثّا لك واهِتداءً وليس كل ما تَسْمع من أقوال الشُّعَراء يَحْسُنُ بك أن تَتّبعه حتى تَتَدَبّره فان كان مُوافِقا لعقلك مُصْلِحا لحالك فَراعِ ذلك عندك والا فانْبِذْه نَبْذَ النَواة فليس لكل أحد يُتَبَسَّم ولا كل شخص يُكَلَّم ولا الجُود مما يُعَمّ به ولا حُسْن الظنّ وطيبُ النَفْس مما يُعامَل به كلُّ أحد ولله درّ القائل

وما لِيَ لا أُوفِي البَرِيّةَ قِسْطَهَا على قَدْر ما يُعْطِي وعَقْلِيَ ميزانُ

واياك أن تُعْطِيَ من نَفْسك الا بقَدَرٍ فلا تُعَامِل الدُّونَ بمعاملة الكُفْءِ ولا الكُفْءَ بمعاملة الأعْلَى ولا تُضَيّع عُمْرَك فيمن يُعامِلك بالمطامِع ويُثيبُك على مَصْلحةٍ حاضرة عاجلة بغائبةٍ آجِلة ولا تَجْفُ الناسَ بالجملة ولكن يكونُ ذلك بحيث لا يَلْحق منه مَلَل ولا ضَجَر ولا جَفاء فمتى فارَقْتَ أحدًا فعلى حُسْنَى في القَول والفعل فانك لا تدري هل أنتَ راجعٌ إليه فلذلك قال الاول (ولما مَضَى سَلْمٌ بَكَيْتُ على سَلْمِ) واياك والبيت السائر

وكنتَ اذا حللتَ بدارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيةٍ وتركتَ عارا

واحْرِص على ما جَمَع قول القائل ثلاثةٌ تُبْقِي لك الوُدَّ في صَدر أخيك أن تَبْدَأه بالسلام وتُوَسّع له في المَجْلس وتَدْعُوه بأحبّ الأسماء إليه واحذَرْ كل ما بَيّنه لك القائل كل ما تَغْرِسُه تَجْنيه الا ابن آدم فاذا غَرَسْتَه يَقْلَعُك

وقول الآخر ابن آدمَ ذئب مع الضَعْف أسَدٌ مع القُوّة واياك أن تَثْبُت على صُحْبة أحَد قبل أن تُطيل اخْتباره. ويحكى أن ابن المُقَفّع خَطَب من الخَلِيل صُحْبَتَه فَجَاوَبَه ان الصُحْبة رِقّ ولا أضَع رقّى في يديك حتى أعْرف كيفَ مَلَكَتُك واسْتَمْل من عين مَن تُعاشِره وتَفَقَّد في فَلَتَات الألسُن وصَفَحات الأوْجُه ولا يَحْمِلْك الحياء على السكوت عما يَضُرّك أن لا تُبَيّنه فانّ الكلام سلاح السِلْم وبالأنين يُعْرَف ألَمُ الجُرْح واجعل لكل أمْر أخَذْتَ فيه غايةً تَجْعَلُها نهاية لك

وخُذْ من الدهر ما أتاك به   مَن قَرّ عَيْنًا بعَيْشه نَفَعَه

اذ الافكار تَجْلُب الهُموم وتُضاعف الغُموم ومُلازَمة القُطوب عُنْوان المَصائب والخُطوب يَسْتَرِيب به الصاحب ويَشْمَت العَدُوّ والمُجانب ولا تَضُرّ بالوَساوس الّا نَفْسَك لأنّك تَنْصُر بها الدهر عليك ولله در القائل

اذا ما كنتَ للاحزان عَوْنًا   عليك مع الزمان فَمَن تَلُوم

مع انه لا يَرُدُّ عليك الغائبَ الحُزْن ولا يَرْعَوي بطُول عَتْبك الزَمَنُ ولقد شاهَدت بِغَرْناطَة شخصا قد ألِفته الهُمُوم وعشِقَته الغموم ومن صِغره إلى كبَره لا تَرَاه أبدا خَليّا من فِكْرَة حتى لُقبّ بصَدْر الهَم ومن أعجب ما رأيتُه منه انه يَتَنَكَدَّ في الشِدّة ولا يَتَعَلَّل بأن يكونَ بَعْدَها فَرَج ويَتَنَكّد في الرَّخاء خَوفا من أن لا يَدُوم ويُنْشد

*تَوَقّع زَوَالًا اذا قيلَ تَمّ*وينشد*وعند التَنَاهي يَقْصُر المُتَطاول*

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ومثل هذا عُمْرُه مَخْسور يَمُرّ ضَيَاعا ومتى رَفَعك الزمانُ إلى قوم يَذُمّون من العلْم ما تُحْسنهُ حَسَدًا لك وقَصْدًا لتَصْغير قَدْرك عندك وتَزْهيدا لك فيه فلا يَحْمِلْك ذلك على أن تَزْهَد في علْمك وتَرْكَن إلى العلْم الذي مَدَحُوه فتكونَ مِثْل الغُراب الذي أعْجَبَه مَشْيُ الحَجَلة فَرَامَ أن يَتَعَلّمَه فَصَعُبَ عليه ثم أراد أن يرجع إلى مَشْيه فَنَسِيَه فَبَقَى مُخَبَّل المَشْي كما قيل

انّ الغُراب وكان يَمْشي مِشْيَةً فيما مَضَى من سالف الاجْيال
حَسَدَ القَطا وأرادَ يمشي مَشْيَها فاصابَه ضَرْبٌ من العُقّال
فاضَلَّ مِشْيَتَه وأخْطَأَ مَشْيَها فلذاك كَنَّوْه أبَا مِرْقال

ولا يُفْسِدْ خاطِرَك مَن جعل يَذُمُّ الزمان وأهْلَه ويقول ما بَقَى في النيا كريم ولا فاضل ولا مكان يُرتاح فيه فان الذين تَرَاهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صَحِبَه الحِرْمان واسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُه للهَوان وأبْرَموا على الناس بالسؤال فَمَقَتُوهم وعَجَزوا عن طَلَب الامور من وُجُوهها فاسْتَرَاحُوا إلى الوُقُوع في الناس وأقاموا الاَعْذَار لأنْفُسهم بقَطْع أسْبابهم ولا تُزِل هذين البيتين من فكْرك

لِنْ اذا ما نلْتَ عزًّا فأخُو العزّ يَلينُ
فاذا نابَكَ دَهْرٌ فكما كنتَ تكونُ

والامثال تُضْرب لِذِي اللُّبّ الحكيم وذُو البَصَر يَمْشي على الصراط المستقيم والفَطن يَقْنَع بالقَليل ويَسْتَدلّ باليَسير والله سبحانه خليفتي عليك لا رَبَّ سواهُ

الجامع الازهر

هذا الجامع أول مسجد أسِّس بالقاهرة والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب الصَقَلّي مَولى الامام أبي تميم مَعَدّ الخليفة أمير المؤمنين المُؤمنين المُعزّ لدين الله لمّا اخْتَطّ القاهرة وشُرِعَ في بناء هذا الجامع في يوم السبت لِستّ بَقين من جُمَادي الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكَمُل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمائة وجُمّع فيه وكُتب بدائر القّبة التي في الرّواق الاول وهى على يَمْنة المحراب والمنبر ما نصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ستين وثلاثمائة وأول جمعة جُمّعت فيه في شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلاثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جَدّد فيه أشياء وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة سَألَ الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كِلْس الخليفة العزيز بالله في صِلَة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق الناضّ وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبُنيَت بجانب الجامع الازهر

فاذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وتَحَلّقُوا فيه بعد الصلاة إلى أن تُصَلَّى العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صِلَة في كل سنة وكانت عِدَّتُهم خمسة وثلاثين رجلا وخَلَعَ عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحَمَلهم على بَغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يَسْكُنه عُصْفور ولا يُفْرِخ به وكذا سائر الطيور من الحَمَام واليَمام وغيره وهو صورة ثلاث طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فمنها صورتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس منها صورة في الجهة الغربية في العمود وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من اسْتَقْبَلَ سدّة المُؤَذِّنين والصورة الاخرى في الصحن في الاعمدة القبلية مما يلي الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جَدّده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس والجامع الحاكمي ودار العلم بالقاهرة رِباعًا بمصر ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ لدين الله وانشأ فيه مقصورة لطيفة تُجَاوِر البابَ الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات عُرِفت بمقصورة فاطمة من أجل ان فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها في المنام ثم انه جُدّد في ايام الملك الظاهر بيبرس البندقداري قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك ان الامير عز الدين أيدمر الحلى كان جار هذا الجامع من مّدة سنين فرعي وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جارُه في دار الدنيا انه غدا يكون ثوابُه جارَه في تلك الدار ورسم بالنظر في أمره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها في أيدي جماعة وحاط أموره حتى جمع له شيأ صالحا وجرى الحديث في ذلك

فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع في عمارته فَعَمّر الواهي من أركانه وجدرانه وبَيّضه وأصلح سقوفه وبلّطه وفرشه وكساه حتى عاد حَرَما في وسط المدينة واستجدّ به مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محدِّثا يُسْمع الحديث النبوي والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدائرة ورتّب به سبعة لقراءة القرآن الكريم ورتّب به مدرّسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث في اقامة جمعة فيه فنودى في المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا وأقيمت الجمعة فيه في اليوم المذكور وحضر الأتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين على بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين ودخل إلى داره ودخل معه الامراء فقدم لهم كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث في أمر جواز الجمعة في الجامع وما ورد فيه من أقاويل العلماء وكُتبَ فيها فُتْيا أُخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة في هذا الجامع واقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها وأقيمت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكمي قال وكان سقف هذا الجامع قد بنى قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلا ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتى بنى الحامكي فانتقلت الخطبة إليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفي الجامع

الازهر خطبة وفي جامع ابن طُوْلُوْن وفي جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفته القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعي فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة بالجامع الحاكمي من أجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى ان أعيدت الخطبة في أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكمي وجامع مصر وغيره فتقاسم امراء الدولة عمارة الجامع الحاكمي وتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمي وتولى الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن على الِاسْعَرْدِي محتسب القاهرة في خمس وعشرين وسبعمائة ثم جددت عمارته في سنة احدى وستين وسبعمائة عندما سكن الامير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري في دار الامير فخر الدين أبان الزاهدي الصالحي النجمي بخُطّ الابارين بجوار بجوار الجامع الازهر بعد ما هدمها وعمرها وهى التي تعرف هناك إلى اليوم بدار بشيرا الجامدار فأحَبّ لقُرْبه من الجامع أن يُؤَثِر فيه أثَر صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في عمارة

الجامع وكان أثيرا عنده مُختصًّا به فأذِن له في ذلك وكان قد استجد بالجامع عدّة مَقاصير ووُضعَتْ فيه صناديق وخزائن حتى ضيّقته فأخرج الخزائن والصناديق ونَزَع تلك المقاصير وتَتَبَّع جُدْارنه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبَيّض الجامع كله وبلّطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلي حانوتا لتسبيل الماء العذب في كل يوم وعمل فوقه مَكْتَبَ سبيل لاقراء المسلمين كتابَ الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعاما يُطْبخ كل يوم وأنزل إليه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مُدَرِّسهم لالقاء الفقه في المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية إلى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون في كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن إلى هذا الوقت وفي سنة أربع وثمانين وسبعمائة وُلّي الامير الطواشي بَهادرُ المقدّم على المماليك السلطانية نَظَرَ الجامع الازهر فتنجَّزَ مرسومَ السلطان الملك الظاهر برقوق بأنّ من مات من مجاوري الجامع الازهر عن غير وارث شرعي وترك موجودا فانه يأخُذُه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحري وفي سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعُمِّرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نَقْرة كملت في ربيع الآخر من السنة المذكورة فَعُلّقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأُوقدت حتى اشتغل الضوء من أعلاها إلى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتَلَوْا ختمة شريفة ودَعَوا للسلطان فلم تزل هذه المِئْذَنة إلى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهُدِمت لمَيْلٍ ظَهَرَ فيها وعُمِل بَدَلها منارة من حجر على

باب الجامع البحري بعد ما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقدة وأُخِذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشراف خليل التي كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك المير تاج الدين الشَوْبَكَيّ وإلى القاهرة ومحتسبها إلى أن تمت في جمادي الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت في صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفي شوّال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذي في وسط الجامع فوجد هناك آثار فسيقة ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه في ربيع الاول وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يُسَبَّل فيه الماء وغُرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عند ما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية هناك وأما هذه الميضأة التي بالجامع الآن فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولي نظر هذا الجامع الامير سودوب القاضي حاجب الحجاب فجرت في أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك انه لم يزل في هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم في هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتَلْقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحِلَق الذِكْر فيَجِد الانسان اذا دخل هذا المجتمع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره وصار أرباب الاموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من

الذهب والفضة والفُلُوس اعانَةً للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكلّ قليل تُحْمَل إليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم فأمر في جمادي الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسي المصاحف زعما منه ان هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الا من أعظم الذنوب وأكثرها ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا في القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد في التعدي وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس في الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندي وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لا يجد مكانا يُؤْويه ومنهم من يَسْتَرْوِح بمبيته هناك خصوصا في ليالي الصيف وليالي شهر رمضان فانه يمتلئ صحنه وأكثر رواقاته فلما كانت ليلة الاحد الحادي عشر من جمادي الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم في الجامع وكان قد جاء معه من الأعوان والغلمان وغوغاء العامّة ومن يريد النهب جماعة فَحَل بمن كان في الجامع أنواع البلاء ووقع فيهم النهب فأُخِذَت فُرُشهم وعمائمهم وفُتِّشَت أوساطهم وسُلِبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضة وعَمل ثوبا أسودَ للمنبر وعَلَمَين مُزَوَّقَين بلغت النفقة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على ما بلغني فعاجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان في شهر رمضان وسجنه بدمشق

ذكر جامع دِمَشق المعروف بجامع بني أُمَيّة

وهو اعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا ولا يُعْلم له نظير ولا يوجَد له شبيه وكان الذي تولى بناءه واتقانه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان ووجَّه إلى ملك الروم بقسطنطينية يأمره أن يبعث له الصُّنَّاع فبعث إليه اثنى عشر ألف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فانتهى إلى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صلحا فانتهى إلى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجدا وبقى النصف الذي صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم أن يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاؤا من عوض فأبوا عليه فانتزعها من أيديهم وكانوا يزعمون أن الذي يهدمها يُجَنّ فذكروا ذلك للوليد فقال أنا أول من يُجَنّ في سبيل الله وأخذ الفأسَ وجعل يَهْدِم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تتابعوا على الهدم وأكذب اللهُ زَعْمَ الروم وزُيِّن هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيْفِساء تخالطها أنواع الأصبغة الغريبة الحُسْن وذَرْعُ المسجد في الطول من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة وهى ثلاثمائة دراع وعرضه من القبلة إلى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع وعدد شمسات الزجاج الملونة التي فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق إلى غرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية

وثماني أرجل جِصّية تتخللها وست أرجل مُرَخّمة مُرَصّعة بالرُّخام الملون قد صُوِّر فيها أشكال محاريب وسواها وهى تُقِلّ قُبَّةَ الرَّصاص التي أمام المحراب المسماة بقبة النَسْر كأنهم شَبَّهوا المسجدَ بنَسْر طائر والقبة رأسه وهى من أعجب مباني الدنيا ومن أي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة في الهواء منفية على جميع مباني البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطاو بها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الارجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حُسْنا وبها يجتمع أهل المدينة بالعشايا فمن قارئ ومُحَدّث وذاهب ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة واذا لقَى أحد كبرائهم من الفقهاء وسواهم صاحبا له أسرع كل منهما نحو صاحبه وحط رأسه وفي هذا الصحن ثلاث من القباب احداها في غربيه وهى أكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهى قائمة على ثمان سَوار من الرخام مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال ان مال الجامع كان يخزن بها وذكر لي أن فوائد مستغلات الجامع ومجابيه نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهبا في كل سنة والقبة الثانية من شرق الصحن على هيئة الأخرى الا أنها أصغر منها قاعة على ثمان من سواري الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبة في وسط الصحن وهى صغيرة مثمنة من رخام عجيب محكم الالصاق قائمة على أربع سوار من الرخام الناصع وتحتها شُبّاك حديد في وسطه أنبوب نحاس يَمُجّ الماء إلى عُلْو فيرتفع ثم ينثني كأنه قضيب لُجَين وهم يُسَمُّونه قَفَص الماء ويستحسن الناس وضع أفواههم فيه للشرب وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يُفْضي إلى المسجد بديع

الوضع يسمى مشهد علي بن أبي طالب رضى الله عنه ويقابله من الجهة الغربية حيث يلتقي البلاطان الغربي والجوفي موضع يقال ان عائشة رضى الله عنها سمعت الحديث هناك وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها امام الشافعية وفي الركن الشرقي منها ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لَثْم ذلك المصحف الكريم وهنالك يُحَلِّف الناسُ غُرَماءَهم ومَن ادّعَوْا عليه شيئا وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكُر أهل التاريخ انه اوّل محراب وضع في الاسلام وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احداها بشرقيّة وهى من بناء الروم وبابها داخل المسجد وبأسفلها مَطْهَرة وبيوت للوضوء يَغْتَسل فيها المعتكفون والملتزمون للمسجد ويتوضؤن والصومعة الثانية بغربيه وهى ايضا من بناء الروم والصومعة الثالثة بشاله وهى من بناء المسلمين وعدد المؤذنين به سبعون مؤذنا وفي شرق المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء وهى لطائفة الزيالعة السودان وفي وسط المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت معترضين بين اسطوانتين مَكْسُوّ بثوب حرير أسود مُعْلَم فيه مكتوب بالأبيض (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) وهذا المسجد شهير الفضل وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثَوْري انّ الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يُعْبَد اللهَ فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي اللهُ فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله هود عليه السلام

وأن قبره به وقد رأيت على مقربة من مدينة ظَفارِ ايمن بموضع يقال له الاَحْقاف بَنِيّة فيها قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عامر صلى الله عليه وسلم ومن فضائل هذا المسجد أنه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من الزمان والناس يجتمعون به كل يوم إثر صلاة الصبح فيقرؤن سُبعا من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية يقرؤن فيها من سورة الكوثر إلى آخر القرآن وللمجتمعين على هذه القراءة مرتبات تجري لهم وهم نحو ستمائة انسان ويدور عليهم كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته وفي هذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين لا يخرجون منه مُقْبلون على الصلاة والقراءة والذّكْر لا يفْتُرون عن ذلك ويتوضؤن من المَطَاهر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلد يُعينوهم بالمطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيأ من ذلك وفي هذا المسجد أربعة أبواب بابٌ قبلي يعرف بباب الزيادة وبأعلاه قطعة من الرُمْح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضى الله عنه ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم ومنه يُذْهب إلى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الصقارين وهى سوق عظيمة ممتدة مع جدار المسجد القبلي من أحسن أسواق دمشق وبموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضى الله عنهم وصار مكانها سوقا وبابٌ شَرْقِيّ وهو أعظم ابواب المسجد ويسمى بباب جَيْرون وله دهليز عظيم يُخْرَج منه إلى بلاط عظيم طويل أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه

وبازائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وبه ماءٌ جارٍ وقد انتظمت أمام البلاط دَرَج يُنْحَدَر فيها إلى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجذوع طوال وبجانبي هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البَزّازين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهريين والكُتْبيين وصُنّاع أواني الزجاج العجيبة وفي الرَحَبة المتصلة بالباب الأول دكاكين لكبار الشهود منها دكانان للشافعية وسائرها لاصحاب المذاهب يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول والعاقد للانكحة من قبل القاضي وسائر الشهود مفترقون في المدينة وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الورّاقين الذين يبيعون الكاغِد والاقلام والمداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لا سَقْف لها تُقِلُّها أعمدة رخام وفي وسط الحوض أنْبوب نحاس يُزعِج الماء بقوة فيرتفع في الهواء أزيد من قامة الانسان يسمونه الفَوّارة مَنْظَرُه عجيب ويمين الخارج من باب جَيْرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مُفَتَّحة لها أبواب على عدد ساعات النهار والابواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فاذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الاخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا ويقال ان بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضي الساعات والباب الغربي يعرف بباب البريد وعن يمين الخارج منه مدرسة للشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه وبأعلاه باب يصعد إليه في دَرَج له أعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج سِقَايَتَان عن يمين وشمال مستديرتان والباب الجوفي يعرف بباب النطفانيين

وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج منه خانقاه تعرف بالشميعانية في وسطها صهريج ماء ولها مطاهر يجري فيها الماء ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وعلى كل باب من أبواب المسجد الأربعة دار وضوء يكرن فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة (لابن بطوطة) .

لابي البقا صالح بن شريف الرَندي يرثي الاندلس

لكل شيءٍ اذا ما تَمَ نُقْصانُ فلا يُغَرّ بطِيب العيش انسان

هى الامور كما شاهدتَها دُوَل مَن سَرّه زَمَنٌ ساءَتْه أزمان

وهذه الدار لا تُبْقِي على أحد ولا يدوم على حالٍ لها شان

يُمَزّق الدهرُ حَتْما كلَّ سابغةٍ اذ نَبَتْ مَشْرِفيّات وخُرْصَانُ

ويَنْتَضِي كلَّ سَيفٍ للفتاء ولو كان ابنَ ذِي يَزَنٍ والغِمْدَغُمْدانُ

أين الملوك ذَوُو التيجان من يَمَنٍ وأين منهم أكاليلٌ وتيجان

وأين ما شاده شدّاد في إرَمٍ وأين ما ساسه في الفُرْس سَاسَان

وأين ما حازه قارُونُ من ذَهَب وأين عادٌ وشدَّاد وقَحْطَان

أتَى على الكُلّ أمْرٌ لا مَرَدَّ له حتى قَضَوْا فكَأَنّ القومَ ما كانوا

وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ كما حَكَى عن خَيال الطَيْف وَسْنَانُ

دَارَ الزمانُ على دَارَا وقاتله وأمّ كِسْرَى فما آواه إيْوَان

كأنما الصَعْب لم يَسْهُل له سَبَبٌ يوما ولا مَلَك الدنيا سُليمَان

فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنَوَّعة وللزمان مَسَرَّاتٌ وأحْزان

وللحوادث سُلْوانٌ يُسَهِّلها   وما لِما حَلّ بالاسلام سُلْوان

دَهَى الجزيرةَ أمْرٌ لا عَزَاءَ له   هَوَى له أُحُدٌ وانْهَدّ ثَهْلان

أصابَها العَين في الاسلام فاْتَزَأتْ   حتى خَلَتْ منه أقطار وبُلْدان

فاسْأَلْ بَلَنْسِيَةً ما شَأْنُ مُرْسِيَةٍ   وأين شاطِبَةٌ أمْ أين جَيَّان

وأين قُرْطُبَةٌ دارُ العلوم فكم   من عالِمٍ قد سما فيها له شان

وأين حِمْصٌ وما تحويه من نُزَه   ونَهْرُهاً العَذْب فَيّاض ومَلآن

قَوَاعِدٌ كُنّ أركانَ البلاد فما   عَسَى البَقاءُ اذا لم تَبْقَ أركان

تَبْكِي الحنيفيّة البيضاءُ من أسَفٍ   كما بكى لِفِراق الإِلْف هَيْمان

على ديار من الاسلام خالية   قد أقْفَرَت ولها بالكفر عُمْران

حيث المساجدُ قد صارت كنائسَ ما   فيهنّ الّا نَوَاقيسٌ وصُلْبَان

حتى المَحَارِيب تبكي وهى جامِدة   حتى المَنَابِر ترثِي وهى عِيْدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة   ان كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يَقْظان

وماشِيًا مَرِحًا يُلْهِيه موطِنُه   أبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ المرءَ أوطان

تلك المصيبة أنْسَتْ ما تَقَدَّمَها   وما لها مع طُول الدهر نِسيان

يا راكبينَ عِتاقَ الخيل ضامِرةً   كأنّها في مَجال السَبْق عِقْبان

وحاملين سيوفَ الهند مُرْهَفَةً   كأنها في ظلام النَقْع نيران

ورَاتِعين وَرَاء البَحْر في دَعَةٍ   لهم بأوطانِهم عزٌّ وسلطان

أعِنْدكم نَبَأ من أهل أنْدَلُسٍ   فقد سَرَى بحديث القوم رُكْبان

كم يَسْتَغيث بِنَا المُسْتَضْعَفُون وهم   قَتْلَى وأسْرَى فما يَهْتَزّ انسان

ماذا التَقاطُع في الاسلام بَيْنَكُمُ   وأنتُمُ يا عبادَ الله اخوان

ألَا نُفُوسٌ أبِيّات لها هِمَمٌ   أمَا على الخير أنْصار وأعْوان

يا مَن لِذِلّة قوم بعد عِزِّهِم   أحَالَ حالَهُم جَوْرٌ وطُغْيان

بالأَمْس كانوا مُلوكا في مَنازلهم	واليومَ هُمْ في بلاد الكُفْر عُبْدان
فلو تراهم حَيارَى لا دَليلَ لهم	عليهمُ في ثِياب الذُّلّ ألوان
ولو رأيت بُكاهم عند بَيْعِهِمُ	لَهالَك الأمْرُ واسْتَهْوَتْك أحزان
يا رُبّ أُمّ وطِفْل حِيلَ بَيْنَهُما	كما تُفَرَّق أرْواحٌ وأبْدَان
وطَفْلةٍ مِثْل حُسْن الشَمْس اذ لَعَتْ	كانَّما هى ياقوتٌ ومَرجان
يَقُودُها العِلْج للمكْرُوه مَكْرَهَةً	والعين باكيةٌ والقلب حَيْران
لِمثْل هذا يَذُوب القلب من كَمَدٍ	ان كان في القلب اسلام وايمان

مدينة الزهراء في الاندلس

كان الخليفة عبد الرحمن الناصر كَلِفًا بعمارة الأندلس وإقامة مَعالِمها وتخليد الآثار الدالة على قُوّة المُلْك وعِزّة السلطان فأفْضَى به الاغِراق في ذلك إلى أن ابْتَنَىَ مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره المنتشر صيته واستفرغ جهده في تنميقها واتقان قصورها وزخرفة مَصانعها فاستدعى عُرَفاء المهندسين وحشد بُرعَاء البنائين من كل قُطْر فوفَدوا عليه حتى من بَغْداد والقُسْطَنْطينية ثم أخذ في بناء المُسْتَنْزَهات وانشاء مدينة الزهراء الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامَها بطرق البلد على ضَفّة نهر قُرْطُبة ونَسّق فيها كل اقتدار مُعْجز ونظام وكان قَصْر الخليفة متناهيا في الجلالة والفخامة أطبقَ الناس على أنه لم يبن مِثْلُه في الاسلام البَتّة وما دَخَل إليه أحَدٌ من سائر

البلاد النائية والنِحَل المختلفة الآ وكُلُّهم قطَعَ أنه لم يَرَ له شبيها بل يَسْمَع به بل لم يَتَوَهّم كَوْنَ مِثْله ولو لم يكن فيه الا السطح المُمَرَّد المُشْرِف على الروضة المباهى بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة الملْبَس والحِلْيَة ما بين مَرْمَرٍ مَسْنُون وذَهَب مَصُون وعَمَدَ كأنما أُفْرغَتْ في القَوالِب وتَمَاثيل لا تُهْدَى الأوهامُ إلى سبيل استقصاء التعبير عنها (لكفى مثلا) وكنتَ تَرَى في مقصورة الخليفة بِرْكَةً يجري الماء فيها بصنعة محكمة وفي وسطها يَعُوم أسَد عظيم الصُّورة بديع شديد الروعة لم يشاهد أبْهَى منه فيما صَوّر الملوك في غابر الدهر مَطْلِيّ بذَهب ابْريز وعَيْناه جَوْهَرَتان لهما وَ بِيضٌ شديد فَيَمُجّ الماءَ في تلك البركة من فيه فَيَبْهَر المَناظِر بحسنه ورَوْعة مَنْظَره وثجَّاج صَبّه فَتُسْقَى من مُجاجه جنَان هذا القصر على سَعَتِها ويَسْتَفيض على ساحاته وجَنَبَاته وهذه البِرْكة وتِمثْالها من أعظم آثار الملوك في غالب الدهر لفخامة بنيانها وما يخص سائر البِنايات فكان الناصِر قد جَلَب إليها الرُخامَ الأبيض المُجَزّع من رَيَّةَ والأبيضَ من غيرها والوَرْدِيّ والاخضر من إفْريقية وبَنَى في القصر المَجْلِس وجعل في وسطه اليَتيمة التي أتحفَ الناصرَ بها اليون ملك قسطنطينية وكانت قَرَامد هذا القصر من الذهب والفِضّة وهذا المجلس في وسطه صِهْريج عظيم مملوء بالزئبق وكان في كل جانبٍ من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حَنايا من العاج والأَبنُوس المُرَصّع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سَوَارٍ من الرُخام المُلَوّن والبِلَّوْر الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شُعاعها في صدر المجلس وحيطانة فيصير من ذاك نورٌ يأخذ بالابصار وكان بناءُ الزَهْراء في

غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعَمَد كثير وأجرى فيها المياهَ وأحْدَق بها البساتين وقد أتقنه إلى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة ووضع في وسط البحيرة قبّةً من زجاج مُلَوّن منقوش بالذهب وجَلَب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماءُ ينزِل من أعلى القبة على جوانبها محيطًا بها ويتصل بعضه ببعض وكانت قبة الزجاج في غِلالةٍ مما سُكِبَ خَلْف الزجاج لا يَفْتُر من الجَرْي وتُوقَد فيها الشموع فَيُرَى لذلك مَنْظَرٌ بديع وتَمَّ بناءُ الزهراء في أربعين سنة (للمقري)

وصف سفر البحر

لما رَكِبْنا البَحْر وحَلَلْنا منه السَّحْر والنَحْر شاهَدْنا من أهواله وتنافِي أحوالِهِ ما لا يُعَبَّر عنه ولا يُبْلَغ له كُنْه

البَحْر صَعْب المرامِ جِدًا لا جُعِلَتْ حاجَتِي إليه
أَلَيْسَ ماءً ونحنُ طينٌ فما عَسَى صَبْرُنا عليه

فكم اسْتَقْبَلَتْنا أمْوَاجُه بُوجُوهٍ بَوَاسِر وطارت إلينا من شِراعه عقْبَانٌ كَوَاسِر قد أزْعَجَتْها أكُفّ الريح من وكْرها لَمّا نَبَّهَتْ اللُّجَجَ مِن سُكْرها فلم تُبْق شيئا من قُوّتِهَا فسَمِعنا للجبال صَفِيرا وللرّياح دَوِيّا عظيما وزَفيرا وتَيَقّنا أنّا لا نجد من ذلك الا فَضْلَ الله مُجِيرا وخَفيرا واذا مَسَّكُمُ المُضُّر في البحر ضَلّ مَن تَدْعون الّا أيّاه وأيِسْنا من الحياة لصَوْت تلك العَوَاصِف والمياه فلا حَيّا اللهُ ذلك الهَوَّ المُزْعِج ولا بَيَّاه والمَوْجُ يُصَفِّق لسَماع أصوات الرياح فَيَطْرَب بل ويَضْطَرب فكأنه من كأس الجُنون يَشْرَب او شَرِب فَيَبْتَعِد ويَقْتَرِب وفِرْقُةُ تَلْتَطِم وتَصْطَفِق وتختِلف ولا تَكاد تتفِق فَتَخال الجَوَّ يأخُذ بنَوَاصيها وتَجْذِبُها أيْديه من قَوَاصيها حتى كاد سَطْح الارض يُكْشف من خِلالِها وعَنَان السُحْب يُخْطَف في استقلالها وقد أشْرَفَت النُفوس على التَلَف من خَوْفِها واعتِلالها وآذَنت الأحوال بعد انتظامها باختلالها وساءَتْ الظُنون وتراءت في صُورَها المَنُون والشِراع في قِراع مع جيوش الأمْوَاج التي أُمِدّت منها الأفواج بالافواج ونحن قُعود كَدُودٍ على عُود ما

بين فُرَادَى وأزْوَاج وقد نَبَتْ بنا من القَلَق أمكنَتُنا وخَرِست من الفَرَق أَلْسِنَتُنَا وتَوَهَّمْنا انه ليس في الوُجود أغْوارٌ ولا نُجُود الا السماء والماء وذلك السفين ومَن في قَبْر جَوْفه دَفِين مع تَرَقُّب هُجوم العَدُوّ في الرَوَاح والغُدُو فزادنا ذلك الحَذَر الذي لم يُبْق ولم يَذَر على ما وصَفناه من هول البَحْر قَلقَنا وأجْرَيْنا اذْ ذاك في ميدان الإلْقاءِ باليَدِ إلى التَهْلُكَة طَلَقًا وتَشَتَّتَتْ أفكارُنا فِرَقًا وذُبْنا أسًى وندَمنا وفَرَقا إلى أن قَضَى اللهُ بالنجاة وكلُّ أفكارُنا فهو الكائن وان نَهَى عنه وأخطأ المائن فرأينا البَرَّ وكأنّنا قبلُ لم نَرَه وشُفِيَتْ به اعْيُنُنا من المَرَه وحَصَل بعد الشِدّة الفَرَج وشَمِمْنا من السَّلامة أطْيَبَ الأَرَج (نفح الطيب للمقري)

قال محمود سامي البارودي

يصف حرب سكان جزيرة اقريطش (كريد) حين خرجوا عن الطاعة

سنة 1282 ويتشوق إلى مصر

أَخَذَ الكَرَى بمَعَاقِد الأجْفان   وهَفَا السُرَى بأعنّة الفُرْسان

والليلُ مَنْشُور الذَوَائِب ضارِب   فَوْق المَتَالِع والرُّبَى بجِران

لا تستبِين العَيْن في ظَلْمائه   الا اشْتِعالَ أسِنّة المُرّان

نَسْرِي به ما بين لُجّة فِتْنةٍ   تَسْمُو غَوَارِ بُها على الطُوفان

في كل مَرْبَأَةٍ وكل ثَنِيّة   تَهْدَار سَامِرة وعَزْف قِيَان

تَسْتَنّ عادِيَةٌ ويَصْهَل أجْرَدٌ   وتَصيح أجْرَاس ويَهْتِف عَان

قَوْمٌ أبَى الشَيْطان الّاخُسْرَهم   فَتَسلَّلُوا من طاعة السُلطان

مَلَؤُا الفَضَاءَ فما يَبِينُ لناظرٍ   غَيْرُ التِماع البيض والخُرْصان

فالبَدرُ أكْدَرُ والسماءُ مَريضة   والبَحْر أشْكَل والرِّماحُ دَوَان

والخَيل واقفةٌ على أرْسانِها   لِطِراد يومِ كَريهةٍ ورِهان

وضَعوا السِلاحَ إلى الصباح وأقْبَلوا   يَتَكَلَّمون بألْسن النِيران

حتى اذا ما الصُبْح أسفَر وارْتَمَتْ   عَيناىَ بينُ رُبًى وبين مَجان

فاذا الجبالُ أسِنّةٌ واذا الوِها   دُ أعِنّةٌ والماءُ أحْمَرُ قَان

فَتَوجَّسَت فَرْطَ الرِكاب ولم تكن   لِتَهابَ فامْتَنَعَت على الأرْسان

فَزِعَت فَرَجَّعَت الحَنين وانما   تَحْنانُها شَجَنٌ من الأشجان

ذَكَرَت مَوارِدَها بمصر وأيْنَ مِن   ماءٍ بمصرَ مَنازِلُ الرومان

والنَفْس لاهِيةٌ وان هِيَ صادَفت   خَلَفا بأوّل صاحبٍ ومكان

فَسقَى السِماكُ مَحَلَّةً ومَقامةً   في مِصرَ كل مُرِنة مِرْنان

حتى تعودَ الأرضُ بعد ذُبُولها   شَتَّى النماءِ كثيرةَ الألوان

بَلَدٌ خَلعْتُ بها عِذارَ شَبِيبَتي   وطَرَحْتُ في يُمْنَى الغَرامِ عناني

فصعيدُها أحْوَىالنَبَاتِ وسَرْحُها   ألْمَي الظِلالِ وزَهْرُها مُتَداني

فارقْتُها طَلَبًا لِمَا هو كائن   والمرْءُ طَوْع تَقَلُّب الأزمان

حَمَلَ الزمانُ علَيّ ما لم أجْنِه   انّ الأماثل عُرْضة الحَدَثان

نَقَمُوا عَلَيّ وقد فَتَكْتُ شَجاعتي   انّ الشَجاعة حِلْية الفِتْيان

فلْيَهْنَأ الدهرُ الغَيُور برحْلَتي   عن مِصرَ ولْتَهْدَأْ صُروف زماني

فلئن رَجَعْت وسوف أرْجِع واثِقا   بالله أعْلَمْتُ الزمانَ مكاني

صادَقْتُ بعضَ القوم حتى خانَني وحَفِظْتُ منه مَغيبة فَرماني
زَعَم النصيحةَ بعد أن بَلَغَت به غِشًّا وجازَي الحقَّ بالبُهْتان
فلْيَجْرِ بعدُ كما أراد بنفسه انّ الشقِيَّ مَطِيَّة الشيطان
وكذا اللئيمُ اذا أصابَ كرامة عادَى الصديقَ ومالَ بالاخوان
كلُّ امْرِئٍ يَجْري على أعْراقه والطبعُ ليس يحول في الانسان
فَعَلَى مَ يَلْتَمِسُ العدوُّ مَساءِتي من بعدِ ما عَرَف الخلائقُ شاني
أنا لا أذِلّ وانما يَزَعُ الفَتَى فَقْدُ الرجاء وقِلّة الاخوان
فَلَيَعْلَمَنّ أخُو الجَهَالة قَصْرَه عَنيّ وان سَبَتْ به قَدمان
فَلَرُبَّما رَجَح الحَسيسُ من الحَصَى بالدُّرِّ عند تَرَاجُح الميزان
شَرفٌ خُصِصْتُ به وأخْطَأَ حاسِدِي مَسْعاتَه فَهَذَى به وقَلاني

رسالة الشيخ حمزة فتح الله للسيد توفيق البكري يمدحه

اعادة العَرَض يوم العَرْض

مَسألةٌ كلاميّة ثَارتْ فيها عَجَاجَة الكلام بين عُلَماء الكلام فمِن ايجازٍ وإطْناب في سَلْب وايجاب (وتَعْلَم أنت أنّ الألفاظ أعْراضٌ سيّالة لكنني آمَنْتُ عِيانا انّ الله تعالى يُحي المَوتَى أعْراضًا وأعْيانا اذ كانت كُتُبُك زيادةً في البَيَان والبُرْهان وان كان خَبَرُ المَعْصُوم أوثْقَ من الحِسّ في النَفْس فأنشُدُ الله امْرَأ شِيمَتُه العَدْل والقَوْل الفَصْل أَلَيْستْ كُتُبُك هذه حُجّةَ للموجِب دامِغَةً للسالِب أليس ذلك البَيَان غايَةَ شَأْوِ قُسٍّ وسَحْبَان أليس قُصَارَى ابن العَميد وحُمَادَي عبد الحميد فقد أُعيد العَرَض الذي هو الكلام في الدنيا فَفي الأُخْرَى أحْرَى فَتَرَاني يا مَليك البَرَاعات وقُسْوَرَ تِلْكُمُ الغابات أسيفا على ضن الزمان بك إلى الآن فلو أن الله تعالى بَرَاك وخَلَقَك فَسَوّاك حين استَعَر الخِصام في هذا المقام لَمَا اخْتَلَفَ في شأنهِ اثنان ولا انْتَطح عَنْزَان .

فهرس الكتاب